تشي جيفارا

صورة.. تروي أسطورة



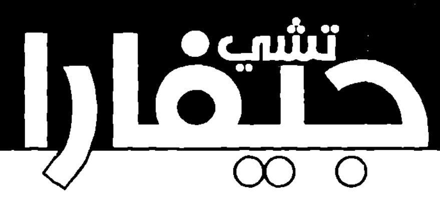
الطبعة الأولى



دار ابن النفيس

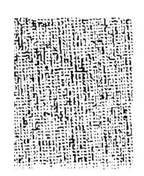


في تاريخ كل أمة رجال عظماء قادوا النضال والكفاح في سبيل تحرير أوطانهم والوصول بها إلى بر الأمان... واستطاعوا بما لديهم من قدرات خاصة وموهبة في القيادة وشجاعة وإقدام أن يحققوا أهداف وطموحات شعوبهم، وأيضا نجوم ومشاهير قدموا الكثير وحفروا أسماءهم في ذاكرة الناس وصفحات التاريخ كل في مجاله، فنالوا كل تكريم واحترام وحفظهم التاريخ في ذاكرته



تشي جيفارا

صورة.. تروي أسطورة





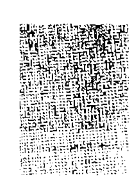
دار ابن النفيس للدعاية والنشر والتوزيع
ص ب :3111 حولي -32032 الكويت
هاتف وفاكس : 0096597914680 - 0096550775525
email:salahabudayah@hotmail.com

الطبعة الأولى - 2016

رقم الإيداع: 19482 -2016
الترقيم الدولي: 9789775051431



جيفارا المتمرد دائما الثائر على الظلم مهما كانت العواقب و مهما كان جبروت الظالم لا يرتبط بمكان أو جماعة فقضيته انسانية وهي مساعدة المظلومين بغض النظر عن أي شيء آخر يروي جيفارا في مذكراته نواحي عديدة غير مشهورة في حياته مثل مهنته كطبيب و فترة طفولته و شبابه و كذلك عندما انتصرت الثورة الكوبية و عندما تم تعيينه كوزير ثم تخليه عن كذلك و عودته لمناصرة المظلومين.





الموت ينام بالقرب من احلامه

" سأقضي ما تبقى من أيام حياتي أبحث عن جثته . في كل مكان : في كوبا في فنزويلا ، في بوليفيا ، لا يهم . فأنا لا أصدق انهم استطاعوا القضاء عليه وانا لا اصدق انه مات ولا أصدق انهم أحرقوه ."

لم يصدق الوالد أنه مات كان يتصور أن الموت يهرب من تشي وأنه سئم مطاردته .

وكان الموت بالنسبة الى "تشي" الحقيقة اليومية يرافقه خطوة خطوة كالربو والزفير والشعلة المتململة والنوم . كان ينام بالقرب من أحلامه، يشاطره في احلامه ، ينافسه في أحلامه .

مرة ، قال لرفيق له كان يقاتل بجانبه في الادغال ، والرصاص ينهال عليهما:
-"أتدري كيف اتمنى ان أموت ؟كما تمنى قصة بطل "جاك لندن ".
ادرك انه سيتجمد حتى الموت في أراضي الاسكا البيضاء المقفرة، فاستند بهدوء الى شجرة ، واستعد لمواجهة الموت بصمت وكبرياء.
كم اتمنى الان لو استريح على جذع شجرة ،ليهدأ الزفير داخلي، وأموت ، بعد ان أفرغ رصاص بندقيتي في الجنود القادمين من وراء هذه الأشجار . "

كان ذلك سنة 1957 ، قبل الدخول الى المدينة والانتصار .

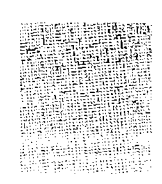
ومرة ، قال لكاسترو ، في الرسالة الاخيرة التي وجهها اليه:

- ذات يوم ، سئلنا عن الشخص الذي ينبغي انذاره ام اعلامه عند موت أحدنا .

وفوجئنا جميعا بهذه الامكانية الحقيقية . ثم ادركنا ان الثائر الحقيقي "اما أن ينتصر او يموت . وكثيرون سقطوا في طريق النصر الطويل . "

كان ذلك سنة 1965 .


تشي جيفارا





ومرة ثالثة ، قال في البيان الثوري الذي وزعه في نيسان 1967 :

-" لا يهمني متى واين سأموت ."

لكـن يهمني ان يبقى الثوار منتصبين ، يملؤون الارض ضجيجا ، كي لا ينام العالم بكل ثقله فوق اجساد البائسين والفقراء والمظلومين .

ثم سقط أخيرا في الخريف ، مع سقوط أوراق الاشجار التعبة .

لكنه لم يحقق امنيته التي رددها امام صديق له في فترة النضال الاولى: لم يمت وهو مستند الى الشجرة ، بل سقط مجندلا في واد صغير ضيق ، بتسع رصاصات ، ربما أقل ،ربما أكثر . والتقطوه وحملوه ووضعوه على طاولة عالية ،ثم قالوا للصحافيين والمصورين والعالم أجمع :

"- هذا هو "تشي" جيفارا . لقد انتصرنا عليه ."




تشي جيفارا



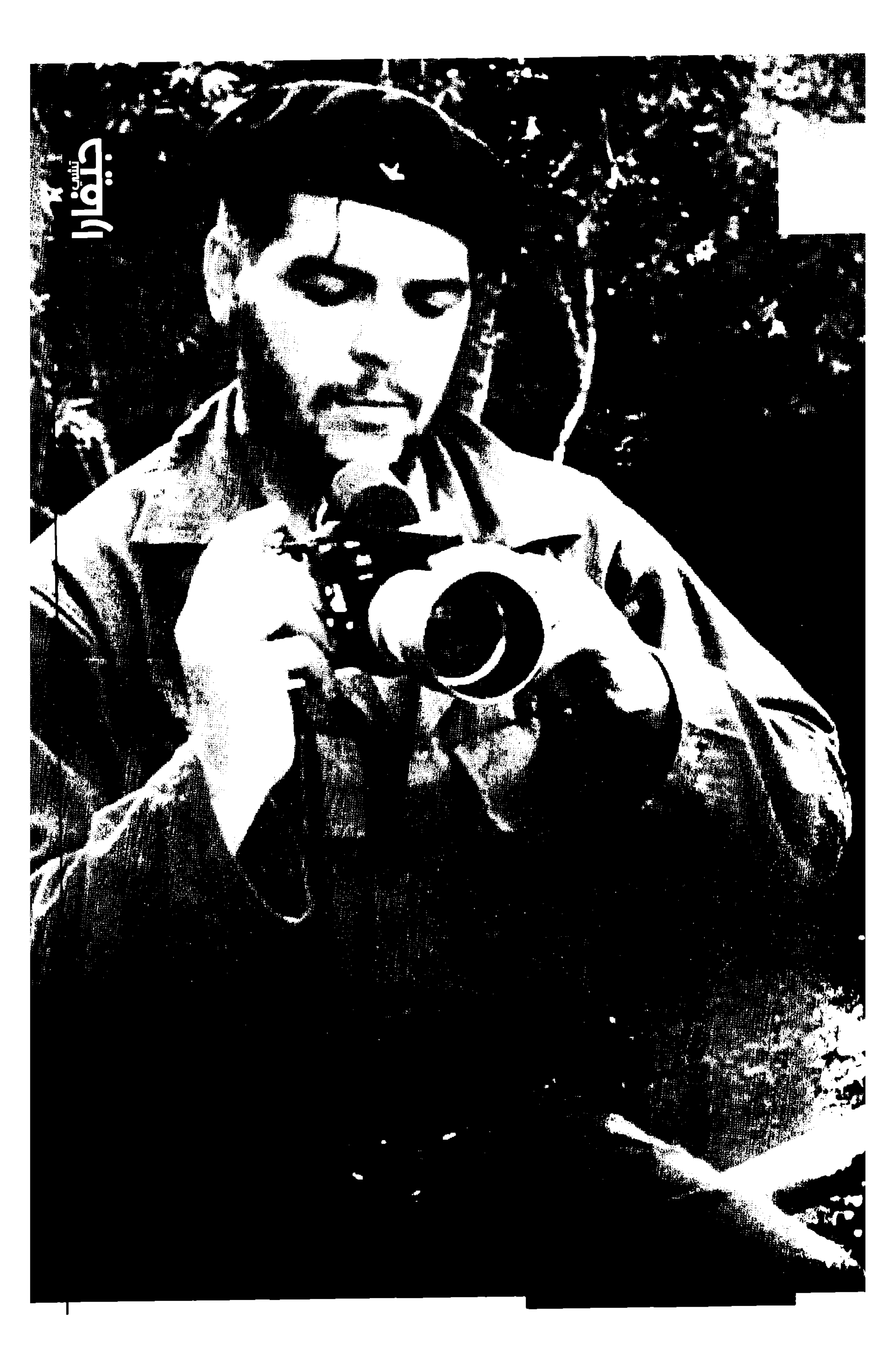
جيفارا الانسان

يقف المرء حائرا عن الثائر الأسطوري أرنستو تشي جيفارا (ولد فى 14 يونيو 1928). ستصاب بالذهول بالتأكيد إذا كتبت كلمة "سير جيفارا" في محرك بحث المكتبة البريطانية؟ آلاف الكتب و المقالات الأكاديمية و غير الأكاديمية التي تتناول أوجه حياته من زوايا مختلفة. البعض مكتوب بلغة اسرة لكنها بسيطة مثل كتاب أندرو سينكلير و البعض مكتوب بلغة معقدة مثل " أرنستو تشي جيفارا: الأخلاق وجماليات الوجود"

هذا التضخم في الكتابة عن جيفارا سببه أنه رجل استثنائي. فجيفارا وفقا لجان بول سارتر "ليس فقط مثقفا ولكنه الإنسان الأكمل في عالمنا".

لذلك فإن الأمر يتطلب "ألف سنة ومليون صفحة لكتابة سيرة تشي"، كما قال جابربيل جارسيا ماركيز.




تشي
جيفارا



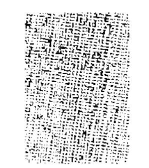
المقدمة



تشـــي جيفارا, الثـوري الطبيب الكاتب وزعيم حرب العصابات والقائـد العسـكري وأشـهر شـخصية في الثورة الكوبية... أصبحـت صورتـه رمـزا في كل مـكان وشـارة عالميـة ضمن الثقافة الشـعبية للنضال الثوري.

جيفـارا المتمـرد دائمـا الثائر على الظلم مهما كانت العواقب و مهمـا كان جبـروت الظالـم لا يرتبـط بمـكان أو جماعـة فقضيته انسـانية وهي مساعدة المظلوميـن بغـض النظر عن أي شـئ آخر يروي جيفارا في مذكراتـه نواحـي عديـدة غير مشـهورة في حياتـه مثل مهنته كطبيب و فترة طفولته و شبابه و كذلك عندما انتصرت الثورة الكوبيـة و عندمـا تـم تعيينـه كوزير ثـم تخليه عـن كذلك و عودته لمناصرة المظلومين.





ارنســتو " تشي" جيفارا " ثوري كوبي ماركســي ولد فى الأرجنتين طبيب و قائد عســكري وشــخصية رئيســية في الثورة الكوبيــة. أصبحت صورته المأخوذة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وعلامة عالمية ضمن الثقافة الشــعبية التي تدل على الثائر والثورة . ســافر جيفارا عندما كان طالبا في كلية الطب لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه على متن دراجة, وكونت تلك الرحلة شــخصيته وإحساســه بالظلم الكبير الواقــع من الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البســيط، وتغير داخلياً بعد مشــاهدة الفقر المتفشي. كان جيفارا يرى أن الحل الوحيد لحل مشــاكل الانســان الفقير هو الثــورة العالمية على الفقر والجهل والمســتبدين. قــر رجيفارا الانضمــام للثورة الكوبيــة، ورأى فيدل كاســترو الثائر الكوبي انه فى امس الحاجه الى جيفارا كطبيب وســرعان ما برز دور جيفارا بين المسلحين حتى تمت ترقيته إلى الرجل الثاني في القيادة، ولعب دوراً محورياً في نجاح الثورة على مدار عامين من الحرب المســلحة التي اطاحت بنظام باتيســتا. و قد تم إغتيــال جيفارا على يد فرقة من الجيش البوليفــي على يد جندي يدعى ماريو عندما كان يكافح ضد الظلم و الجهل و الفقر هناك و قد كان الجندي يعلم أنه بصدد إعدام أســطورة و كان فى شــدة الخوف على الرغم من أن جيفارا كان أعزل و مصاب 'إلا ان جيفارا قال له : أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببســاطة ستقتل مجرد رجل' ومن اشهر مقولاته التى سُــطرت بحروف من نــور : "الثورة قوية كالفــولاذ، حمراء كالجمر، باقية كالســنديان، عميقة كحبنا الوحشي للوطن.. إنني أحس على وجهي بألم كل صفعة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني" " لا يســتطيع المرء أن يكون متأكدا من أنه هنالك شــيء يعيش من أجله, إلا اذا كان مستعدا للموت في سبيله . "

تشي جيفارا



جيفارا

تاريخ الميلاد: 14 يونيو 1928

مكان الميلاد: روساريو، الأرجنتين

تاريخ الوفاة: 9 أكتوبر 1967 (العمر: 39 عاماً)

مكان الوفاة: لا هيغويرا، بوليفيا

ارنستو "تشي" جيفارا (14 يونيو 1928 - 9 أكتوبر 1967)

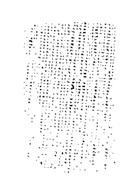
المعروف باسم تشي جيفارا (Che Guevara)

أو التشي (El Che)

أو ببساطة تشي (Che)،

(بالإسبانية: Ernesto <Che> Rafael Guevara de la Serna)

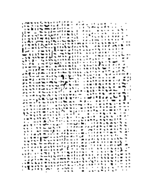




ثوري كوبي ماركسـي أرجينتيني المولد كما أنه طبيب، كاتب وزعيم حرب العصابات، قائد عسكري، رئيس دولة عالمي وشـخصية رئيسية في الثورة الكوبية. أصبحت صورته المنمقة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وشاره عالمية ضمن الثقافة الشعبية.

سـافر جيفارا عندما كان طالبا في كلية الطب في جامعة بوينس آيرس الذي تخرج منها عام 1953. سافر لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه ألبيرتو غرانـادو على متن دراجة نارية وهو في السـنة الأخيرة من الكلية, وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع مـن الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البسـيط، وتغير داخلياً بعد مشـاهدة الفقر المتوطن هناك.

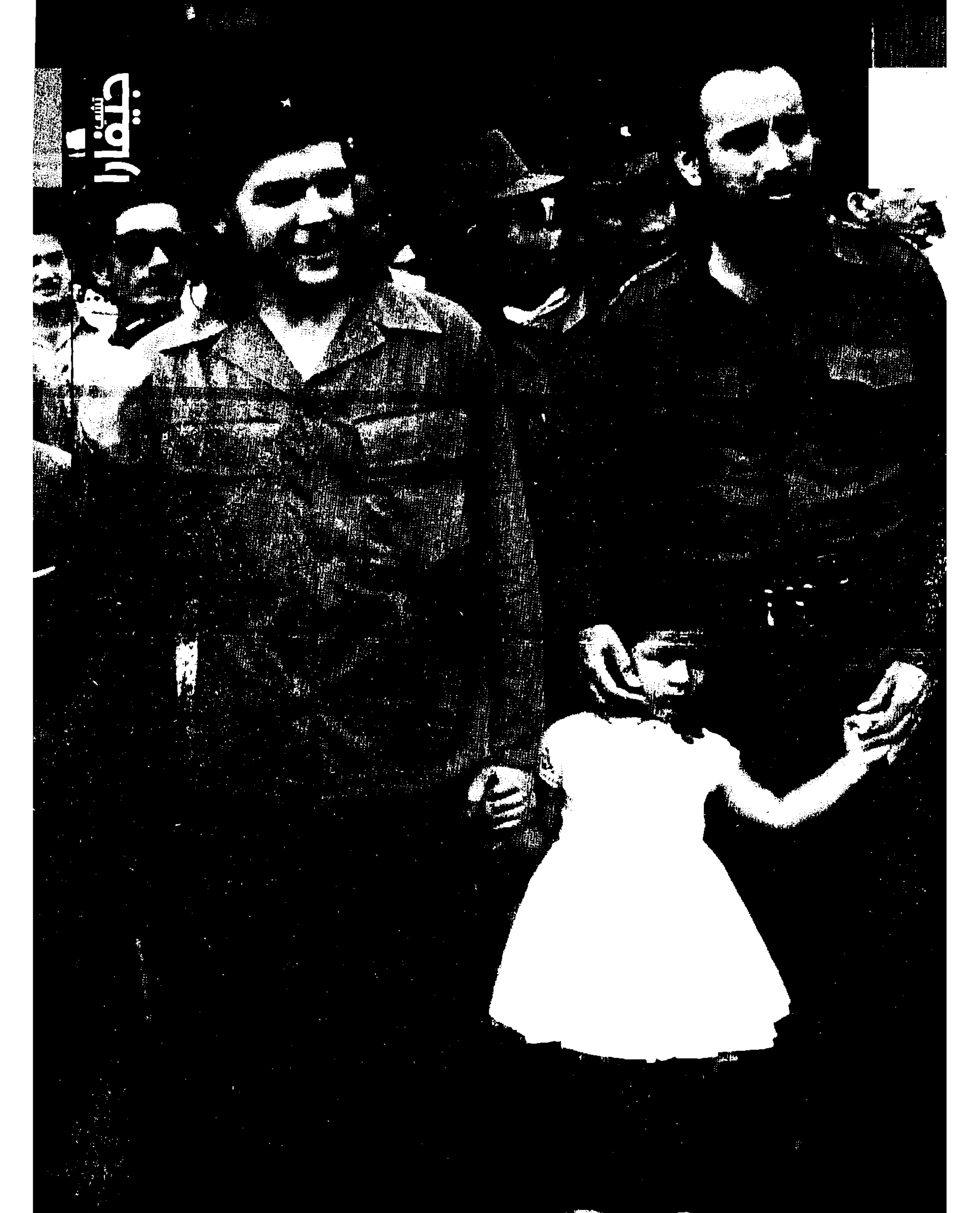
أدت تجاربه وملاحظاته خلال هذه الرحلة إلى استنتاج بأن المنطقة متأصل بها التفاوتات الاقتصادية التي كانت نتيجة من الرأسمالية الاحتكارية والاستعمار الجديـد والإمبريالية، كان جيفارا يرى أن العلاج الوحيد هو الثورة العالمية. هـذا الاعتقـاد كان الدافـع وراء تورطـه فـي الإصلاحـات الاجتماعية في غواتيمـالا في ظل حكم الرئيس جاكوبـو أربينز غوزمان، الذي قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في نهاية المطاف بالمساعدة على الإطاحة به مما ساعد على نشر أيدولوجية جيفارا الراديكالية. بينما كان جيفارا يعيش في مدينة المكسيك التقى هناك براؤول المنفي مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه في كوبا, ما إن خرج فيديل كاسـترو من سـجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، ورأى فيدل كاسـترو أنهم في أمس الحاجة إليه كطبيب, وانضم لهم في حركة 26 يوليو، التـي غزت كوبا على متن غرانما بنيـة الاطاحة بالنظام الدكتاتوري المدعم بالولايات المتحدة التي تدعم الديكتاتور الكوبي فولغينسيو باتيستا. سرعان ما برز جيفارا بين المسـلحين وتمت ترقيته إلى الرجل الثاني في القيادة، ولعب دوراً محوريـاً في نجـاح حملة على مدار عامين من الحرب المسـلحة التي اطاحت بنظام باتيستا.



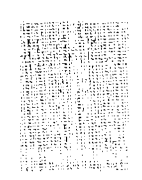


في أعقاب الثورة الكوبية قام جيفارا بأداء عدد من الأدوار الرئيسية للحكومة الجديدة, وشمل هذا على إعادة النظر في الطعون وفرق الإعدام على المدانين بجرائـم الحرب خـلال المحاكـم الثورية، وقام بتأسـيس قوانيـن الإصلاح الزراعـي عندمـا كان وزيراً للصناعـة وعمل أيضا كرئيـس ومدير للبنك الوطني ورئيس تنفيذى للقوات المسلحة الكوبية, كما جاب العالم كدبلوماسي باسـم الاشتراكية الكوبية, مثل هذه المواقف سمحت له أن يلعب دوراً رئيسياً في تدريب قوات الميليشـيات الذين صدوا غـزو خليج الخنازير وجلبت إلى كوبا الصواريخ الباليسـتية المسلحة نووياً من الاتحاد السوفييتي عام 1962 التي أدت إلـى بداية أزمة الصواريخ الكوبية, بالإضافة إلى ذلك كان جيفارا كاتبـاً عامـاً ويقوم بكتابة يومياتـه وقام بتكوين ما يشـبه الكتيب لحياة حرب العصابات وكذلك ألف مذكراته الأكثر مبيعاً في جميع أنحاء أمريكا الجنوبية رحلة شاب على دراجة نارية.

غـادر جيفارا كوبا في عام 1965 بسـبب التحريض علـى الثورات الأولى الفاشـلة في لكونغو كينشاسـا ومن ثم تلتها محاولة أخـرى في بوليفيا، حيث تم إلقاء القبض عليه من قبل وكالة الاسـتخبارات المركزية بمساعدة القوات البوليفية وتم إعدامه, لا تزال شخصية جيفارا التاريخية تنال كل من التبجيل والاحتـرام، مسـتقطباً المخيلـة الجماعيـة في هـذا الخصـوص العديد من السـير الذاتية والمذكـرات والمقالات والأفلام الوثائقيـة والأغاني والأفلام. بـل وضمنتـه مجلة التايم من ضمن المائة شـخص الأكثر تأثيـراً في القرن العشـرون، في حين أن الصورة المأخوذه مـن ألبرتو كوردا له بعنوان بطل حـرب العصابـات (كما هو موضح في قالب المقال)، قد سـميت "بالصورة الأكثر شهرة في العالم.»


تشي
جيفارا





طفولته



ولد لسيليا دي لا سيرنا وإرنستو جيفارا لينش ارنستو تشي جيفارا يوم 14 يونيو 1928 في روساريو في بالأرجنتين، وهو الأكبر بين خمسة أطفال في عائلة من أصول إيرلندية وأسبانية باسكية. يظهر اسمه القانوني (ارنستو تشي جيفارا) نسبة إلى ألقاب والديه في بعض الأحيان مع إضافة دي لا سيرنا أو لينش له.

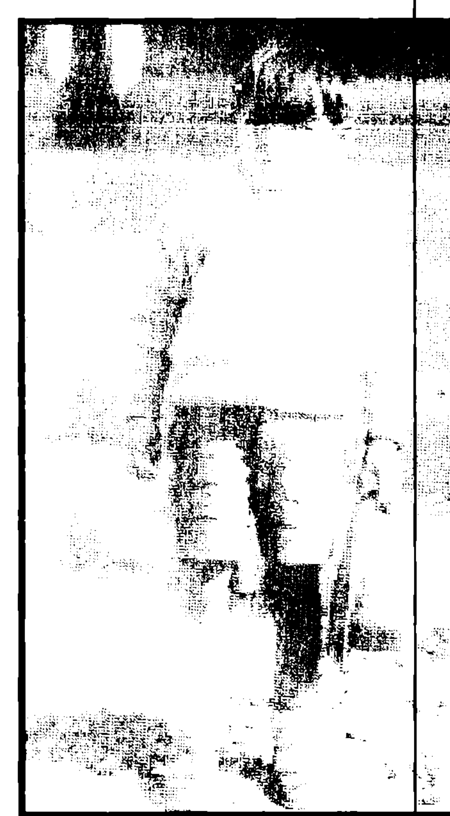
في إسقاط الضوء على طبيعة تشي "الغير مستقرة" ذكر والده أن "أول شيء يمكن أن نلاحظه هو أن ابني يجرى في عروقة دماء المتمردين الايرلنديين." نمى في وقت مبكر جدا من الحياة أرنستيتو (كما كان يسمى جيفارا حينذاك) شعور التعاطف مع "الفقراء". بحكم نشأته في أسرة ذات الميول اليسارية كان جيفارا يتعامل مع طائفة واسعة من وجهات النظر السياسية، حتى في الوقت الذي كان فيه صبياً كان والده مؤيد قوي للجمهوريين من الحرب الأهلية الإسبانية وغالبا ما استضاف العديد من اللقاءات بين قدامى المحاربين في منزل جيفارا.




تشي
جيفارا



بالرغـم من المعاناة من نوبات الربو الحادة التـي كان يعانى منها طوال حياتـه، إلا أن جيفـارا برع كرياضيٍ وتمتع بالسـباحة ولعـب كرة القدم والجولـف والرماية، بل أصبح أيضاً يقود الدرجات ولا يعرف الكلل ولا الملل. كان لاعباً متعطشاً في اتحاد الرجبي ويلعب في خط النصف لجامعة بوينس آيرس في الفريق الأول الخامس عشـر. أثناء لعبه للركبي اكتسب لقـب "فوزر" اختصـارا "لفوريبوندو" التي تعني بالعربية (المشـتعل) واسـم عائلـة والدته دي لا سـيرنا، لأسـلوبه العدواني فـي اللعب. لقبوه زملائه في المدرسة أيضا "تشانكو" والتي تعني بالعربية (الخنزير) لأنه نادراً ما كان يستحم، وكان يرتدى بفخر قميص "الأسبوع».



تعلـم جيفـارا الشـطرنج مـن والـده، وبـدأ في المشـاركة في البطـولات المحلية حيـن بلغ من العمـر 12 عامـاً. خلال فتـرة المراهقة وطوال حياته كان جيفارا متحمسـاً للشـعر، وخصوصاً للشـاعر لبابلو نيـرودا وجون كيتـس وأنطونيو ماتشـادو وفيديريكو غارسـيا لـوركا وغابرييلا ميسـترال، سـيزار فاييخو، والت ويتمان. وكان يمكنــه اقتباس ابيات من الشـعر لروديارد كبلنغ وأيضاً لخوسـيه هيرنانديز عن ظهـر قلب. كان منزل جيفارا يحتوى على أكثر من 3.000 كتاب وهذا ما سـمح لجيفارا بـأن يكون قارئ متحمس وانتقائـي، حيث اهتم بالقراءة عن كارل ماركس ووليـم فوكنر وأندريـه جيد واميليو سـالجارى وجولـز فيرن. اضافة الى ذلك كان جيفارا يتمتع بقراءة أعمـال جواهر لال نهـرو وفرانز كافكا وألبير كامو وفلاديمير لينين وجان بول سارتر، وكذلـك أناتول فرانس، فريدريـك إنجلز، ويلز، وروبرت فروست.


تشي
جيفارا



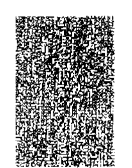


عندما كبر أصبح يهتم بالقراءة للكُتاب من أمريكا اللاتينية مثل هوراسيو كيروغا، سيرو ألجيريا، خورخي إيكازا، روبن داريو، وميغيل استورياس. قام جيفارا بتدوين أفكار العديد من هؤلاء الكتاب في كتاباته الخاصة بخط يده مع مفاهيمه وتعاريفه، وفلسفات المثقفين البارزين من وجهه نظره, وقام أيضا بتأليف اسكتشات تحليلية لبوذا وأرسطو، بجانب دراسته لبرتراند راسل عن المحبة والوطنية، والمجتمع من جاك لندن وفكرة نيتشه عن الموت, فتنت جيفارا أفكار سيغموند فرويد إذا أنه كان يقتبس عنه في مجموعة متنوعة من المواضيع مثل الأحلام والرغبة الجنسية النرجسية وعقدة أوديب. مواضيعه المفضلة في المدرسة شملت الفلسفة والرياضيات والهندسة والعلوم السياسية وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الآثار.

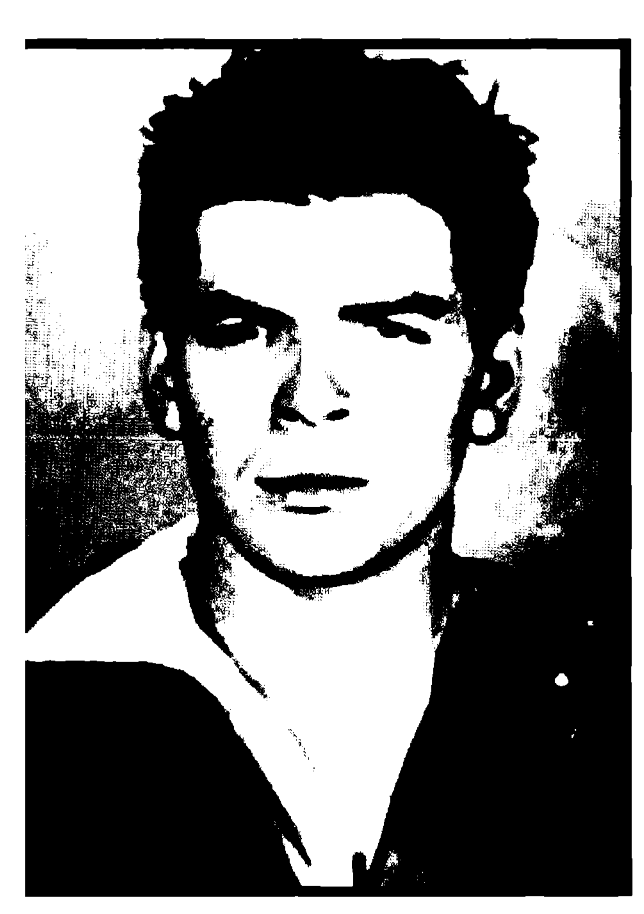
وفي 13 فبراير شباط عام 1958 نشرت وكالة المخابرات المركزية "السيرة الذاتية والتقرير الشخصي" السريين الذين أشارا إلى أن جيفارا كان يتمتع بخلفية متنوعة من الاهتمامات الأكاديمية والفكر، ووصفته بأنه "قارئ جيد" وعلقت "ان تشي مثقف برغم من كونه من اصل لاتيني ».


تشي
جيفارا





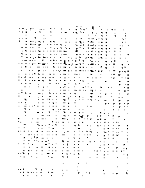
رحلة الدراجة النارية



دخل جيفارا جامعة بوينس آيرس لدراسة الطب في عام 1948 ولكن في عام 1951 أخذ إجازة لمدة سنة من الدراسات للشروع في رحلة يعبر فيها أمريكا الجنوبية على الدراجة النارية مع صديقه ألبيرتو غرانادو، كان الهدف النهائي يتمثل في قضاء بضعة أسابيع من العمل التطوعي في مستعمرة سان بابلو لمرضى الجذام في البيرو على ضفاف نهر الأمازون, في الطريق إلى ماتشو بيتشو التي تقع عالياً في جبال الأنديز، شعر جيفارا بالذهول لشدة فقر المناطق الريفية النائية، حيث يعمل الفلاحين في قطع صغيرة من الأراضي المملوكة من قبل الملاك الأثرياء.

في رحلته أبدى جيفارا اعجابه بالصداقة الحميمية بين أولئك الذين يعيشون في مستعمرات الجذام، قائلا ''إنه أعلى أشكال التضامن البشري والولاء الذي ينشأ بين الناس في ظل الوحدة واليأس من هذا القبيل.'' استخدم جيفارا







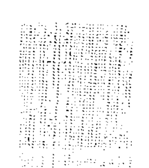
المذكرات التي اتخذها خلال هذه الرحلة لكتابة كتاب بعنوان يوميات دراجة نارية والذي أصبح أفضل كتاب مبيعاً كما وصفته نيويورك تايمز، الذي نال لاحقاً جائزة في 2004 عن فيلم مقتبس منه يحمل نفس اسم الكتاب.

بحلـول نهايــة الرحلة وصل جيفارا لاســتنتاج بــأن أمريكا اللاتينية ليســت مجموعة من الدول المنفصلة، ولكن اعتبرها كياناً واحداً يتطلب اســتراتيجية تحريــر علــى نطاق القــارة, مفهومه عن الولايات المتحــدة لقارة أمريكا من أصل أســباني بلا حدود والتي تقاســم تراث لاتيني مشــترك كان موضوعاً بارزاً تكرر خلال نشــاطاته الثورية لاحقاً, لدى عودته إلى الأرجنتين أكمل دراســته وحصل على شــهادة الطب في حزيران / يونيــو 1953 مما جعله رســمياً ''الدكتــور ارنســتو تشــي جيفــارا''. لاحظ جيفــارا في أنه من خلال أسفاره إلى أمريكا اللاتينية انه وصل إلى استنتاج من وجود''اتصال وثيق بين الفقر والجوع ووالمرض'' جنباً إلى جنب مع ''عدم القدرة على علاج طفل بسبب عدم وجود المال'' و''غيبوبة اســتفزاز الجوع المستمر والعقــاب'' التــي تؤدي بــالأب إلى ''قبــول فقدان الابــن على انه حادث غير مهم''. كانت هذه التجارب التي يستتشــهد بها جيفارا تقنعــه بأنه من أجل ''مســاعدة هــؤلاء الناس'' إلى انه يحتــاج إلى ترك مجــال الطب، والنظر في الســاحة السياسية للبحث عن الكفاح المسلح.




تشي جيفارا





جواتيمالا في حكم أربينز وشركة الفواكه المتحدة



انطلق جيفارا مرة أخرى في يوم 7 يوليو 1953 وهذه المرة إلى بوليفيا وبيرو والإكوادور وبنما وكوستاريكا ونيكاراغوا وهندوراس والسلفادور. وفي يوم 10 ديسمبر من عام 1953 قبل أن يغادر إلى غواتيمالا أرسل جيفارا خطاب لعمته بياتريس من سان خوسيه في كوستاريكا. في الرسالة تحدث جيفارا عن العبور خلال أملاك شركة الفواكه المتحدة والذي أقنعه بالواقع "الرهيب" للرأسمالية "الاخطبوط". هذا السخط حمل نبره "الرغبة في الانتقام" الذي اعتمد عليه لإخافة المزيد من أقاربه المحافظين واستمر مع جيفارا حتى عندما أقسم على قبر جوزيف ستالين عندما توفى حيث أقسم أنه لن يرتاح حتى "يتم التغلب على هذه الأخطبوطات".

وصل جيفارا إلى غواتيمالا في نفس الشهر حيث كان الرئيس خاكوبو أربينز يرأس حكومة منتخبة ديمقراطياً وكان يحاول من خلال إصلاح الاراضي وغيرها من المبادرات إلى وضع حد لنظام الإقطاع. لإنجاز هذا قام الرئيس أربينز بسن برنامج لإصلاح الاراضى كبير، حيث أن جميع أجزاء الأراضى الغير مستزرعة ذات الحيازات الكبيرة كان من المقرر أن يتم مصادرتها وإعادة توزيعها على الفلاحين المعدمين. أكبر مالك للأراضي







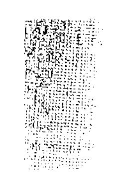
وواحـد من أكثـر الملاك تضرراً من هذه الإصلاحات كانت شـركة الفواكه المتحـدة والتـي قامت حكومـة أربينز بالفعل بسـحب أكثر مـن 225.000 فدان من ملكيتها. بعد شـعوره بالرضا مـن الطريقة التي اتخذتها هذه الأمة، قرر جيفارا أن يسـتقر في غواتيمالا وذلك "لتهيئة نفسـه وإنجاز ما قد يكون ضروريا من أجل أن يصبح ثوريا حقا».

في غواتيمالا سـيتي سـعى جيفارا للتعـرف على هيلدا جاديا أكوسـتا وهي مواطنة من البيرو تعمل بالاقتصاد والتي كان لديها العديد من المعارف السياسـية بوصفها عضواً في التيار اليساري في حزب التحالف الشـعبي الثوري (أمريكانا). قامت بتعريف جيفـارا على عدد مـن المسـؤولين رفيعي المستوى في حكومة أربينز, بعد ذلك تعرف جيفـارا على مجموعة من المنفيين الكوبيين المرتبطيـن بفيديـل كاسـترو عـن طريـق هجـوم 26 يوليو 1953 علـى ثكنة مونكادا في سـانتياغو دي كوبا واكتسب جيفارا لقبه الشهير خلال هذه الفترة نظراً إلى الاستخدام المتكـرر للاختصـار الأرجنتينـي (تشـي) وهي كلمـة عامية عارضة يتم اسـتخدامها على غرار (الرفيق) أو (صديق).



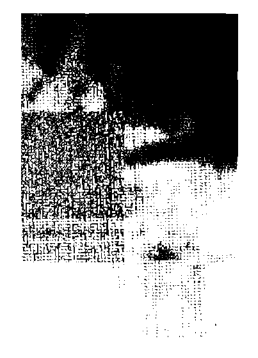
محـاولات جيفارا للحصول علـى التدريب الطبي لم تكلـل بالنجاح ووضعه الاقتصادي فـي كثيـر من الأحيان كان يمنعـه من هذا, وفي 15 مايو 1954 تم إرسـال مجموعـة من المشـاة المحملين بمدافع سـكودا والأسـلحة الخفيفـة من قبل تشيكوسـلوفاكيا الشـيوعية لحكومـة أربينـز حيـث وصلت إلـى "بويرتو باريـوس"، نتيجة لذلك قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والجيش بغـزو البـلاد وتثبيت اليمينـي الديكتاتوري "كارلوس كاسـتيو أرماس" في





الحكـم. جيفـارا كان تواقاً للقتال نيابة عن أربينز بل وانضم إلى الميليشـيات المسـلحة التي نظمتها الشبيبة الشـيوعية لهذا الغرض، ولكنه شعر بالاحباط نتيجة لتقاعس الجماعة عن العمل وسرعان ما عاد إلى مهام الرعاية الطبية, وفـي أعقـاب الانقلاب تطوع للقتـال مرة أخرى، لكن بعد فتـرة وجيزة لجأ أربينز إلى السفارة المكسيكية ونصح مؤيديه الأجانب بمغادرة البلاد, نداءات جيفـارا المتكـررة للمقاومة تمـت ملاحظتها من قبل مؤيـدي الانقلاب، وتم اعـلان الرغبة في اغتياله. بعد إلقاء القبـض على هيلـدا جاديا، سـعى جيفـارا للحمايـة داخـل القنصليـة الأرجنتينيـة حيث ظـل هناك حتى حصـل علـى تصريـح الخـروج الآمـن, بعـد ذلـك ببضعة اسـابيع انطلـق في إلـى المكسـيك. تزوج جيفارا من هيلدا جاديا في المكسيك فـي سـبتمبر مـن عـام 1955. عمليـة التدخـل للاطاحـة بنظـام أربينز عـززت وجهة نظر جيفارا تجـاه الولايات المتحـدة باعتبارها القوة الاسـتعمارية التي من شـأنها أن تعـارض وتحـاول تدميـر أي حكومـة تسـعى لمعالجـة عـدم المسـاواة الاجتماعية والاقتصادية المسـتوطنة في أمريكا اللاتينية وغيرها من البلدان النامية, كان جيفارا على اقتناع بأن تحقيق الماركسية لا يتم إلا من خلال الكفاح المسلح الذي يدافع عنه الشعب المسلح والطريق الوحيد لتصحيح مثل هذه الظروف وذلك بتعزيزها. هيلـدا جاديا كتبت فـي أن "غواتيمالا هي التي أقنعته أخيراً بضرورة الكفاح المسـلح، وعلى أخذ زمام المبادرة ضد الامبريالية. عندما حان وقت الرحيل







مدينة مكسيكو والإعداد

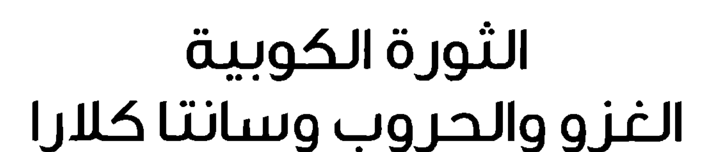


وصـل جيفـارا إلـى مدينة مكسـيكو فـي مطلع سـبتمبر 1954 وعمل في قسـم الحساسـية في المستشـفى العام, إضافة إلى إلقاء محاضرات حول الطب في الجامعة الوطنية المستقلة في المكسيك وعمـل كمصور صحفي لاتيني لوكالـة الأنباء. خلال هذا الوقت جدد صداقتـه مع نيكو لوبيز وغيرهم من المنفيين الكوبيين الذين كان قـد التقى بهم فـي غواتيمالا, في يونيـو 1955 قدم له لوبيز راؤول كاسـترو الـذي عرفه في وقت لاحق بأخيـه الأكبر فيدل كاسـترو الزعيم الثوري الذي شكل حركة 26 يوليو وأصبح الآن يخطط للإطاحة بالديكتاتور باتيسـتا, خلال محادثة نقاشية طويلة مع كاسترو في أول اجتماع لهما خلص جيفارا إلى أن قضية هذا الكوبـي هي ما كان يبحث عنه وقبل الفجر كان قد قام بالإنضمام كعضو لما يسمى بحركة 26 يوليو. منذ هذه النقطة في حياة جيفارا أصبح يعتبر الولايات المتحدة تسيطر علي التكتلات بتثبيت ودعم الأنظمـة القمعيـة في مختلف أنحاء العالم, في هذا السـياق اعتبر باتيستا دمية الولايات المتحدة التي يجب إزالتها.

علـى الرغم مـن أنه كان مـن المقرر أن يكون مسـعف المجموعة القتالية ولكنه شـارك في التدريبات العسـكرية مع أعضاء الحركة. الجزء الرئيسـي من التدريـب كان حول تعلم تكتيـكات الكر والفر فـي حرب العصابات, جيفارا وغيره خضع لتدريبات شـاقة تشـمل مسـيرات طوال 15 سـاعة بالجبال وعبر الأنهار وخلال شجيرات كثيفة، وتعلم واتقن إجراءات الكمين والتراجع السريع, من البداية كان جيفـارا الطالب المثالي لألبرتـو بايو بين هؤلاء في مجال التدريب، وسـجل أعلى مستوى في كافة الاختبارات المعنيه. في نهاية الدورة تم تسميته "أفضل مقاتل" من قبل المدرب والعقيد بايو.

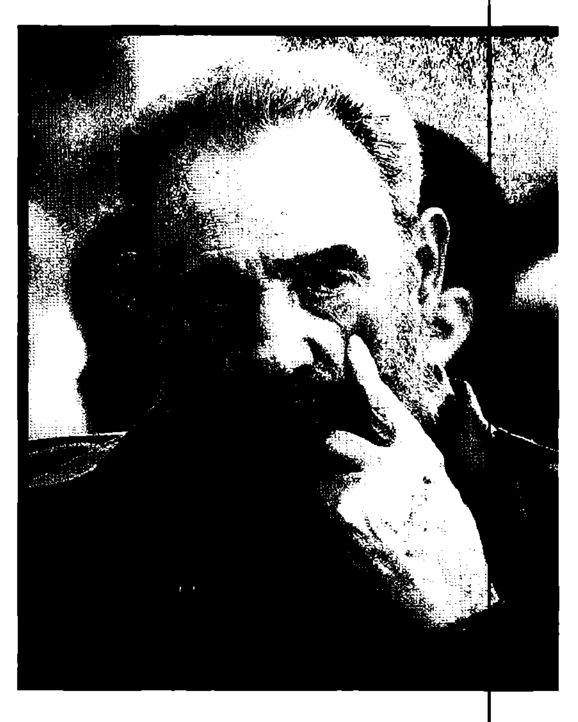

تشي جيفارا





الثورة الكوبية
الغزو والحروب وسانتا كلارا

الخطوة الأولى في خطة كاسترو الثورية كانت الهجوم على كوبا من المكسيك عبر غرانما وهو مركب قديم يرشح, قاموا بتحديد يوم 25 نوفمبر 1956 للهجوم على كوبا, قام جيش باتيستا بالهجوم عليهم بعد الهبوط مباشرة، وقتل العديد من الإثنين والثمانون مقاتل في الهجوم الذي وقع لم ينج منهم سوى 22 رجلاً. كتب جيفارا أنه خلال هذه المواجهة الدامية القى باللوازم الطبية والتقط صندوق من الذخيرة من مخلفات أحد رفاقة الهاربيين وكانت هذه الخطوة الحاسمة حيث ترك نهائيا الطب وأصبح مقاتلاً.



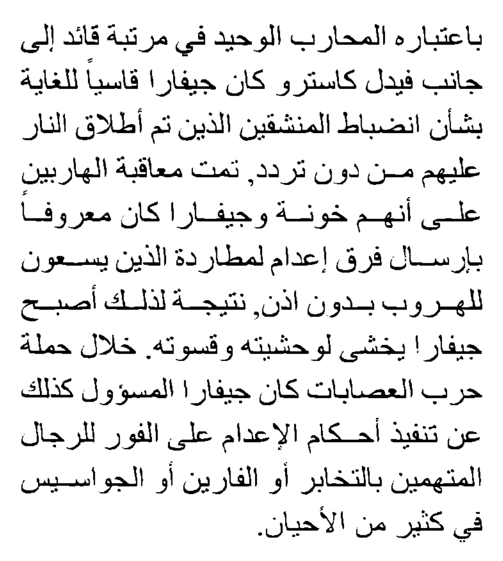
ظلت مجموعة صغيرة من الثوار على قيد الحياة لإعادة القوة القتالية الرثة للمجموعة في عمق جبال سييرا مايسترا حيث تلقت دعما من شبكة حرب العصابات في المدن ومن فرانك باييس وكذلك حركة 26 يوليو والفلاحين المحليين مع انسحاب المجموعة إلى سيراليون، تساءل العالم عما إذا كان كاسترو حياً أو ميتاً حتى أوائل عام 1957 عندما تمت المقابلة مع "هربرت ماثيوز" وظهرت في مقال بصحيفة نيويورك تايمز, المقالة المقدمة قامت بتصوير دائم، شبه الأسطوري لصورة كاسترو ورجال حرب العصابات, لم يكن جيفارا حاضراً للمقابلة، ولكنه في الأشهر المقبلة بدأ يدرك أهمية وسائل الاعلام في نضالهم, في هذا


تشي جيفارا
أسطورة

الوقت كانت اللوازم في انخفاض وكذلك الروح المعنوية، وعانى جيفارا من حساسية بسبب لدغات البعوض التي أسفرت عن خراجات مؤلمة بحجم الجوز على جسده، أعتبر جيفارا هذه المرحلة "الأكثر إيلاما في الحرب».

مع استمرارية الحرب أصبح جيفارا جزءاً لا يتجزأ من الجيش والمتمردين وأقنع كاسترو بقدراته ودبلوماسيته وصبره. اقام جيفارا مصانع لتصنيع القنابل اليدوية، وقام ببناء أفران لصنع الخبز ودرس المجندين الجدد التكتيكات ونظم المدارس لتعليم الفلاحين الأميين القراءة والكتابة. وعلاوة على ذلك أنشاء جيفارا العيادات الصحية وورش عمل لتعليم التكتيكات العسكرية وصحيفة لنشر المعلومات. الرجل الذي بعد ثلاث سنوات أطلقت عليه مجلة تايم لقب: عقل الثورة في هذه المرحلة تمت ترقيته من قبل فيدل كاسترو إلى القائد الثاني في الجيش.





باعتباره المحارب الوحيد في مرتبة قائد إلى جانب فيدل كاسترو كان جيفارا قاسياً للغاية بشأن انضباط المنشقين الذين تم أطلاق النار عليهم من دون تردد, تمت معاقبة الهاربين على أنهم خونة وجيفارا كان معروفاً بإرسال فرق إعدام لمطاردة الذين يسعون للهروب بدون اذن, نتيجة لذلك أصبح جيفارا يخشى لوحشيته وقسوته. خلال حملة حرب العصابات كان جيفارا المسؤول كذلك عن تنفيذ أحكام الإعدام على الفور للرجال المتهمين بالتخابر أو الفارين أو الجواسيس في كثير من الأحيان.

على الرغم من انه حافظ على النظام القاسي والشديد إلا أن جيفارا كان ينظر لدور القائد كالمعلم وكان يقوم بالترفيه لرجاله أثناء





فترات الراحة بين المناوشات وذلك بالقراءة لأمثال روبرت لويس ستيفنسون وسرفانتس والشعر الغنائي الإسباني. وصف الضابط القائد الكوبي فيدل كاسترو جيفارا بأنه ذكي وجريء وزعيم مثالي الذي كان له سلطة معنوية كبيرة على قواته. لاحظ كاسترو كذلك أن جيفارا يقوم بالكثير من المخاطرات حتى أن لديه ميل نحو التهور.

كان لجيفارا دور أساسي في إنشاء محطة إذاعية سرية المسمى راديو ريبيلدي في فبراير عام 1958 الذي تبث الأخبار للشعب الكوبي مع تصريحات من جانب حركة 26 يوليو ولم يتوفير الاتصال اللاسلكي بين عدد متزايد من المتمردين في أنحاء الجزيرة. كان من الواضح أن مصدر إلهام جيفارا لإنشاء محطة كان من خلال مراقبة فعالية وكالة المخابرات المركزية التي قدمت إذاعة لغواتيمالا لإسقاط حكومة جاكوبو أربينز غوزمان.



في أواخر يوليو عام 1958 لعب جيفارا دوراً حاسماً في معركة لاس مرسيدس باستخدام مجموعة محاربين لوقف استدعاء 1.500 رجال من قبل باتيستا كانتيو ضمن خطة لتطويق وتدمير قوات كاسترو, بعد سنوات قام الميجور لاري بوكمان من قوات المشاة البحرية الأمريكية بالتحليل وتقدير ووصف تكتيكات تشي لهذه المعركة بأنها رائعة. خلال هذا الوقت أيضاً أصبح





جيفارا الخبير الرائد في تكتيكات الكر والفر ضد جيش باتيستا حيث كان يقوم بالضرب ثم يتلاشى مرة أخرى في الريف قبل تمكن الجيش من الهجوم المضاد.

مع استمرار الحرب قام جيفارا بقيادة مجموعة جديدة من المقاتلين غرباً للقيام بدفعة نهائية تجاه هافانا, قام جيفارا بالسفر مشياً على الأقدام واستغرق الأمر 7 أسابيع شاقة حيث كان يتحرك ليلاً فقط لتجنب الكمائن وكثيراً كان لا يأكل لعدة أيام. في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام 1958 كان على جيفارا مهمة قسم الجزيرة إلى قسمين عن طريق الاستيلاء على مقاطعة لاس فيلياس, في غضون بضعة أيام نفذ سلسلة من الإنتصارات تكتيكية رائعة سمحت له بالسيطرة على جميع المقاطعات ولكن دون العاصمة سانتا كلارا, توجه جيفارا بكتيبته الانتحارية للهجوم على سانتا كلارا، التي أصبحت النهاية الحاسمة للإنتصار العسكري للثورة. في الأسابيع الستة التي سبقت معركة سانتا كلارا كانت هناك أوقات كانوا الرجال محاطين بالكامل والعدد متفوق عليهم وكادوا يغلبون, أنتصر تشي في نهاية المطاف على الرغم من الصعاب الهائلة والتفوق العددي للعدو الذي وصل إلى 10:1 وهذه



المعــارك تظل في رأي بعـض المراقبين حرب قــوة ملحوظة ورائعة في الحروب الحديثة.

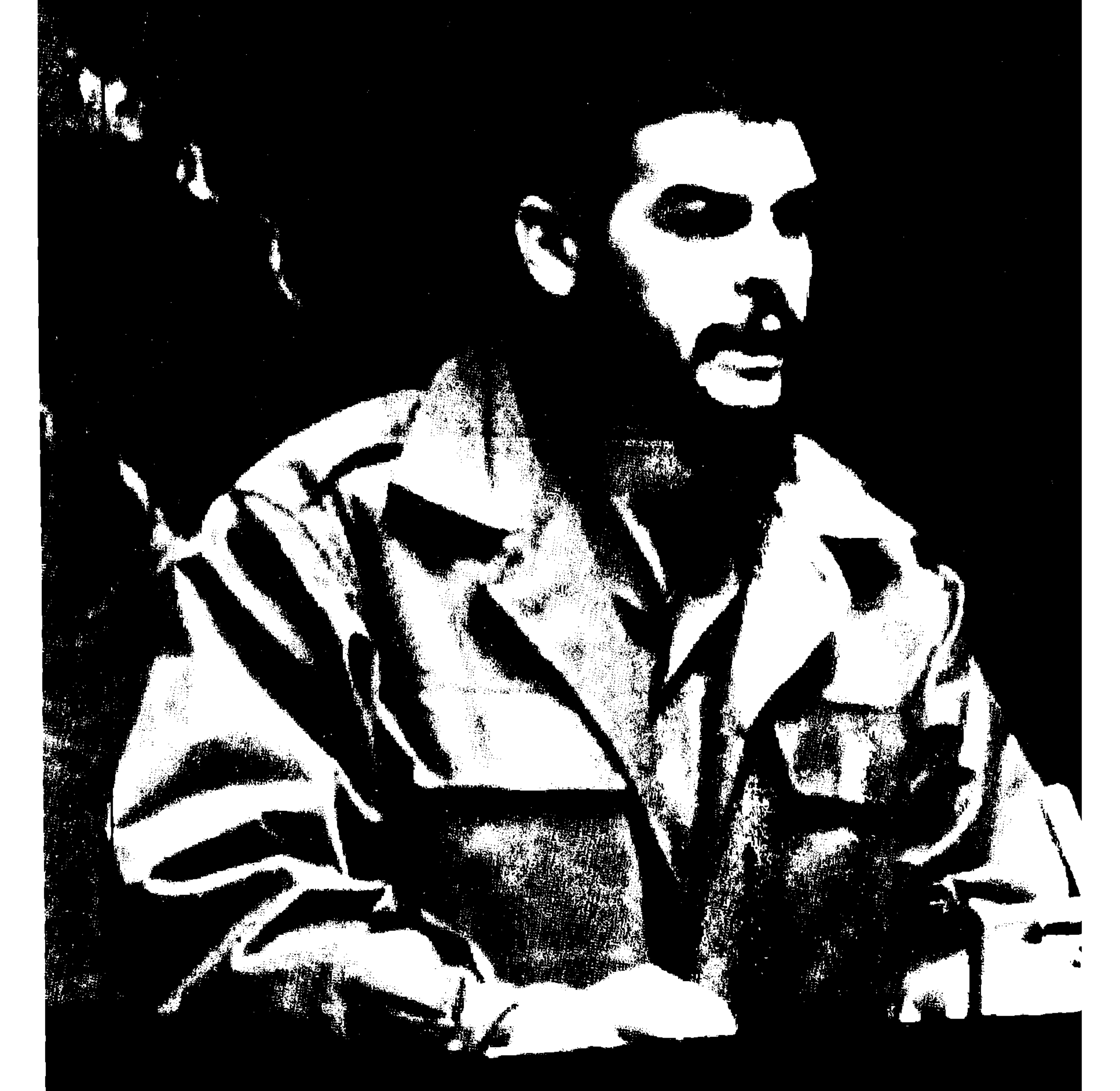
بــث راديــو ريبيلدي التقارير الأولــى لنجاح قوات جيفارا في احتلال ســانتا كلارا ليلــة رأس الســنة عــام 1958, تناقض هذا مع التقاريــر التي تخضع للرقابة المشددة الصادرة من وسائل الإعلام بالأخبار الوطنية الذين في مرحلة مــن المراحــل أعلنوا عن وفاة جيفارا أثناء القتال, في الســاعة 3 صباحاً في 1 يناير عام 1959 تم التفاوض على سلام منفصل مع جيفارا وصعد باتيستا على طائرة في هافانا وهرب إلى الجمهورية الدومينيكية مع ثروته التي تقدر بأكثر من 300.000.000 عن طريق الكسب غير المشروع والرشاوى. في يوم 2 يناير دخل جيفارا إلى هافانا للسيطرة النهائية على العاصمة. استغرق فيدل كاســترو أكثر من 6 أيام حتى وصل، وذلك لتوقفه لحشد الدعم في عدة مدن كبيرة في طريقه إلى هافانا في 8 يناير عام 1959.



في فبراير أعلنت الحكومة الثورية جيفارا مواطن كوبي المولد تقديراً لدوره في الانتصار. صدر قانون يعطي الجنسية والمواطنية الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد، ولم توجد هذه المواصفات سوى في جيفارا الذي عيّن مديرا للمصرف المركزي وأشرف على محاكمات خصوم الثورة وبناء الدولة في فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعي، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور - وبخاصة الجيش - حتى قامت الحكومة الشيوعية التي كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا في الخارج ومتحدثاً باسمها في الأمم المتحدة. عندما وصلت هيلدا جاديا إلى كوبا في أواخر شهر يناير قال جيفارا لها أن له علاقة مع امرأة أخرى واتفقا على الطلاق، الذي تم يوم 22 مايو. يوم 2 يونيو عام 1959 تزوج من أليدا مارش وهى عضو كوبي المولد من حركة 26 يوليو والتي كان يعيش معها منذ 1958.

صورة..

تشي جيفارا





لا كابانا وإصلاح الأراضي

خــلال التمــرد ضد نظام باتيســتا الدكتاتــوري، دخلت القيــادة العامة لجيش المتمردين بقيادة فيديل كاســترو إلى الأراضي المحررة من قانون العقوبات المعروف باســم لي دي لا ســييرا. هذا القانون يتضمن فرض عقوبة الإعدام على الجرائم الخطيرة للغاية ســواء التي ارتكبها الدكتاتور أو أنصار الثورة, في عام 1959 نشرت الحكومة الثورية تطبيق القانون على كامل الجمهورية وعلى الذين اعتبرتهم مجرمي حرب وقامت بالقبض عليهم بعد الثورة, وفقاً لــوزارة العــدل الكوبي هذا التعديل الأخير كان مدعوماً من غالبية الســكان، ويتبــع نفــس الإجراءات فــي محاكمات نورمبــرغ التي عقدهــا الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية.



لتنفيذ جزء من هــذه الخطة قام كاســترو بتنصيب جيفــارا قائد لســجن القلعــة لا كابانــا لمــدة خمس أشــهر (مــن 2 يناير إلى 12 يونيو 1959). اهتم جيفارا بتطهيــر جيش باتيســتا وتوطيد انتزاع فــوز "العدالة الثورية" ضــد الذيــن يعتبــرون خونــة (مخبريــن) أو مــن مجرمــي الحرب, أثنــاء عمل جيفارا في منصــب قائــد لســجن لا كابانا قــام باســتعراض التظلمات من المدانين خــلال عملية المحكمة الثوريــة. فــي بعــض الحالات كانــت العقوبة التــي أصدرتها



المحكمة هي الموت رميا بالرصاص. جادل راؤول غوميس تريتو مستشار الشؤون القانونية في وزارة العدل الكوبية بان عقوبة الاعدام كانت مبررة من أجل منع المواطنين انفسهم من تحقيق العدالة بأيديهم، كما حدث منذ عشرين عاماً في وقت سابق أثناء مكافحة تمرد جيراردو ماشادو. كتب السير الذاتية لاحظت أنه في يناير 1959 كان الجمهور الكوبي "مزاج الإعدام خارج نطاق القانون"، وأشار إلى استفتاء في تلك الفترة يظهر 93 % من التأييد الشعبي لعملية التحكيم, لقى 20.000 من الكوبيين مصرعهم على يد أعوان باتيستا، وكثير من الذين حكم عليهم بالإعدام كانوا متهمين بالتعذيب والاعتداءات البدنية، حكومة السلطة الحديثة نفذت عمليات الإعدام "دون احترام للإجراءات القانونية الواجبة". على الرغم من أن العدد الدقيق مختلف عليه, فمن المقدر أن عدة مئات من الأشخاص أعدموا خلال هذا الوقت.

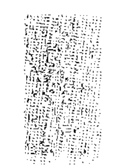


توجد آراء متضاربة حول مدى سعادة جيفارا إزاء عمليات الإعدام في مدينة لوس انجلوس بسجن لا كابانا، نشر بعض كتاب السيرة المعارضة تقرير بأنه استمتع بطقوس الاعدام رميا بالرصاص، ونظم لها بحماسة واندفاع. ولكن ما اعترف به جميع الاطراف هو ان جيفارا أصبح رجل أكثر صرامة لا يتورع عن تطبيق عقوبة الإعدام أو القيام بإجراءات سريعة أو القيام بالمحاكمات الجماعية, إذا كان السبيل الوحيد "للدفاع عن الثورة هو تنفيذ أحكام الإعدام

على أعدائها فإنه لن يتأثر بالحجج الإنسانية أو السياسية". ويعضد هذا الرأى رسالة وجدت في 5 فبراير 1959 بين لويس لوبيز باريديس في بوينس آيرس وجيفارا حيث أقر الأخير بشكل لا لبس فيه "إن إطلاق النار من قبل فرق الإعدام ليست مجرد ضرورة لشعب كوبا ولكنها أيضا فرض».

أهتم جيفارا بجانب ضمان "العدالة الثورية" في وقت مبكر بأمر رئيسى آخر وهو إصلاح الأراضي الزراعية, بعد نجاح الثورة على الفور تقريبا في 27 يناير 1959 ألقى تشي جيفارا واحداً من أهم خطاباته، حيث تحدث عن "الأفكار الاجتماعية لجيش المتمردين" وخلال هذا الخطاب أعلن أن الهم الرئيسي للحكومة الكوبية الجديدة هو "العدالة الاجتماعية والذي يأتى من إعادة توزيع الأراضي". وبعد بضعة أشهر في 17 مايو عام 1959 وضع "قانون الإصلاح الزراعي" ودخل حيز التنفيذ مما حدد حجم جميع المزارع







إلى 1.000 فدان, أي حيازات أكثر من هذه الحدود تمت مصادرتها من قبل الحكومة وإعادة توزيعها على الفلاحين في شكل 67 فدان أو قدمت للبلديات التــي تديرهــا الدولة. وينص القانون أيضاً على أنــه لا يمكن لمزارع قصب السكر أن تكون مملوكة من قبل الأجانب.

يوم 12 يونيو عام 1959 أرســل كاســترو جيفارا في جولة لمدة ثلاثة أشهر لأربعة عشــرة بلداً معظمها من حلف باندونغ ودول بأفريقيا وآســيا, إرسال جيفارا بعيداً عن هافانا ســمح لكاســترو بأن يبدو بعيداً عن تشــي الذي كان متعاطف مع الماركســية والتــي أزعجت كل من الولايــات المتحدة وبعض أعضاء حركة كاســترو حركة 26 يوليو. قضــى جيفارا 12 يوماً في اليابان (مــن يوليــو 15 إلى 27) وشــارك في المفاوضــات لتوســيع علاقات كوبا التجاريــة مــع هذا البلد، خلال هــذه الزيارة قام جيفارا ســراً بزيــارة مدينة

هيروشيما، حيث كان الجيش الأميركي قد فجر قنبلة نووية قبل 14 عاماً، صدم جيفارا مما شاهده خلال زيارته إلى المستشفى حيث كان به الناجين من القنبلة تحت العلاج.

لدى عودته إلى كوبا في سبتمبر 1959 كان لكاسترو الآن سلطة سياسية أكبر, كانت الحكومة قد بدأت في الاستيلاء على الأراضي المدرجة في قانون الإصلاح الزراعي، ولكن كان عليها التحوط وتقديم تعويضات لملاك الأراضي وبدلاً من ذلك قامت بتقديم ''سندات'' الفائدة المنخفضة مما وضع الولايات المتحدة في حالة تأهب. عند هذه النقطة مربي الماشية المتضررين من الأثرياء في ''كاماغوي'' قاموا بشن حملة ضد إعادة توزيع الأراضي مع المجندين حديثاً الساخطين وزعيم المتمردين هوبر ماتوس، الذي وقف جنباً إلى جنب مع الجزء المعارض للجناح الشيوعي وحركة 26 يوليو انضم اليهم في استنكار للتعدي الشيوعي, خلال هذا الوقت قدم دكتاتور



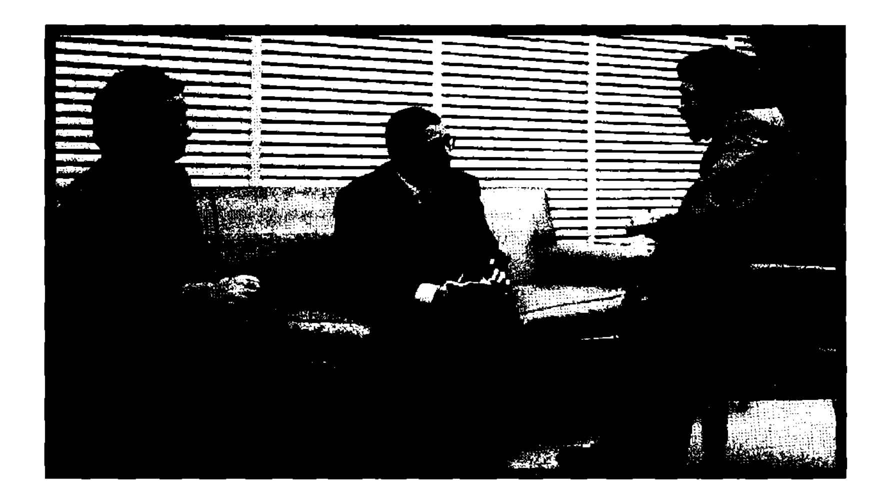


الدومينيـك "رافائيـل تروخيلو" المسـاعدة إلـى "فيلق مناهضة الشـيوعية لمنطقـة البحـر الكاريبي" الذي كان يتدرب في جمهوريـة الدومينيكان, هذه القوة متعددة الجنسيات في معظمها كانت مؤلفة من الأسبان والكوبيين وأيضاً من الكـروات والألمان واليونانييـن والجناح الأيمن للمرتزقـة، الذين كانوا يخططون للإطاحة بنظام كاسترو الجديد.

تزايدت هذه التهديدات يوم 4 مارس 1960 عندما حدث انفجارين قاموا بهز سفينة الشحن الفرنسية "لا كوبر" والتي كانت تحمل ذخائر بلجيكية من ميناء انتويرب، ورسـت في مرفأ هافانا, الانفجارين أسفرا عن مقتل ما لا يقل عن 76 شخصاً وإصابة عدة مئات وقديم جيفارا شخصياً الإسعافات الأولية لبعض الضحايـا, اتهم الزعيم الكوبي فيدل كاسـترو على الفـور وكالة المخابرات المركزيـة بالقيام "بالعمل الارهابي" وعقدت جنازة رسـمية في اليوم التالي لضحايا الانفجار. حضر حفل التأبين ألبرتو كوردا وأخذت الصورة الشهيرة لتشي جيفارا التي تعرف الآن باسم "زعيم حرب العصابات» .







هذه التهديدات المتصورة دفعت كاسترو للقيام بالمزيد من الثورة مضادة، والاستفادة من جيفارا بشكل جذري لزيادة سرعة إصلاح الأراضي لتنفيذ هذه الخطة أنشئت وكالة حكومية جديدة هي ''المعهد الوطني للإصلاح الزراعي'' (اينرا) كإدارة جديدة لتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وسرعان ما أصبحت هي أهم هيئة حكومية في البلاد برئاسة جيفارا بوصفه وزيراً للصناعة. تحت قيادة جيفارا نشأت الميليشية الخاصة لاينرا بقوامة 100.000 شخص وتستخدم أولاً لمساعدة الحكومة على السيطرة على الأراضي المصادرة والإشراف على التوزيع، وبعد ذلك لإنشاء المزارع التعاونية, شملت الأراضي المصادرة 480.000 فدان مملوكة لشركات أمريكية. وعلى سبيل الانتقام قام الرئيس الاميركي دوايت ايزنهاور بتخفيض حاد في الواردات من السكر الكوبي (المحصول النقدي الرئيسي لكوبا) مما جعل جيفارا يوم 10 يوليو عام 1960 بإلقاء خطاب أمام أكثر من 100.000 عامل امام القصر الرئاسي في مسيرة دعا فيها إلى شجب تصرف الولايات المتحدة ووصفه ''بالعدوان الاقتصادي''.





الرجل الجديد وخليج الخنازير وأزمة الصواريخ

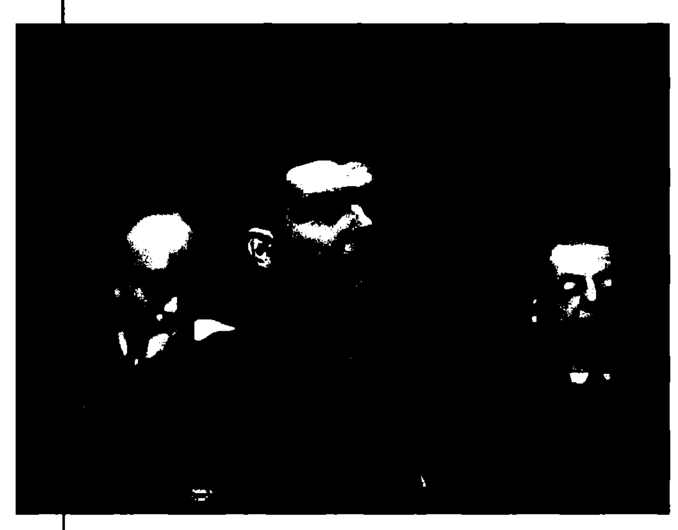
حصل جيفارا بعدها على وظيفة إضافية وهي منصب رئيس البنك الوطني والتي وضعت تشي في ذروة قوته إضافةً إلى كونه وزير الصناعة وجعلته القيصر "الافتراضي" للاقتصاد الكوبي. كان أول أهدافه هو أن يرى تنويع في اقتصاد كوبا فضلاً عن القضاء على الحوافز المادية لصالح الدوافع الأخلاقية, كان ينظر إلى الرأسمالية بوصفها مسابقة "بين الذئاب" حيث "لا يسع المرء إلا بالفوز على حساب الآخرين" وبالتالي المطلوب أن نرى إنشاء "الرجل والمرأة الجديدين". شدد جيفارا باستمرار على أن الاقتصاد الاشتراكي في حد ذاته لا "يستحق كل هذا الجهد والتضحية ومخاطر الحرب والدمار" إذا انتهى بتشجيع "الجشع والطموح الفردي على حساب





الروح الجماعية. وهكذا أصبح الهدف الرئيسي لجيفارا هو إصلاح "الوعي الفردي" والقيم على تقديم أفضل العمال والمواطنين. في رأيه كان على "الرجل الجديد" لكوبا أن يكون قادراً على التغلب على الأنانية وحب الذات الذين كان يكرههم بشكل شديد لأنهم سمه من سمات الأفراد في المجتمعات الرأسمالية. قال جيفارا ما يلي في وصف هذا الأسلوب الجديد من التنمية:

هناك فرق عظيم ما بين تنمية المشاريع الحرة وبين التنمية الثورية في إحداهما تتركز الثروة في أيدي محظوظين قليلين أصدقاء الحكومة، وأفضل تجار السيارات والدراجات النارية وفي الآخر تتركز الثروة في تراث الشعب.



من معتقدات جيفارا أن هناك جزء لا يتجزأ من مواصلة تعزيز الشعور "بالوحدة الوطنية بين الفرد والجماعة" وهو العمل التطوعي. لعرض هذا قام جيفارا بالقيادة وتقديم المثل، وهذا عن طريق العمل "إلى ما لا نهاية في وظيفته في الوزارة في مجال البناء وحتى قطع قصب السكر" في أيام عطلته. كان معروفاً بالعمل 36 ساعة متواصلة داعياً لاجتماعات بعد منتصف الليل وتناول الطعام بشكل عارض. وكان هذا السلوك يليق بجيفارا في طريقته الجديدة للتحفيز المعنوي حيث أن كل عامل كان المطلوب منه الآن تلبية حصة وإنتاج عدد معين من السلع ومع ذلك تم إلغاء الزيادات في الأجور وذلك بتقديم بديل وهو نظام يسمح للعمال عند تجاوز حصتهم الحصول على شهادة ثناء في حين أن العمال الذين فشلوا في الوفاء بحصصهم يتم تخفيض أجورهم. دافع جيفارا عن فلسفته الشخصية





والدافع ورائها قائلا :

هذا لا يعني كم يستطيع أحدهم أن يأكل ولا يعني كم مرة يذهب إلى الشاطئ في السـنة أو كم قطعة من الحلي يسـتطيع أحدهم أن يشتري من خارج البلاد بمصروفه الحالي ما يهم فعلاً هو أن يشعر الفرد أكثر اكتمالاً مع ثراء داخلي أكبر ومسؤولية أكبر.

بغـض النظر عن مزايـا أو عيوب المبـادئ الاقتصادية لجيفـارا وبرامجه الذي انتهى قريباً بالفشـل. برنامج جيفارا " للحوافز المعنوية" للعمال تسبب بانخفاض سـريع في الإنتاجية وارتفاع سريع في التغيب عن العمل. في 17 نيسـان 1961 دربت الولايـات المتحدة 1400 من المنفييـن الكوبيين لغزو الجزيرة في حادثة غزو خليج الخنازير, لم يلعب جيفارا بنفسـه دوراً أساسياً في القتال لأنه قبل يوم من الغزو قامت سفينة حربية تنقل قوات مشاة البحرية مزورة بالغزو قبالة الساحل الغربي لبينار دل ريو، وتم توجيه القوات بقيادة جيفـارا إلى تلـك المنطقة. ومع ذلك يعطي المؤرخـون جيفارا الفضل حيث كان مديراً تنفيذياً للقوات المسلحة الكوبيه في ذلك الوقت ومن حقة حصة من هذا النصر. شـرح الكاتب تاد شـولك الفوز الكوبي الذي يسند بعض الفضل





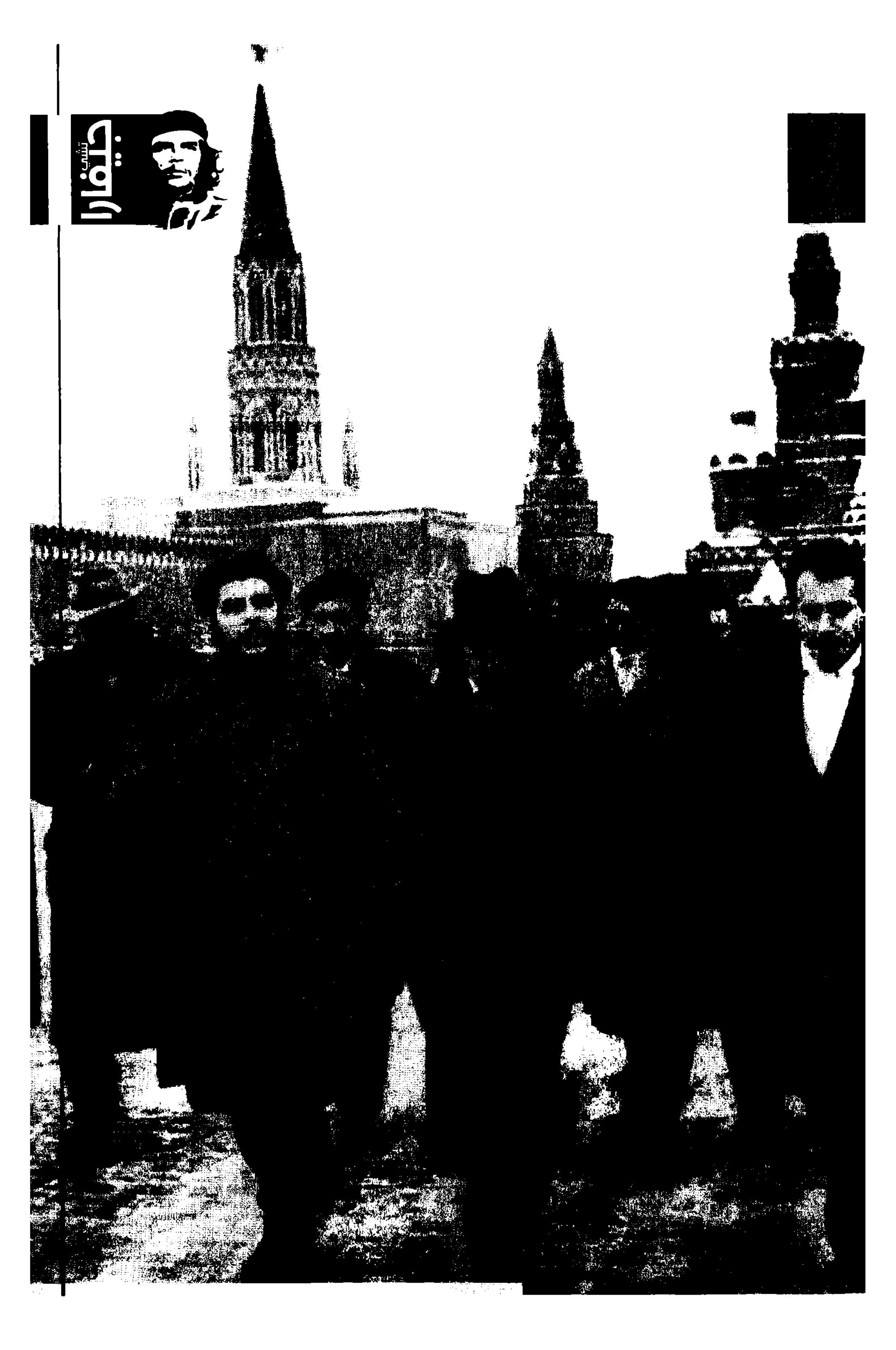
لجيفارا قائلا : إن الثوريين فازوا لأن تشي جيفارا بصفته رئيساً للإدارة القوات المسلحة الثورية والمسؤول عن برنامج تدريب الميليشيات قاموا بإعداد جيد جداً ل200.000 من الرجال والنساء للحرب. كما أصيب جيفارا خلال هذا الانتشار من مرور رصاصة بخده من مسدسه عندما سقط من الحافلة وانطلقت الطلقة بطريق الخطأ.

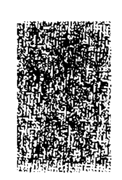
في أغسطس 1961 على هامش المؤتمر الاقتصادي لمنظمة الدول الأمريكية في بونتا دل استي في أوروغواي، أرسل تشي جيفارا مذكرة "امتنان" للرئيس الاميركي جون كينيدي عن طريق ريتشارد غودوين - وهو سكيرتير شاب في البيت الأبيض - نصها كما يلي : شكراً لما حدث في (خليج الخنازير) قبيل هذا الغزو كان الثوار غير واثقين من انفسهم والآن هم أقوى من أي وقت مضى. قام وزير الخزانة دوغلاس ديلون بعرض رداً من الولايات المتحدة للتحالف من أجل التقدم التصديق عليه من قبل الجلسة وهاجم جيفارا بعدوانية مطالبة الولايات المتحدة بكونها ديمقراطية مشيراً



إلـــى أن مثـــل هذا النظام لا يتوافق مع ما يحدث مـــن الطغمة المالية والتمييز ضد السود والاعتداء من قبل جماعة كو كلوكس كلان. استمر جيفارا متحدثاً ضـــد الاضطهاد أنه في رأيه قاد علمـــاء مثل اوبنهايمر لعزلهم من وظائفهم، انهى جيفارا تصريحاته بتلميح ســـاخراً من أن الولايات المتحدة ليست مهتمة بإقامة إصلاحات حقيقية الخبـــراء الأمريكيين لا يتحدثون أبدا عن الإصلاح الزراعي ويفضلون مواضيع آمنة مثل تحسين امدادات المياه, باختصار يبدو أنها تستعد لثورة المراحيض.

كان جيفارا مهندس عملياً للعلاقات الكوبية السوفيتية، ثم لعب دوراً رئيسياً في جلب الأســـلحة النووية والصواريخ الباليستية إلى كوبا من الاتحاد السوفيتي والتـــي أدت إلى أزمـــة الصواريخ الكوبية في أكتوبـــر 1962 وجعلت العالم على شـــفى الحرب النووية. خلال مقابلة مع الصحيفة الشـــيوعية البريطانية العمال اليومية بعد أسابيع قليلة من الأزمة كان جيفارا لا يزال غاضباً بسبب الخيانة المتصورة من السوفييت وذكر انه إذا كانت الصواريخ تحت السيطرة الكوبية لكانوا قد أطلقوها على الفور. المراســـل البريطاني ســـام راسل الذي تحدث إلى جيفارا في ذلك الوقت أشـــار إلى مشـــاعر مختلطة واصفاً اياه بأنه شـــخصية دافئة وأنه رجل اســـتخبارات كبير لكن الصواريخ بالنســـبة له هي كالمفرقعات, أزمة الصواريخ اقنعت جيفارا بأن اثنين من القوى العظمى في العالم - الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي - تستخدم كوبا بمثابة رهان في اســـتراتيجياتها العالمية. بعد ذلك أصبح يندد بالســـوفيات تقريباً مع كل شجب للأمريكيين.


تشي جيفارا





نضالاته

كره تشي اتكال الثورة الكوبية على الاتحاد السوفيتي، واستمر في ابتكار وسائل أخرى للحصول على التمويل وتوزيعه. ولأنه الوحيد الذي درس فعلا أعمال كارل ماركس بين قادة حرب العصابات المنتصرين في كوبا، فإنه كان يحتقر التحريفيين ومافيا الحزب الذين صعدوا على أكتاف الآخرين في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، وفي كوبا أيضا.

كشف (آي إف ستون) كيف انهمك تشي جيفارا في نقاش علني، أثناء مؤتمر في مدينة بونتي ديل استي بأوروجواي مبكراً في 1961 (وهو المولود في الأرجنتين حيث درس الطب هناك) مع بعض شباب اليسار الجديد من نيويورك. أثناء تلك المناقشة، مر بهم اثنان من جهاز الحزب الشيوعي الأرجنتيني. لم يستطع جيفارا أن يمنع نفسه من الصياح بصوت عال، "هيي، لماذا أنتم هنا، أمن أجل أن تبدأوا الثورة المضادة؟»

مثّل تشي الكثيرين في الحركة الناشئة إرادتهم على الحركات الثورية للسكان الأصليين.

وبالفعل فإن الثورة في كوبا، على عكس المفاهيم المعاصرة للكثيرين في الولايات المتحدة اليوم، كانت مستقلة، وفي بعض الأحيان معارضة للحزب الشيوعي الكوبي. ولقد أخذ بناء مثل هذه العلاقة -التي لم يكن من السهل صنعها- عدة سنوات فقط بعد الثورة ونجحت في أخذ سلطة الدولة وتأسيسها، دافعة إلى الاندماج بين القوى الثورية والحزب -الاندماج الذي لم يضع نهاية لمشاكل جيفارا والثورة الكوبية نفسها.

إحدى تلك المشاكل هي اعتماد كوبا المتزايد على الاتحاد السوفيتي (في بعض الأوجه يماثل الاعتماد المتزايد لبعض المنظمات الراديكالية على منح المؤسسات في صورة أموال ولوازم لولبية أخرى). قررت الحكومة أثناء احتياجها اليائس للنقد من أجل شراء لوازم شعبها الضرورية - وبعد نقاش





مريــر - قــررت أن تضيع فرصة تنويــع الزراعة في كوبا من أجل التوســع في محصولها النقدي الرئيســي، قصب الســكر، الذي يتم تبادله أمام البترول السوفيتي، لتستهلك جزء من هذا البترول وتعيد بيع الباقي في السوق العالمي. وبالتدريج فقدت كوبا، بالرغم من تحذيرات تشــي (والآخرين)، القدرة على إطعام شــعبها نفســه -وهي المشــكلة التي بلغت أبعادا مدمرة بانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991.

وهي نفس الأزمات التي أحدقت بالاتحاد الســوفيتي والدول التي كان معترفا بها كدول اشتراكية عندما سعوا وراء النموذج الصناعي للتنمية وحاولوا أن يدفعوا ثمنه بالإنتاج والتنافس في السوق العالمي. كان رد فعل تشي: لا تنتج من أجل الســوق العالمي. ارفض تحليلات التكلفة/المنفعة (cost/benefit) كمعيــار لما ينبغي إنتاجه. آمن تشــي بأن المجتمع الجديــد حقيقة، وعليه أن يجعل طموحه هو ما يحلم به شعبه من أجل المستقبل، وأن يعمل على تنفيذه فورا في كل أوان ومكان. وحتى تبلغ ذلك، على الثورات الشيوعية أن ترفض معيــار "الكفاءة" وعليها أن ترعى المحاولات المجتمعية المحلية حتى تخلق مجتمعا أكثر إنسانية بدلاً من ذلك.





الدبلوماسية العملية

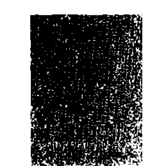
سافر تشي جيفارا في كانون الأول 1964 لمدينة نيويورك على رأس الوفد الكوبي لإلقاء كلمة في الأمم المتحدة, وخلال كلمته الحماسية انتقد جيفارا عدم قدرة الأمم المتحدة لمواجهة السياسة "الوحشية ونظام الفصل العنصري" في جنوب أفريقيا وأعلن "ألا يمكن للأمم المتحدة أن تفعل شيئا لوقف هذا الأمر؟" ثم شجب جيفارا سياسة الولايات المتحدة تجاه السكان السود قائلا :

أولئك الذين يقتلون أطفالهم ويميّزون بينهم كل يوم بسبب لون بشرتهم, الذين سمحوا لقتلة السود بالبقاء أحراراً, وقاموا بحمايتهم, وإضافةً إلى ذلك عاقبوا السود لأنهم طالبوا بحقوقهم المشروعة بالعيش كرجال أحرار, من هم أولئك الذين جعلوا من أنفسهم حراساً للحرية؟

واختتم جيفارا خطابه ساخطا من خلال قراءة الفقرة الثانية لإعلان هافانا معلناً أمريكا اللاتينية عائلة من 200 مليون أخ يعانون من نفس البؤس. أعلن جيفارا أن هذه الملحمة من شأنها أن تكون مكتوبة من قبل "جماهير الهنود الجياع والفلاحون المنتزعين من الأرضي والعمال المستغلون والجماهير التقدميين".



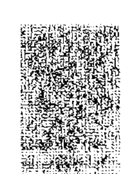




الصــراع لجيفــارا كان صراعا علــى الكتلة والأفكار والتي ســوف يحملها ''الذين يتم معاملتهم بسوء واستهزاء من قبل الامبريالية'' التي كانت تعتبرهم في السابق ''قطيع من الضعفاء وخانعين''. مع هذا القطيع أكد جيفارا الآن أن احتكار الرأسمالية اليانكية مخيف وسيتسبب ''بحفر قبورهم.'' أضاف جيفارا أنه سيكون في خلال هذه الساعة من ''الدفاع'' أن تبدأ جموع ''المجهول'' في كتابة تاريخها الخاص ''بدمها'' واســتعادة هذه الحقوق التي كان يُســخر منها لمدة 500 سنة.

أضــاف جيفارا فــي ملاحظاته إلى الأمــم المتحدة إلى الجمعيــة العامة على افتراض أن هذه ''الموجة من الغضب'' ســوف ''تجتاح الأراضي في أمريكا اللاتينيــة'' وجماهير العمال الذيــن ''يدورون عجلة التاريــخ'' للمرة الأولى ســيقومون ''بالصحوة المفتقدة منذ فترة طويلة من وحش النوم الذي كانوا قد تعرضوا له.







في وقت آخر علم جيفارا أنه تعرض لمحاولتين إغتيال فاشلتين لاغتياله من قبل المنفيين الكوبيين أثناء توقفه في مجمع الأمم المتحدة. المحاولة الأولى من مولي غونزاليس الذي حاول اختراق الحواجز لدى وصوله ومعه سكين صيد طولها سبعة بوصة، والثانية خلال خطابه من قبل غييرمو نوفو الذي كان يحمل جهاز توقيت حيث كانت هناك بازوكا سيتم إطلاقها من قارب في نهر الشرق على مقر الأمم المتحدة. بعد ذلك علق جيفارا على كلا الحادثين على أنه: من الأفضل أن أقتل على يد امرأة بسكين من أن أقتل من رجل يحمل بندقية في حين اضاف قائلاً مصاحباً موجة من دخان السيجار من فمه: ان الانفجار كان سيجعل الأمر أكثر نكهة.

بينما كان تشي جيفارا في مدينة نيويورك ظهر على شبكة سي بي اس في برنامج صنداى للأخبار برنامج واجه الأمة، والتقى مع مجموعة من الناس، منهم السناتور الاميركي يوجين مكارثي شركاء لمالكوم إكس, مالكولم إكس الذي ابدى اعجابه بجيفارا معلنا أنه أحد الرجال الأكثر ثورية في هذا البلد الآن بينما كان يقرأ بياناً له أمام حشد في قاعة أودوبون.









غادر جيفارا لباريس في 17 ديسـمبر في جولة لمدة ثلاثة أشـهر واشـتملت على شعب جمهورية الصين الشعبية، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، الجزائر، غانا، غينيا، مالي، داهومي، والكونغو برازافيل وتنزانيا، مع توقف فـي ايرلنـدا ووبراغ. بينمـا كان جيفارا في ايرلندا قـام بالاحتفال بتراث بلده الايرلندي في مناسـبة عيد القديس باتريك في مدينة ليميريك. كتب إلى والده عن هذه الزيارة قائلا بخفة دم: أنا في ايرلندا الخضراء الخاصة بأسلافك عندما اكتشف التلفزيون [المحطة] جاءوا ليسألوني عن نسبي لعائلة لينش ولكن في حال كانوا لصوصا أو شيء من هذا القبيل، لم أقل لهم أشياء كثيرة.



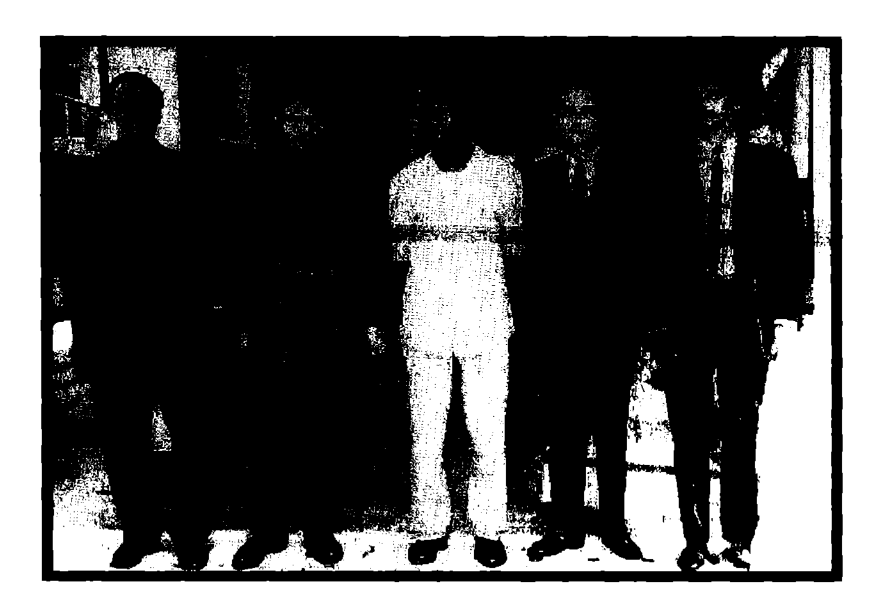
جيفارا وجمال عبدالناصر


تشي
جيفارا






تشي
جيفارا








تشي
جيفارا





خلال هذه الرحلة كتب رسالة إلى كارلوس كيخانو محرر في جريدة أسبوعية في أوروغواي، التي تم تسميتها آنفاً بعنوان الاشتراكية والإنسان في كوبا. ورد في مقال لجيفارا تلخيص لأفكاره عن خلق نوع جديد من الوعي وحالة جديدة للعمالة والعمل والأدوار الفردية. جيفارا أنهى مقاله معلنا أن "الثوري الحقيقي يسترشد بالشعور العظيم للحب" وطلب من جميع الثوريين "كافحوا كل يوم حتى يتحول هذا الحب تجاه البشر الذين يعيشون إلى أعمال يحتذى بها"، وبذلك نصبح "قوة محركة».

ألقى جيفارا ما أصبح خطابة الأخير في الجزائر يوم 24 فبراير 1965 الذي كان آخر ظهور علني له على المسرح الدولي في ندوة اقتصادية عن التضامن الأفرو - آسيوي. قام جيفارا بالتركيز على الواجب الأخلاقي للبلدان الاشتراكية واتهمهم بالتواطؤ الضمني مع الدول الغربية المستغلة. انتقل إلى الخطوط العريضة لعدد من التدابير التي قال فيها أن دول الكتلة الشيوعية يجب أن تنفذها من أجل هزيمة الامبريالية. وقد انتقد الاتحاد السوفياتي (الداعم المالي الرئيسي لكوبا) بطريقة عامة، وعاد إلى كوبا في 14 مارس إلى حفل استقبال رسمي من قبل فيدل وراؤول كاسترو، أوزفالدو دورتيكوس وكارلوس رافائيل رودريغيز في مطار هافانا.





اختفاء جيفارا

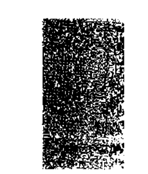
في عام 1965 بعد ذلك بأسبوعين قل ظهور جيفارا في الحياة العامة ومن ثم اختفى تماماً. كان مكان وجوده لغزاً كبيراً في كوبا حيث كان ينظر إليه عادة باعتباره الرجل الثاني في السلطة بعد كاسترو نفسه. اختفائه نسب بأشكال مختلفة إلى فشل خطة التصنيع حين كان وزير الصناعة، وإلى الضغوط التي كانت تمارس على كاسترو من قبل المسؤولين السوفيتيين الرافضين لسياسة جيفارا الموالية للصين الشيوعية حول الانقسام بين الصين والاتحاد السوفيتي.
كانت هناك خلافات خطيرة بين جيفارا وكاسترو في كوبا فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية والخطة المجتمعية. بداء كاسترو يأخذ حذره من تزايد شعبية جيفارا واعتبره تهديدا محتملا.
وتزامنت وجهات نظر جيفارا مع النظريات التي اوردتها القيادة الشيوعية الصينية والتي سببت مشكلة متنامية بالنسبة لكوبا بالنسبة لاقتصاد البلاد الذي أصبح أكثر وأكثر اعتماداً على الاتحاد السوفياتي. كان جيفارا منذ الأيام الأولى للثورة الكوبية في نظر الكثيرين من المدافعين عن استراتيجية الماوي في أمريكا اللاتينية والمنشئ لخطة التصنيع السريع لكوبا التي كان يتم كثيراً مقارنتها مع الصين بعبارة "القفزة الكبرى إلى الامام". كاسترو أصيب بالضجر من جيفارا، ويرجع ذلك إلى أن جيفارا كان يعارض الشروط السوفياتية والتوصيات التي رأى كاسترو أنها ضرورية. في حين وصفها جيفارا بأنها فاسدة شبة احتكارية. وبالرغم من ذلك كان كل من كاسترو وإرنيستو جيفارا يدعمان علنا فكرة تشكيل جبهة موحدة.
في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية وما رآه جيفارا على أنه خيانة من قبل الجهة السوفياتية حين قام نيكيتا خروتشوف بسحب الصواريخ من الأراضي الكوبية، أصبح جيفارا أكثر تشككاً في الاتحاد السوفياتي كما ظهر في خطابه الأخير في الجزائر انه جاء ليشاهد حال نصف الكرة الأرضية الشمالي، الذي تقوده الولايات المتحدة في الغرب والاتحاد السوفياتي في الشرق، والمستغل لنصف الكرة الأرضية الجنوبية. كان يؤيد بشدة فيتنام الشمالية الشيوعية في حرب فيتنام، وحث شعوب البلدان النامية الأخرى لحمل السلاح، وخلق "الكثير من الفيتناميين».


تشي
جيفارا



بعد تعرض كاسترو لضغوط دولية بشأن مصير جيفارا صرح في 16 يونيو 1965 أن الشعب سيتم تعريفة عندما يعلن جيفارا بنفسه عن رغبته في السماح لهم بمعرفة أخبار عنه. ومع ذلك انتشرت الشائعات داخل وخارج كوبا. وفي 3 أكتوبر كشف كاسترو عن رسالة غير مؤرخة منسوبة إلي جيفارا مرسله من عده أشهر: أشار فيها جيفارا من جديد إلى تضامنه الدائم مع الثورة الكوبية ولكنه أعلن عن نيته لمغادرة كوبا من أجل القتال من أجل القضايا الثورية في الخارج. إضافة إلى ذلك استقال جيفارا من جميع مناصبه في الحكومة والحزب وتخلى عن الجنسية الكوبية الفخرية. وظلت تحركات جيفارا محاطة بالسرية للسنتين المقبلتين.

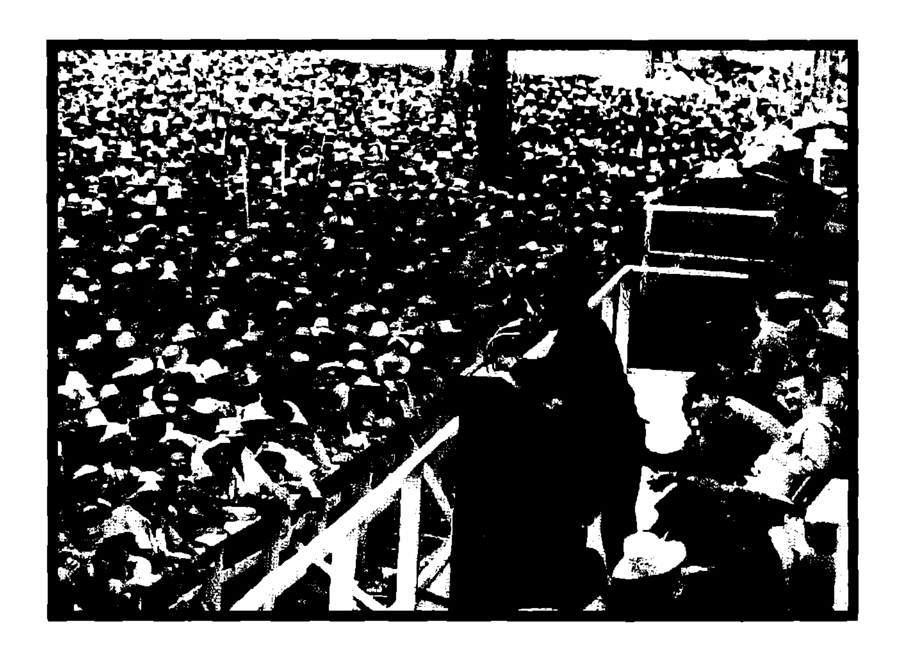




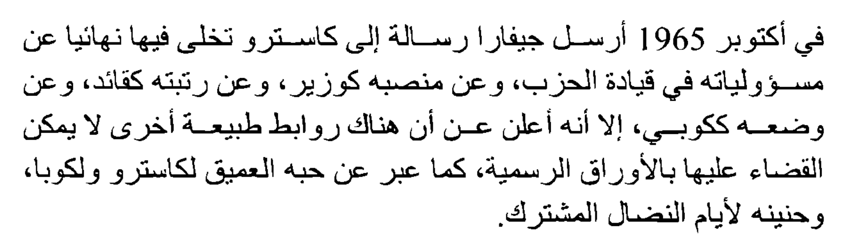
إعلان اختفاؤه

نشــرت وكالة الاســتخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعي فيها اختفاء إرنســتو جيفارا في ظروف غامضة، ومقتله على يد زميله في النضـال القائد الكوبي فيدل كاسترو، مما اضطر الزعيم الكوبي للكشف عن الغموض الذي اكتنف اختفائه من الجزيرة للشــعب الكوبي فأدلى بخطابه الشــهير الذي ورد في بعض أجزائه ما يلي:

لدي هنا رســالة كتبت بخط اليد، من الرفيق إرنستو جيفارا يقول فيها: أشعر أنــي أتممت ما لدي من واجبات تربطنــي بالثورة الكوبية على أرضها، لهذا أستودعك، وأســتودع الرفاق، وأستودع شــعبك الذي أصبح شــعبي. أتقدم رســميا باســتقالتي من قيادة الحزب، ومن منصبي كوزير، ومن رتبة القائد، ومن جنسيتي الكوبية، لم يعد يربطني شيء قانوني بكوبا.







في أكتوبر 1965 أرسل جيفارا رسالة إلى كاسترو تخلى فيها نهائيا عن مسؤولياته في قيادة الحزب، وعن منصبه كوزير، وعن رتبته كقائد، وعن وضعه ككوبي، إلا أنه أعلن عن أن هناك روابط طبيعة أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية، كما عبر عن حبه العميق لكاسترو ولكوبا، وحنينه لأيام النضال المشترك.

أكدت هذه الرسالة إصراره على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية، بل كثائر يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر. ثم أوقف مساعيه الثورية في الكونغو وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضية عالمية أخرى. وقد قال في ذلك: إن الثورة تتجمد وإن الثوار ينتابهم الصقيع حين يجلسون فوق الكراسي، وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمدة داخلي.







الكونغو

قــرر جيفارا المغادرة إلى أفريقيا في عام 1965 ليقدم علمه وخبرته بوصفه خبيــر في حرب العصابات إلى الصراع الجاري فــي الكونغو. وفقا للرئيس الجزائــري أحمــد بن بلة، كان جيفــارا يعتقد أن أفريقيا هــي الحلقة الضعيفة للإمبريالية، وبالتالي قد تنطوي على إمكانات هائلة للثورة. الرئيس المصري جمــال عبــد الناصر الذي كانــت تجمعه علاقات أخوية مع تشــي التي يعود تاريخهــا إلى عام 1959 خــلال زيارة إلى مصر، كان يــرى خطط جيفارا للقتال في الكونغو بأنها ''غير حكيمة'' وحذر من انه سيصبح مثل ''طرزان'' هناك وهى تجربة محكوم عليها بالفشــل. على الرغم من التحذير قاد جيفارا عملية الدعم الكوبي للحركة الماركسية سيمبا التي انبثقت بعد استمرار أزمة الكونغو. وصل جيفارا ورجله الثاني في القيادة فيكتور دريكى و 12 أخرون مــن الحملة الكوبية إلى الكونغو في 24 أبريــل 1965 ليكونوا وحدة قوامها نحو 100 من المنحدرين من أصل كوبي انضمت اليهم بعد ذلك بقليل.



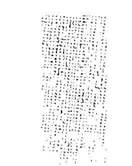


كمــا تعــاون لفترة مع زعيم المتمردين لوران ديزيريه كابيلا الذي ســبق له ان ســاعد مؤيدي باتريس لومومبا الذي تم اغتياله من قبل وكالة المخابرات المركزيــة الأمريكيــة الذي قاد حركة تمرد من قبل وكتب عليها الفشــل. لقد كان جيفارا معجباً بالراحل لومومبا وأعلن ان "قتله يجب أن يكون درسا لنا جميعا." ولكن ســرعان ما خاب أمله في انضباط قوات كابيلا وقال عنه "لا شيء يدفعني إلى الاعتقاد بانه هو رجل الساعة».

عمل مرتزقة جنوب أفريقيا بقيادة مايك هور بالتنســيق مع المنفيين الكوبيين ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية وكذلك جيش الكونغو الوطني لإحباط جيفارا. كانوا قادرين على رصد رسائله، وحتى استباق هجماته وقطع خطوط الامداد. على الرغم من أن جيفارا سعى إلى اخفاء وجوده في الكونغو إلا أن حكومة الولايات المتحدة كانت على علم بماكنه والأنشطة التي يقوم بها: وكالة الأمن القومي كانت تعترض جميع الاتصالات الواردة والصادرة عبر معدات على متن السفينة "يو اس ان اس الجندي خوسيه واو فالديز"، وكانت تجوب عائمة لهذا الغرض للاستماع بشكل مستمر في المحيط الهندي قبالة دار السلام.









كان هدف جيفارا هو تصدير الثورة عن طريق إيعاز القوى المحلية المعادية لموبوتو المقاتلين سيمبا عن الفكر الماركسي واستراتيجيات نظرية فوكو عن حرب العصابات. في يوميات الكونغو التي كتبها يذكر عدم الكفاءة والتعنت والصراع الداخلي بين القوات الكونغولية المحلية من ضمن الأسباب الرئيسية لفشل الثورة. ثم غادر جيفارا الكونغو من نفس العام بسبب مرضة بالزحار وكان أيضا يعاني من الربو الحاد وسبعة أشهر من خيبة الأمل والإحباط وذلك بصحبة الناجيين الكوبيين (ستة أعضاء من فرقته كانوا قد ماتوا). كان جيفارا يفكر في إرسال الجرحى إلى كوبا، والقتال في الكونغو وحده حتى الممات، على سبيل تقديم المثل الأعلى للثوار والثورة، ولكن بعد أن حثه رفاقه وضغطوا عليه من قبل اثنين من المبعوثين التي بعث بهم كاسترو وافق في آخر لحظة على مضض أن يتراجع عن خطته. في الحديث عن الكونغو، خلص جيفارا إلى ان "العنصر البشري فشل. لا توجد إرادة للقتال، والقادة فاسدون، باختصار لم يكن هناك شيء يمكنني القيام به. بعد أسابيع قليلة، عند كتابة مقدمة لمذكراته عن مشروع الكونغو، بدأ كتابته : "هذا هو تاريخ الفشل.»





كان جيفارا مترددا بشأن العودة إلى كوبا، وذلك لأن كاسترو نشر رسالته للجمهور والتي كانت "رسالة وداع" والتي كان يجب نشرها فقط في حالة وفاته حيث قال انه قطع كل العلاقات من أجل تكريس نفسه للثورة في جميع أنحاء العالم نتيجةً لهذه الرسالة، أمضى جيفارا الأشهر الستة المقبلة في الخفاء في دار السلام وبراغ. خلال هذا الوقت أعد مذكراته عن تجربة الكونغو، وكتب مسودات لكتابين آخرين واحد عن الفلسفة والآخر عن الاقتصاد. ثم زار عدة بلدان في أوروبا الغربية لاختبار أوراق هويته المزيفة، التي زورها في الاستخبارات الكوبية لسفره إلى اميركا الجنوبية لاحقاً. عندما كان جيفارا يستعد للذهاب إلى بوليفيا كتب رسالة إلى أطفاله الخمسة لتقرأ عند وفاته، والتي انتهت بوصيه:

وفوق كل شيء كونوا قادرين دوماً على الإحساس بالظلم الذي يتعرض له أي إنسان مهما كان حجم هذا الظلم وأياً كان مكان هذا الإنسان هذا هو أجمل ما يتصف به الثوري وداعاً إلى الأبد يا أطفالي وإن كنت لا زلت آمل أن أراكم مرة أخرى لكم جميعاً قبلة كبيرة وحضن كبير كبير من بابا.







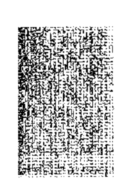
بوليفيا

مكان جيفارا ظل مخفيا عن العامة. ممثلو حركة استقلال موزامبيق وجبهة التحرير الموزمبيقية، ذكرت أنها التقت بجيفارا في أواخر عام 1966 أو أوائل 1967 في دار السلام فيما يتعلق بعرضه للمساعدة في مشروعاتهم الثورية والتي قوبلت بالرفض في نهاية المطاف. أعلن اللواء خوان الميدا القائم بأعمال وزير القوات المسلحة في الخطاب الذي ألقاه في عام 1967 لعيد العمال أمام حشد في هافانا أن جيفارا كان "في خدمة الثورة في مكان ما في أميركا اللاتينية". التقارير المستمرة عن أنه كان يقود الثوار في بوليفيا تبين في نهاية المطاف أنها كانت صحيحة.

بناء على طلب كاسترو تم شراء قطعة ارض من الغابات الجافة الجبلية في منطقة نائية بنانكاهوازو من قبل الشيوعيين الأصليين في بوليفيا لتشي جيفارا حتى يستخدمها كمنطقة تدريب ومعسكر لقاعدة الثوار.







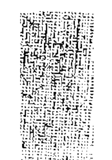


التدريب في هذا المخيم في وادي نانكاهوازو أثبت أنه أكثر خطورة من القتال بالنسبة إلى جيفارا والكوبيين الذين يرافقونه. تم انجاز القليل في سبيل بناء جيش حرب العصابات. المتحدثة السابقة للستازي هايدي تامارا بونكة بايدر، كان قد تم تعيينها وكيله رئيسية في لاباز، وأفيد أيضا أنها كانت تعمل لحساب الكي جي بي وقالت مصادر غربية عدة انها خدمت بدون قصد المصالح السوفياتية حيث دلت السلطات البوليفية على درب جيفارا.

قوة جيفارا التي بلغ عددها نحو 50 شخص التي كانت تعمل تحت اسم جيش التحرير الوطني (جيش التحرير الوطني لبوليفيا) كانت مجهزه تجهيزاً جيداً وحققت عدداً من النجاحات المبكرة ضد بوليفيا في هذه المنطقة الوعرة من كاميري الجبلية. ولكن في سبتمبر / أيلول تمكن الجيش من القضاء على اثنين من جماعات حرب العصابات في معركة عنيفة وتردد أنها قتلت واحدا من القادة.

خطة جيفارا لتأجيج ثورة في بوليفيا فشلت وعلى ما يبدو كان ذلك للأسباب التالية :

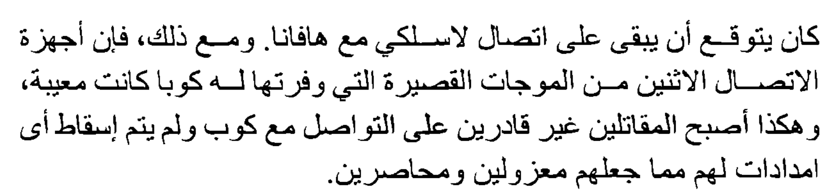




كان يتوقــع أن يتعامــل فقــط مع الجيــش البوليفي، الذي كان ســيئ التدريب والتجهيــز. بدلاً من ذلك لم يكن جيفارا على علــم بان الحكومة الأمريكية قد ارسلت فريقاً من وكالة المخابرات المركزية من قوات الكوماندوس الخاصة قسم النشاطات وناشطين آخرين إلى بوليفيا للمساعدة في جهود مكافحة التمرد. الجيــش البوليفي تم تدريبه ونصحه، من قبل القــوات الخاصة الأمريكية بما في ذلك كتيبة نظمت مؤخراً تحتوى على نخبة من رينجرز الذين تدربوا في حرب الادغال وأقامت معسكرا في لاسبيرانزا وهي مستوطنة صغيرة قريبة من مكان جيفارا وفرقته.

جيفــارا كان يتوقــع المســاعدة والتعــاون مــن المنشــقين المحلييــن وهو ما لــم يحــدث، كمــا أنــه لم يحصــل علــى الدعم مــن الحــزب الشــيوعي في بوليفيــا، تحــت قيــادة ماريــو مونخــي، والــذي كان متوجها نحو موســكو بــدلاً مــن هافانــا. كتــب جيفارا فــي مذكراتــه الخاصــة التي تــم الحصول عليهــا بعد وفاته انه كان منزعج بســبب الشــكاوى حول الحزب الشــيوعي فــي بوليفيــا، التــي وصفهــا بأنهــا "انعــدام فــي الثقــة، وخائنــه وغبيه.»





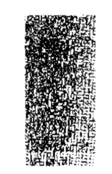
كان يتوقـع أن يبقى على اتصال لاسـلكي مع هافانا. ومـع ذلك، فإن أجهزة الاتصـال الاثنين مـن الموجات القصيرة التي وفرتها لـه كوبا كانت معيبة، وهكذا أصبح المقاتلين غير قادرين على التواصل مع كوب ولم يتم إسقاط أي امدادات لهم مما جعلهم معزولين ومحاصرين.

بالإضافة إلى ذلك، اختيار جيفارا المعروف للمواجهة بدلاً من التوصل لحل وسـط كان قـد سـبق وأن ظهر على السـطح خلال حملة حـرب العصابات فـي كوبا، وسـاهم هذا في عدم قدرته على تطويـر علاقات عمل ناجحة مع القادة المحليين في بوليفيا، تماماً مثل الذي حدث في الكونغو. هذا الأمر كان موجوداً في كوبا، ولكن تدخل فيدل كاسـترو سـاعد فـي توجيهه في الوقت المناسب.

النتيجـة النهائيـة هي أن جيفـارا كان غير قادر على اجتذاب أي من سـكان المنطقة المحليين للانضمام إلى الميليشيا التابعة له خلال 11 شهرا التي حاول خلالها تجنيد المجندين. قرب نهاية المشـروع اشتكى جيفارا في مذكراته أن "الفلاحين لا يقدمون لنا أي مساعدة ويتحولون إلى مخبرين.»





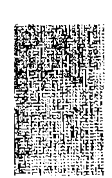


اعتقال وإعدام

تحــول فيليكــس رودريغيــز، وهــو منفــي كوبي إلــى مخبر لصالــح وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في قسم النشاطات الخاصة, وساعد القوات البوليفيــة أثناء مطاردتهــا لجيفارا في بوليفيا. في يــوم 7 أكتوبر أبلغ مخبراً القوات البوليفية الخاص بموقع جيفارا وفرقته في معسكر بواد جورو, قامت القوات بمحاصرة المنطقة، وجرح جيفارا وأسر حين كان يحاول قيادة الفرقة مع "سـيمون كوبا سـارابيا". ذكر "جون لي اندرسـون" كاتب سـيرة تشي فــي تقاريره عن روايــة الرقيب البوليفي برناردينو اوانكا: أن جيفارا أصيب مرتين وعندما أصبحت بندقيته عديمة الفائدة هتف "لا تطلقوا النار! أنا تشي جيفارا، وأساوى حياً أكثر من ميتاً.

تم تقييد جيفارا واقتيد إلى مبنى مدرسة متهالك بني من الطين في قرية قريبة من قرية لا هيغويرا مسـاء يوم 7 أكتوبر, بعد يوم ونصف رفض جيفارا أن







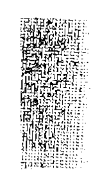
يتم استجوابه من قبل ضباط بوليفيين، وتكلم بهدوء إلى الجنود البوليفيين فقط, واحد من هؤلاء الجنود البوليفيين كان قائد طائرة هليكوبتر يسمى "نينو خايمي دي غوزمان" ووصف حالة تشي أنها " مروعة " ووفقا لغوزمان أطلق الرصاص على جيفارا في ربلة الساق اليمنى وشعره كان متعقد بالتراب وكانت ملابسه ممزقة وقدميه كانتا مغطاتين بأغماد الجلود الخشنة, وعلى الرغم من مظهره المنهك يروي غوزمان أن " تشي رفع رأسه عالياً ونظر للجميع مباشرة ولم يسأل عن شيء إلا الدخان ".

يقول دي غوزمان إنه "أشفق" عليه وأعطاه حقيبة صغيرة من التبغ ثم ابتسم جيفارا وشكره. في ليلة 8 أكتوبر قام جيفارا على الرغم من كونه مقييد من يديه بركل الضابط البوليفي اسبينوزا على الحائط، بعد أن حاول الضابط انتزاع غليون جيفارا من فمه كتذكار. في مثال آخر للتحدي، بصق جيفارا في وجه الاميرال البوليفي اوجاتاشى قبل إعدامه بوقت قصير.

في صباح الغد في 9 تشرين الأول طلب جيفارا مقابلة (مدرسة) من القرية، وهي جوليا كورتيز التي تبلغ من العمر 22 عاماً, كورتيز ذكرت في وقت لاحق أنها وجدت جيفارا " رجل مظهره مقبول ولديه نظرة بسيطة ولمحة من السخرية " وخلال المحادثة وجدت نفسها غير قادرة على النظر في عينيه مباشرة لأن النظرة كانت لا تطاق، خارقة وهادئة. خلال المحادثة القصيرة شكا جيفارا لكورتيز عن الحالة السيئة للمدرسة مشيراً إلى أنها مضادة لتربية وهو من غير المتوقع أن طلاب الكامبيسينو يتعلمون هنا في حين ان " المسؤولين الحكوميين يحصلون على سيارات مرسيدس "... قائلاً ان هذا هو ما نحاربه.

وفي صباح ذلك اليوم يوم 9 أكتوبر أمر الرئيس البوليفي رينيه باريينتوس بقتل جيفارا, كان الجلاد يدعى ماريو تيران رقيب نصف مخمور في الجيش البوليفي الذي كان قد طلب إطلاق النار على تشي استناداً إلى حقيقة أن ثلاثة من أصدقائه يدعون "ماريو" من الفرقة (ب)، قد قتلوا في وقت سابق من قبل عصابة جيفارا المسلحة خلال الاشتباكات. لجعل الأعيرة النارية







متسـقة مع القصة التي كانت الحكومة تخطط بنشـرها للجمهور امر فيليكس رودريغيـز بإطلاق النار بعشـوائية حتـى يبدو أن جيفارا قـد قتل في خلال اشتباك مع الجيش البوليفي.

قبـل لحظات من إعدام جيفارا سـأل عمـا إذا كان يفكر في حياته والخلود. أجـاب : "لا أنا أفكر فـي خلود الثورة." ثم قال تشـي جيفارا للجلاد " أنا أعلم أنك جئت لقتلي اطلق النار يا جبان انك لن تقتل سـوى رجل. " تردد تيران، ثم أطلق النار من بندقيته النصف آلية، لتصيب جيفارا في الذراعين والساقين, ثم سقط جيفارا على الأرض وعلى ما يبدو قضم رباط معصميه ليتجنـب الصراخ, ثم أطلقت عدة أعيـرة أخرى، مما أدى إلى إصابة قاتلة في الصدر السـاعة 1:10 هذا كله وفقاً لرودريغيز. اصيب جيفارا بتسـعة أعيرة نارية في مجموعهم, شـمل هذا على خمس مرات في الساقين، مرة واحـدة في كتفـه الأيمن والذراع الأيمن، ومرة واحـدة في صدره، وطلقه واحدة في الحلق.





مرحلة ما بعد تنفيذ الاعدام، الرفات والنصب التذكاري

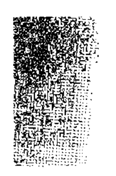
تم بعد ذلك تم إرسال جثة جيفارا في طائرة مروحية ونقلت إلى قرب من فالقراندي حيث التقطت صور فوتوغرافية لجثة والتي وصفها الموديفار لصحيفة سان فرانسيسكو كرونيكل بأنها تشبه "المسيح" على البلاط الخرساني في غرفة الغسيل في مستشفى نوسترا سينورا دي مالطا. ذكرت مذكرة سرية مؤرخة في 11 أكتوبر 1967 من رئيس الولايات المتحدة ليندون جونسون ومستشار الأمن القومي والت ويتمان روستو أن قرار قتل جيفارا غبي ولكن مفهوم من وجهة النظر البوليفية. بعد تنفيذ الاعدام حصل رودريغيز على متعلقات جيفارا الشخصية بما في ذلك ساعة اليد روليكس تغ ماجستير في التي استمر في ارتداءها لسنوات عديدة وكثيراً ما كان يظهرها للصحفيين خلال السنوات التي تلت ذلك الاغتيال.

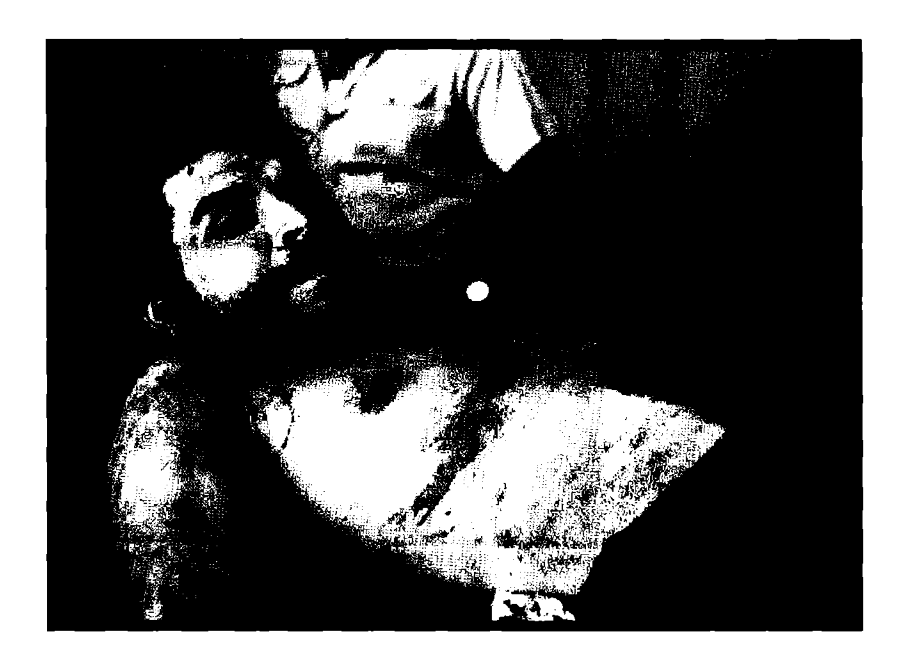
بعض هذه الممتلكات بما في ذلك بطارية معروضة في وكالة الاستخبارات المركزية. بعد أن قام الطبيب العسكري ببتر يديه قام ضباط من الجيش البوليفي بنقل جثمان جيفارا إلى مكان غير معلوم ورفض الكشف عن ما إذا سيتم دفنها أو حرقها. وحفظت الأيدي في الفورمالين ليتم إرسالها إلى بوينس آيرس من أجل التعرف على بصمات الأصابع. (بصماته كانت في ملف لدى الشرطة الأرجنتينية) تم إرسالهم لاحقاً إلى كوبا.

اعترف فيدل كاسترو يوم 15 أكتوبر أن جيفارا مات وأعلن الحداد العام ثلاثة أيام في جميع أنحاء الجزيرة. في 18 أكتوبر / ألقي كاسترو خطاباً أمام حشد من مليون شخص من المعزين في هافانا في ساحة الثورة وتحدث عن جيفارا باعتباره شخصية ثورية. أنهى فيدل كاسترو خطاب التأبين بشكل حماسي قائلا :

«««إذا كنا نود أن نفصح عن ما نريده من رجال الأجيال القادمة أن يكونوا

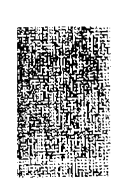






عليه، فعلينا أن نقول : دعهم يكونوا مثل تشـــي! إذا أردنا أن نقول كيف نريد لأطفالنـــا أن يتعلمـــوا، فعلينا أن نقول بلا تـــردد : نريد منهم أن يتعلموا بروح تشي! إذا أردنا أنموذجا للرجل الذي لا ينتمي إلى عصرنا بل إلى المستقبل، فأقول من أعماق قلبي أن هذا الأنموذج، من دون أي مأخذ على سلوكه ومن دون أي مأخذ على عمله، هو تشي!»»»

تحدث المفكر الفرنســـي ريجيس دوبريه الذي اعتقل في أبريل 1967 عندما كان مع جيفارا في بوليفيا في مقابلة من السـجن في أغســطس 1968 بشكل موســع حول ظروف القبض على جيفارا, قال دوبريه الذي عاش مع جيفارا والعصابـــة مـــن المقاتليـــن لفتـــرة قصيرة، أن فـــي رأيه هم ضحايـــا الغابات والتهمتهم الغابة. وصف دوبريه حالة الفقر المدقع، حيث عانى رجال جيفارا من ســـوء التغذيـــة ونقص المياه وعـــدم وجود الأحذية وكانوا يمتلكون ســـتة بطانيـــات فقط ل 22 رجلاً. يروي دوبريـــه أن جيفارا وغيرهم كانوا يعانون مـــن مرض ما أدى إلى تورم أيديهم وأرجلهم إلى اكوام من اللحم لدرجة أنك





لا تستطيع تمييز أصابع أيديهم. وصف دوبري جيفارا بأنه "متفائل لمستقبل أمريكا اللاتينية" على الرغم من الوضع السيء, ولاحظ أن جيفارا كان "خلص بأن موته سيكون نوعاً من الدعوة للنهضة" مشيراً إلى أن تصور جيفارا عن الموت "وعد لولادة جديدة" و"طقوس تجديد».

في أواخر عام 1995 كشف الجنرال البوليفي المتقاعد ماريو فارغاس لجون لي اندرسون مؤلف (كتاب تشي جيفارا : حياة الثوري) أن جثمان جيفارا يقع بالقرب من مهبط الطائرات في فالليغراندي. وكانت النتيجة لهذا الكلام بحث دولي عن رفات، والذي استمر أكثر من عام, في يوليو 1997 قام فريق من الجيولوجيين الكوبيين والأرجنتينيين والطب الشرعي باكتشاف بقايا سبع جثث في مقبرتين جماعيتين، بما في ذلك رجل واحد مبتور اليدين (مثل جيفارا), الحكومة البوليفية مع مسؤولي بوزارة الداخلية قاموا لاحقاً بالتعرف على جثة جيفارا عبر الأسنان حيث كانت مطابقة تماماً لقالب من الجص لأسنان تشي تم عملها في كوبا قبل رحلته الكونغولية, النقطة الفاصلة كانت عندما وجد الأرجنتيني اليخاندرو انشاوريجوى الانثروبولوجيا الشرعي في الجيوب الداخلية لسترة زرقاء وجدت بجوار الجثة مقطوعة الأيادي على حقيبة صغيرة من تبغ الغليون, كان نينو دي غوزمان قائد طائرة الهليكوبتر البوليفي قد اعطى تشي حقيبة صغيرة من التبغ، في وقت لاحق أشار إلى انه كانت "لديه شكوك جدية" في البداية و"ظن أن الكوبيين سيقومون بالعثور على أي عظام قديمة ويطلقوا عليها اسم تشي"، ولكنه ذكر " بعد أن سمعت عن حقيبة التبغ لا يساورني ادنى شك في انه هو. في 17 تشرين الأول 1997 تم دفن بقايا جيفارا مع ستة من رفاقه المقاتلين مع مرتبة الشرف العسكرية في الضريح الذي تم بناؤه خصيصا في مدينة سانتا كلارا حيث كان قائداً للإنتصار العسكري الحاسم في الثورة الكوبية.

عندما تم القبض على جيفارا كانت معه مذكرات مكتوبة بخط اليد من 30.000 كلمة ومجموعة من قصائده الشخصية وقصة قصيرة من تأليفه حول شاب شيوعي في حرب العصابات الذي يتعلم التغلب على مخاوفه. يومياته وثقت الأحداث التي جرت في حملة حرب العصابات في بوليفيا منذ

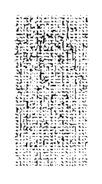

تشي
جيفارا




دخوله أول يوم في 7 نوفمبر 1966 بعد وصوله إلى مزرعة فينانكاهوازو، وآخرها بتاريخ 7 أكتوبر 1967 قبل يوم من إلقاء القبض عليه, اليوميات تروي كيف أجبروا على بدء العمليات قبل الأوان نتيجة لاكتشافهم من قبل الجيش البوليفي، ويوضح جيفارا قرار تقسيم الفريق إلى وحدتين غير أنه أصبح غير قادر على إعادة الاتصال بهم، ويصف المشروع بأنه فاشل عموماً, كما يسجل الصدع بين جيفارا والحزب الشيوعي في بوليفيا الذي أسفر عن حصول جيفارا على عدد أقل بكثير من الجنود مما كان متوقعاً أصلاً ويبين جيفارا انه كان يعانى من قدر كبير من الصعوبة في تجنيد السكان المحليين، ويرجع ذلك جزئياً إلى حقيقة أن المجموعة تعلمت لغة كيشوا غير مدركة أن اللغة المحلية كانت توبي غواراني. مع إقتراب نهاية الحملة الغير متوقعة وحالة جيفارا الصحية التي أصبحت تزداد سوء, حيث كان يعاني من نوبات الربو المتفاقمة ومعظم الهجمات الأخيرة نفذها لغرض المحاولة للحصول على الدواء.

سرعان ما تم ترجمة يوميات بوليفيا بشكل سطحي من قبل مجلة رامبارتس ووزعت في جميع أنحاء العالم. هناك ما لا يقل عن أربعة مذكرات إضافية. والتي تكشف كل واحده منها جانب إضافي للأحداث, في يوليو 2008 اكتشفت الحكومة البوليفية يوميات جيفارا المختومة سابقاً والتي تتألف من دفترين من الدفاتر المتوترة، جنباً إلى جنب مع سجل لعدة صور بالأسود والأبيض, أعلن نائب وزير الثقافة البوليفي بابلو غرو عن أن هناك خططاً لنشر صور لكل صفحة مكتوبة بخط اليد في وقت لاحق من هذا العام.


تشي
جيفارا



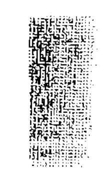


التراث

أكثــر من خمســين عامــاً من إعدامه وتراث تشــي وحياته لا يزالان مســألة خــلاف. نقــاط متناقضة مختلفة مــن حياته خلقت الطابــع المعقد الازدواجي اللانهائي, نتيجة لاستشــهاده وأولئك المتذرعين بالشــعرية للصراع الطبقي والرغبة في خلق وعي جديد لرجل يقودها من الجانب الأخلاقي بدلاً من أجل الحوافز المادية، تحول جيفارا إلى الرمز المثالي للحركات اليسارية. قد تنظر مجموعة لتشي جيفارا باعتباره بطلاً, على سبيل المثال أشار نيلسون مانديلا بأنه "مصدر إلهام لكل إنسان يحب الحرية" في حين وصفه جان بول سارتر بأنه "ليس فقط مثقف ولكنه أيضا أكمل إنســان في عصرنا. ومن الذين أبدوا إعجابهم بجيفارا أيضاً الكاتب غراهام غرين الذي لاحظ أن تشي "يمثل فكرة الشــهامة والفروسية والمغامرة" ، وسوزان سونتاغ التي شرحت أن "هدف (تشــي) ليس أقل من القضية الإنسانية نفســها. في المجتمعات السوداء أعلن الفيلســوف فرانز فانون جيفــارا "رمزاً للعالم عن إمكانيــات رجل واحد" ، في حين أن حزب الفهود السود ورئيسها ستوكلي كارمايكل نعى قائلا "تشي جيفارا لم يمت أفكاره لا تزال معنا".







الثناء انعكس على جميع أنحاء الطيف السياسي، مع الرأسمالية التحرري المنظر موراي روثبارد مجَّد جيفارا على أنه شخصية "بطولية" معرباً عن أسفه لوفاته "أكثر من أي رجل في عصرنا أو حتى في قرننا هذا، (تشي) كان تجسيدا حياً لمبدأ الثورة"، في حين أن الصحفي كريستوفر هيتشنز علق بأن "موت تشي كان يعني الكثير بالنسبة لي ولعدد لا يحصى أيضاً من أمثالي في ذلك الوقت، كان نموذجا يحتذى به، وإن كان واحد من المستحيلات بالنسبة لنا البرجوازيين الرومانسيون حيث ذهب وقام بما يفعله الثوار حارب ومات بسبب معتقداته. لا يزال جيفارا البطل الوطني المحبب للكثيرين في كوبا، مازالت صورته تزين البيزو الكوبي وطلاب المدارس يتعهدون كل صباح قائلين "سنكون مثل تشي". في وطنه الأصلي الأرجنتين، تحمل مدارس ثانوية اسمه، والعديد من المتاحف المنتشرة في البلاد تحمل اسمه، في عام 2008 تم كشف النقاب عن تمثال البرونز 12 قدم له في مدينة روزاريو محل ولادته. بالإضافة إلى ذلك جيفارا تم تنصيبه كقديس من قبل بعض الفلاحين البوليفيين باسم "سانت ارنستو" الذين يصلون له من أجل المساعدة.

على العكس تماماً ينفي ماكوفر أحد كتاب سيرته الذاتية، كونه بطلا يستحق العبادة، ويصوره على أنه الجلاد الذي لا يرحم. يجادل المعارضون بأن في كثير من أنحاء أميركا اللاتينية، الثورات المستوحاة من تشي كانت نتيجة عملية لتعزيز النزعة العسكرية الوحشية والصراع الداخلي لسنوات عديدة. ألفارو فارغاس لوسا من إحدى المعاهد المستقلة افترض أن أتباع جيفارا المعاصرون "يخدعون أنفسهم بالتشبث بخرافة" بينما وصف جيفارا بأنه البروتستانتي الماركسي الذي استخدم سلطته العقائدية لقمع المعارضة، في حين عمل أيضا بدم بارد مما أسفر عن قتل. كما اتهم لوسا جيفارا "بالمتصرف المتعصب" باعتباره الركيزة الأساسية للسوفيات في الثورة الكوبية، وتكهن بأنه تابع مجموعة من الواقعية تؤمن بالعقيدة الايديولوجية العمياء. جيفارا لا يزال يشكل شخصية مكروهة في أوساط كثيرة من المجتمع الكوبي في المنفى الذين ينظرون إليه بعداء ويسمونه جزار لا كابانا. حفيد جيفارا الذي







يعيش في المنفى - كانك سانشيز جيفارا - أصبح أيضاً في الآونة الأخيرة من أشد منتقدي النظام الكوبي الحالي.

أصبح وجهه الرفيع المرسوم الصورة بلون واحد واحداً من أكثر الصور انتشاراً وعالمية في العالم التي يتم تسويقها يمكن العثور عليها في مجموعة لا حصر لها من المنتجات، بما في ذلك القمصان والقبعات والملصقات والوشم، من السخرية أنها تسهم في ثقافة المستهلك التي كان يحتقرها, ومع ذلك لا يزال جيفارا شخصية يتم ذكرها على وجه التحديد، سواء في السياقات السياسية أو على النطاق الشعبي الواسع كرمز للتمرد الشاب.



أممية تشي وعلاقته بالماركسية

ارتبط تشـي غيفار ارتباطاً وثيقاً بالماركسـية اللينينية في شـبابه حيث كان عضوا في الشبيبة الشيوعية الأرجنتينية, أممية وثورية تشي وارتباطه المميز بالفقراء والمنبوذين في كل مكان، ورفضه الاعتراف بقداسة الحدود القومية فـي الحرب ضد إمبريالية الولايـات المتحدة، ألهمت الحـركات الراديكالية الجديدة في العالم كله. نادى تشي الراديكاليين لنحول أنفسنا إلى شيء جديد، أن نكون اشـتراكيين قبل الثورة، هذا إذا مـا كان مقدراً لنـا أن يكون لدينا أمل في أن نحقـق فعـلا الحياة التي نسـتحق أن نعيشها.



نـداؤه "بأن نبدأ العيش بطريقة لها معنى الآن" تردد صـداه عبر الجيـل بأكمله، فاتحـا ذراعيه ليصل بدرجـة كبيرة من ناحية إلـى ثورية ماو ومن ناحية أخرى ممتدا نحو ماركـس. من خلال الحركة، ومن خـلال انتزاع مباشـرة الثورة عن طريق الاشـتباك مع الظلم بكل أشـكاله، في كل لحظة، ومن خلال وضع مثاليات الثورة فورا في الممارسـة العملية. صاغ تشـي من التيارات الفلسفية المعاصرة الرئيسية مزيجا [illegible] مما جعل أطروحاته قريبة من الطرح [illegible] (الماركسية اللينينية [illegible]

[illegible]

فرقة من رجال حرب العصابات لتكون، كما كان يتخيلهم، عاملا مساعدا على الإلهـام بالثورة، ولم ينس أن يمر بمصر والجزائر في طريقه ليلتقي الزعيم المصـري جمـال عبد الناصر والرئيـس الجزائري أحمد بن بلـة اللذين كانا رموزا للثورة العربية آنذاك.

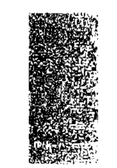




الرمز والأسطورة

عام 1968، غضب شبان العالم وخرجوا إلى الشوارع معلنين أنهم يستطيعون إنهاء الحروب وتغيير ملامح العالم، وقد تحول هذا الرجل الثائر بعد موته إلى شهيد لقضاياهم. أصبح يمثل أحلام ورغبات الملايين ممن يحملون صوره. علماً أنه كان يمثل أيضاً مجموعة من التناقضات، وكأن الموت حول ملامحه، ما يوحي بأنه لو منحه أعداؤه الحق في الحياة، لربما عجزت أسطورته عن احتلال هذا المدى العالمي الذي تنعم به اليوم.



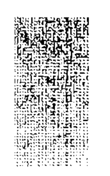


أعماله أدبية

كمعظم الشـباب اليساريين في فترات الدراسـة في النصف الأول من القرن الماضـي، مـارس جيفارا الكتابة شـعرا ونثـرا, ومن أعمالـه قصيدة ماريا العجوز التي تكشف عن جانب من شخصية جيفارا:

ماريا العجوز ستموتي أحدثك بجدية
كانت حياتك مسبحة من الصعاب
أنكر عليك حياة الأمل
ولا تطلبي الموت رحمة
لتشاهدي غزلانك الهجين تكبر
لا تفعليها لا تفعليها







من كتبه

- كتاب حرب العصابات أو حرب الغوار
- كتاب الإشتراكية والإنسان في كوبا
- كتاب مذكرات عن الحرب الثورية
- كتاب 41 عام على الرحيل
- كتاب يوميات بوليفيا الكاملة
- كتاب يوميات دراجة نارية أو رحلة في أمريكا اللاتينية
- كتاب بعد انتصار الثورة
- كتاب تشي جيفارا 1
- كتاب تشي جيفارا 2
- كتاب تشي جيفارا 3
- كتاب تشي جيفارا 4
- كتاب مقالات العسكرية

كما أن الكاتب غروسك فولف قد قام بتأليف كتاب أحلامي لا تعرف حدوداً في سيرة حياة جيفارا


تشي
جيفارا





أليدا جيفارا تتحدث عن زوجها

مــن خلال عروض الصحف الإنجليزية عن الكتاب اســتطعت تجميع بعض خيوط هذه المذكرات التي ترسم فيها اليدا صورة للعلاقة التى جمعتها بجيفارا، راصدة قصة حبهما التى بدأت منذ أن تعارفا فى منتصف خمســينيات القرن الماضى. هذا فضلا عن علاقة جيفارا بأطفاله.

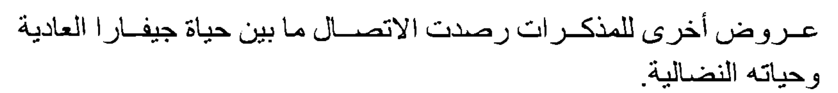
فــى مقدمة هــذه المذكرات، التي تتناول تفاصيل حيــاة اليدا مع جيفارا خلال ست سنوات فى كوبا منذ قيام الثورة الكوبية فى عام 1959 حتى عام 1965، تشــير اليدا إلى أنها لم تعط الصحفيين فى الماضى أى مذكرات، ولن تعطى فى المستقبل، وكل ما لديها "مكتوب هنا في هذا الكتاب".

تزوجــت أليدا من جيفــارا في يونيو عــام 1959 فى آتــون انتصار الثورة الكوبيــة وعاشــت معه حتى 1965 قبل ان يتوجه الثائــر الكبير الى الكونغو لمســاندة حرب التحرير التى كان يشنها باتريك لومومبا بوصفها وسيلة لدفع حركة مناهضة الإمبريالية فى القارة الأفريقية. وكان الزوجان قد تعرفا على بعضهمــا البعض فى عام 1955. وأشــتركا معا فى الإعــداد للثورة الكوبية. وعن طريق اليدا قرأ جيفارا الكلاسيكيات الماركسية لماركس وإنجلز فضلا عن بعض أعمال لينين وماو.

وتعتبــر هــذه الزيجة هى الثانية فى حياة جيفــارا، حيث تزوج لأول مرة من هيلــدا جايدا في عام 1955 وحدث الطــلاق بينهما فى مايو من عام 1959. وأسفر هذا الزواج عن ابنه واحدة هى هيلدا جيفارا (ولدت في 1956و ماتت فــي 1995). أما اليدا مارش فقد أنجبت من جيفارا أربعة اطفال هم وكامليو وســيليا وإرنســتو وأختهم الكبرى التي تحمل نفس الاســم: أليدا التي زارت مصر منذ ثلاثة سنوات.

أحد المقالات التي كتبت عن مذكرات أليدا زعمت أنها لم تهتم بإبراز صــورة جيفارا السياســي وفضلــت الحديث عن الرجل فى حياته كــزوج وأب. لكن


تشي
جيفارا


عــروض أخرى للمذكــرات رصدت الاتصـــال ما بين حياة جيفــارا العادية وحياته النضالية.

فمثلا أوردت اليدا مطلب جيفارا بأن يكون عرسهما صغيرا ومحدودا. إلا أن راؤول كاسترو (شقيق فيدل كاسترو) اكتشف أمر زواجهما فنظم حفلة كبيرة للغاية، تجاهل أن يدعو فيها أخيه فيدل. وتسرد اليدا أن فيدل سمع بطريقة ما عن حفلة الزواج وحضر إليها بالفعل شاكيا من أن أحدا لم يدعه، الأمر الذى جعله ينصرف على الفور.

قصـــة أخرى توردها اليدا وهى عبارة عن هدية زواجها التى لم تكن ســوى زجاجـــة عطر، أما باقي الهدايا التي قدمت إليهمـــا في حفلة زواجهما فقد قام جيفارا بإهدائها إلى بعض الفقراء الكوبيين.

وظـــل تقديـــم الهدايا إلـــى الفقراء هو طبيعـــة علاقتهما معا، فســـبق فى اوائل الســـتينيات أن قدم إليها أحد الأشـــخاص هدية عبارة عن تلفزيون ملون، فما كان مـــن زوجهـــا إلا أن قدمها هدية هو الآخر لعامـــل فى مصنع. ملمح آخر تكشـــف عنه اليدا فى حياة جيفارا وهو حسه للدعابة، وتحكى أنه أرسل إليها مـــرة وهو فى زيارة إلى المغرب بوســـترا مكتـــوب عليه "لقد وددت لو كنت مخلصا لكن عليك أن ترى بنفسك هؤلاء المغربيات".







أبلـغ الروايات أثرا فى مذكرات اليدا الحادثة التى روتها قبيل مغادرة جيفارا إلى بوليفيا لدعم الثورة هناك(قتل فيها فى 9 اكتوبر من عام 1967) ، حيث ارتـدى ملابـس رجل مـن بيرو يبلغ مـن العمر 60 عاما لكى يـرى أطفاله قبـل أن يغادر. وقدمته زوجته إلى الأطفـال بوصفه صديقا لأبيهم واندمجوا معه فى اللعب ولم يتعرفوا عليه. ووسـط ضجتهم معه جرحت ابنته الكبرى (اليـدا 7 سـنوات فى ذلك الوقت) مما جعله يعتنى بهـا بقلق وخوف. وعقب مغادرتـه أبلغت اليدا أمها أن هذا الرجل (الذى لم يكن سـوى أبيها) واقع فى حبها.

واخـر ما كتب عـن جيفارا وهو مذكـرات أرملته اليدا مـارش (ولدت عام 1937).

صدرت المذكرات حاملة عنوان "استعادة الذكريات: حياتي مع تشي"

10 حقائق صادمة عن تشي جيفارا

نشــر الموقع الأمريكي «ليســتيكلز» عشر حقائق مجهولة عن تشي جيفارا، وهي:-





1 - اسمه ليس جيفارا

اسم "تشي جيفارا" قد يثير الحب أو الكراهية. هذا الاسم يرادف النضال من أجل الحرية بالنسبة للبعض بينما يعادل المذابح بالنسبة لآخرين. ما قد لا يعرفه الجميع أن اسمه الحقيقي كان "أرنستو لينش." اسم لا يحمل نفس تأثير "تشي جيفارا"، لم يكن اسمه الحقيقي يدلّ على شيء قويّ أو نافذ لكن الاسم الذي انتشر يحمل قصة مختلفة تمامًا.



2 - لم يكن يحب الاستحمام

لم يكن يستحم كثيرًا وكان وبكل فخر يرتدي «قميصًا أسبوعيًا»، أي أنه لم يكن يبدل قميصه سوى مرة في الأسبوع، خلال حياته، استهجنه الناس لهذه العادات إلا أنه لم يتغير أبدًا، ويبدو أن أحدا لم يستطع مواجهته في ذلك كونه امتلك القوة على إعدام أي كائن بحركة من إصبعه.



3 - مولع بالقراءة و لعبة الشطرنج

أحبّ لعبة الشطرنج و اشترك في مبارزات احترافية، حيث كان مولعا بالشعر أما مواده المفضلة في المدرسـة فكانت الرياضيات و الهندسة.



4 - ليس كوبيا

الجميع يعرف جيفارا بأنه كوبيا بسبب أفعاله في كوبا، لكن الحقيقة أن تشي جيفارا ولد في الأرجنتين ولم يكن مواطنا كوبيا قط، عندما ولد بشاع أن والده قال إن الدم الذي يجري في عروق تشي يعود لثائر أيرلندي، غريب كيف يقوم شخص بتقديم الكثير من أجل بلد لم يكن حتى مواطنًا فيها.



5 - جيفارا الطبيب

أكمل تشي جيفارا دراسته في الطب عام 1953، نجح وتخرج ليصبح دكتور أرنستو جيفارا، يقال أيضًا إنه وخلال فترة دراسته كان مهتمًا جدًا بمرض الجُذام.



6 - أدان الأمم المتحدة في أول خطاب له بها

سافر تشي جيفارا إلى الولايات المتحدة الأمريكية مرة واحدة ليلقي خطبة على الأمم المتحدة في [illegible] في عام 1964، وأدانها فيما يخص سياساتها حول [illegible] نصري.



7- تزوج مرتين وله [illegible] أبناء

ولـدت ابنته البكر في 15 فبراير عام 1956 في مكسيكو سيتي، وسميت [illegible] زوجته الأولى هيلدا جاديا، أما زوجته الثانية اليدا مارك فقد أنجبت منه أربعة أطفال

8 - بتر يديه

بعدما أُعدم تشي جيفارا، قام طبيب عسكري ببتر يديه، نقل الجيش البوليفي الجثة إلى مكان سري، حتى الآن غير مؤكد إذا ما كانت جثته دفنت أو أحرقت. غير أن يديه حوفظ عليها وأرسلت إلى بيونيس آيريس ليتم مقارنة البصمات بتلك التي تحتفظ بها الشرطة الأرجنتينية في ملف خاص به. فيما بعد، نُقلت يداه إلى كوبا.



9 - جيفار أيقونة للسلع التجارية

تعتبر أيقونة تشـــي جيفارا من أكثر الصور المسلّعة والمتاجر بها، يمكنك أن تجدها على سلع كثيرة كالشارات، القمصان، الأعلام، السجاجيد، الملصقات، الأوشـــام وحتى علـــى المايوهات، التصميـم الأيقوني من أحد الأشـياء التي كرهها، الصورة الأصلية تم التقاطها بواسطة ألبيرتو كوردا في حفل تأبيني، في ذلك الوقت طبعًا، كان الوحيد الذي أعجب بتلك اللقطة، لم يكن يعرف أنها ستحقق نجاحا ساحقا في السنين المقبلة.



10 - أطفال يقسمون كل صباح بأن يكونوا مثل القديس جيفارا

في قلوب الكثيرين في كوبا، يظل أرنستو بطلاً، يقسم الأطفال في المدارس كل صباح بأنهم سيصبحون مثل تشي جيفارا، في وطنه الأصلي، الأرجنتين، خلدت ذكراه بعدة متاحف وفي عام 2008 كشف النقاب عن تمثال برونزي يبلغ طوله اثني عشر قدمًا في روزاريو، مسقط رأسه، بعض الفلاحين البوليفيون يعتبرونه قديسًا ويصلون إليه من أجل المساعدة، بالطبع الكنيسة الكاثوليكية لا تعتبره كذلك ولكن ذلك لا يبدل رأي الجماهير التي تعشقه.





مذكرات جيفارا في ذاكرة العالم

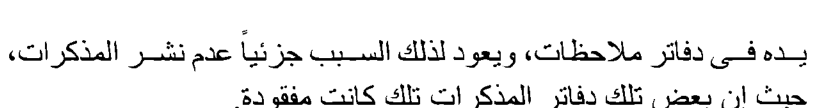
قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو"، بضم كتابات الزعيم الثوري أرنستو تشي جيفارا إلى سجل ذاكرة العالم، والتي تضم الوثائق والنصوص الأصلية لكتابات جيفارا بدءا من يومياته في شبابه باسم "يوميات الدراجة النارية"، وانتهاء بمذكراته في جبال بوليفيا حيث تم إعدامه عام 1967.

المخطوطات تعتبر الآن ضمن التراث العالمي، وسوف يتم حفظها والعناية بها من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، ويتألف سجل ذاكرة العالم من نحو 300 وثيقة مجموعة من خمس قارات، وأعمال جيفارا هي من بين 54 وثيقة أضيفت العام الجاري.

وحضرت أرملته وابنته وولده مراسم حفل أقيم في العاصمة الكوبية هافانا للاحتفال بإدراج الوثائق ضمن سجل ذاكرة العالم.

فبعد أكثر من نصف قرن أعلنت كوبا عن نشر مذكرات «الرفيق إرنستو تشى جيفارا»، التى احتفظ بها خلال الكفاح المسلح، الذى خاضه برفقة فيدل كاسترو من سلسلة جبال سيرا مايسترا. ووفقا لشبكة CNN الأمريكية فإن "مذكرات مقاتل" تحكى تجارب الثائر جيفارا، الذى أصبح رمزاً للثورة والثوار فى مختلف أنحاء العالم وأيقونتهم، منذ وصوله سواحل كوبا فى الثانى من ديسمبر عام 1956 حتى اللحظة التى أعلن فيها الثوار الملتحون النصر فى الأول من يناير من عام 1959.

ووفقاً لأرملة جيفارا، أليدا مارتش، فإن الهدف من ذلك هو "الكشف عن عمله وأفكاره وحياته بحيث يعرفه الشعب الكوبى وشعوب العالم كله، ولا يتم تشويه الحقائق والأشياء بشأنه". وقام بإعداد المذكرات مركز دراسات تشى جيفارا، الذى تديره مارتش نفسها، ونشرته دار "أوشن برس/أوشن سور"الأسترالية، وقال الباحثون إن جيفارا احتفظ بمذكراته المكتوبة بخط



يـده فـي دفاتر ملاحظات، ويعود لذلك السـبب جزئياً عدم نشـر المذكرات، حيث إن بعض تلك دفاتر المذكرات تلك كانت مفقودة.

وقالـت قائدة فريق البحث فـي المركز، ماريا دل كارمن أرييت، في مؤتمر صحفي بمناسـبة إطلاق المذكرات: "أين هي دفاتر الملاحظات؟ لا نعرف، كما أن هناك العديد من النسخ"، لكنها قالت كذلك إن جزءاً كبيراً من المادة تم تضمينه في كتاب "فصول من الحرب الثورية الكوبية"، وهي رواية الثورة الأكثر شـمولاً للفترة التي قضاها في سلسلة جبال سيرا مايسترا كان جيفارا قد نشرها في العام 1963.

وكانـت بعض مذكـرات جيفارا الأخرى قد حققت نجاحـاً تجارياً، وأهمها، "مذكرات دراجة نارية"، والتي تشكل مذكرات طالب الطب البالغ من العمر 23 عامـاً خـلال رحلته فـي أمريكا اللاتينية. يشـار إلى أن جيفـارا ولد في الأرجنتين عام 1928 والتقى كاسـترو في العام 1955 في المكسـيك، حيث كان يعد لرحلة العودة إلى كوبا للإطاحة بنظام الدكتاتو فولجنسيو باتيستا.





ماذا قالوا عنه؟:

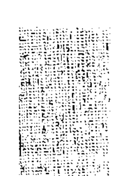
الثورة الكوبية ثورة قادها شعب ولم يقدها أشخاص

بقلم: أنطوني كابسيا

يعمل أنطوني كابسيا، مؤلف كتاب (القيادة في الثورة الكوبية... القصة غير المرئية)، أستاذا للتاريخ الأميركي اللاتيني في جامعة نوتنغهام, وهو من كبار الخبراء في بريطانيا في الموضوع الكوبي، ويدير مركز الأبحاث الكوبية وقد نشر العديد من الأعمال في هذا المجال. يؤكد كابسيا بأن «فيدل كان دائما واعيا للحاجة الى منظمة وراء القيادة وواعيا لأهميتها للمسيرة الثورية» (ص3)، وعلى الرغم من دور الحزب الواحد «تكشف نظرة متمعنة عدة أمثلة كانت فيها النقاشات مفتوحة وعامة ومشجَّعة [...] وكانت الاختلافات في الرأي واضحة» (ص 18). يقول كابسيا بأن فكرة «النقاش» كانت دائما مركزية في «مسيرة الثورة» وتتغذى من القرار المشترك المطور عبر التعبئة الجماهيرية وبنى الحزب (ص 19-20).

اضطلع راؤول كاسترو رسميا في العام 2008 برئاسة كوبا، وقد اعتبر بعض المعلقين هذه اللحظة التاريخية بداية مرحلة ما بعد كاسترو. يضع الكتاب بنجاح أساس فهم لطبيعة التغير المعقدة للقيادة الكوبية، ويقدم تفصيلا واضحا للتحولات التي طرأت على هذه القيادة، ويبين ببراعة تهافت التمثيلات التي تصورها فردية. يدرس مراحل القيادة في أربعة فصول مسبوقة بتحليل لدور «نواة» قيادة الثورة، الثلاثي فيدل-جيفارا-راؤول، ويوفر، مع الوصف للتكون الآيديولوجي لهؤلاء القادة، وصفا لدورهم قبل وخلال الثورة وسنواتها الأولى.

في الفصل الثاني يحلل تشكيل الطليعة التي، بعد فشل هجوم مونكادا، بدأت الثورة المضادة لباتيستا والثورة بحملة غرانما. في هذا الفصل يشرح بأن



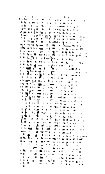


الحظوة التي تمتع بها الثلاثة في صفوف الثوار ترجع الى براعتهم في القيادة خلال حرب عصابات سييرا، ومع ذلك يفند كابسيا فكرة تمحور الثورة حولهم مبينا بأن هذه الثورة ومنذ اللحظات الأولى كانت مشتركة القيادة وكان مع الثلاثة آخرون أبرزهم كاميلو سينفويغوس (ص 53). يعطي الفصل الثالث سردا لجهود توحيد مختلف مكونات الثورة وخصوصا بين حركة 26 حزيران وحزب الشعب الإشتراكي وفصائل داخل الحركة ?رزت من ضغوط داخلية وخارجية مثل إبعاد طبقة محترفة كاملة عن سدة السلطة والحصار المفروض من قبل الولايات المتحدة منذ بدايات الستينيات (ص 62 - 86).

يحلل المؤلف في الفصل الرابع تشكيل «الحلقة الداخلية» للقادة مرتبطة بالتجربة الثورية المبكرة، حرب العصابات في سييرا وعلاقتها بالناشطين في المناطق الحضريةLlano وحزب الشعب الإشتراكي PSP ، ويلقي الضوء على أهمية ثلاث نساء في «الحلقة الداخلية» تم التقليل من أهميتهن نوعا ما في التحليلات التاريخية التقليدية، فقد كن يقمن بمهمة الربط بين مقاتلي سييرا ومقاتلي المدينة وكذلك كان لهن تأثير في ترسيخ الإصلاحات، وهذه النسوة هن سيليا سانشيز، وفيلما إيسبن، وهيدي سانتاماريا.

الفصول التالية تحلل بسرد ممتع التغيرات في القيادة الكوبية وفقا للموجات الآيديولوجية والمستجدات التاريخية، فمثلا «الراديكالية الجديدة» ما بين العامين 1963 و1975 التي بدأت بـ«النقاش الكبير» بعد الأزمة الإقتصادية 1962-1963. تولد النقاش هنا من التزام المثقفين مترافقا مع بروز اليسار الجديد في أوربا (ص 118). يركز الفصل الخامس على الفترة 1975 - 1986 التي اتصفت بالروابط القوية مع الاتحاد السوفييتي (ص 132). يشير كابسيا على كل حال الى الفوارق بين النظام الكوبي والنظام السوفييتي ويبين كيف أن متانة العلاقات بينهما تر?ع في جزء منها للضغوط الخارجية التي ولّدها الحصار الأميركي، ويركز بالتالي على التغيرات في دائرة السلطة كنتيجة لمتانة العلاقة (ص 145 - 152).

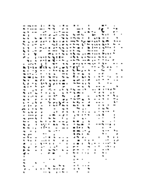




بالمقابل يصف الفصل السادس عملية «التصحيح»، العودة الى أفكار ونماذج الستينيات، خصوصا انبعاث الأفكار الأساسية لشي جيفارا (ص 154). العملية قادت الى تغير آخر في «الحلقة الداخلية» للقيادة بإعادة الإعتبار الى القادة الذين همشوا في الفترة السوفييتية، كذلك يتحدث الفصل عن أزمة (1989 - 1994) الإقتصادية وجهد تجديد القيادة من خلال الإهتمام بالكفاءات القيادية المحلية والإسهام في إنق?ذ النظام (ص 161)، وبالتالي عبر «معركة الأفكار» التي أعلنت رسميا بعد سنة 2000، هذه المعركة التي خلقت «أنواعا جديدة من النقاش في المجلات، والأوساط الأكاديمية، ومراكز البحوث، وغيرها، لتنعكس بتغييرات أبعد مدى في القيادة.

إن قراءة هذا الكتاب بقدر ما هي جوهرية للأكاديميين والطلبة والخبراء في المسألة الكوبية فهي ضرورية لعموم القراء لفهم أعمق لعملية بناء الأمة ولدور العديد من الشخصيات التي لم تأخذ حقها في السرد التاريخي التقليدي.

فرانسسكو دي فرناندو/ موقع كلية لندن للعلوم الإقتصادية والسياسية





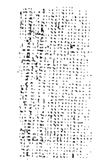
رثاؤه

قال والت ويتمان روستو أن قرار قتل جيفارا غبي ولكن مفهوم من وجهة النظر البوليفية.اعترف فيدل كاسترو يوم 15 أكتوبر أن جيفارا مات وأعلن الحداد العام ثلاثة أيام في جميع أنحاء الجزيرة.

في 18 أكتوبر / ألقى كاسترو خطابا أمام حشد من مليون شخص من المعزين في هافانا في ساحة الثورة وتحدث عن جيفارا باعتباره شخصية ثورية.أنهى فيدل كاسترو خطاب التأبين بشكل حماسي قائلا:
«"إذا كنا نود أن نفصح عما نريده من رجال الأجيال القادمة أن يكونوا عليه، فعلينا أن نقول: دعهم يكونوا مثل تشي! إذا أردنا أن نقول كيف نريد لأطفالنا أن يتعلموا، فعلينا أن نقول بلا تردد: نريد منهم أن يتعلموا بروح تشي! إذا أردنا أنموذجا للرجل الذي لا ينتمي إلى عصرنا بل إلى المستقبل، فأقول من أعماق قلبي أن هذا الأنموذج، من دون أي مأخذ على سلوكه ومن دون أي مأخذ على عمله، هو تشي!"»



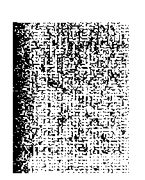




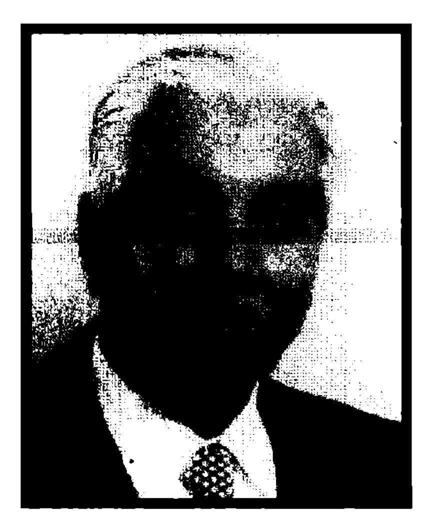
بينما رثا موت جيفارا الشــاعر المصري الكبير أحمد فؤاد نجم عام 1968 فى قصيدة سماها جيفارا مات,,

عيني عليه ساعة القضا ...
من غير رفاقه تودعه ...
يطلع أنينه للفضا ...
يزعق ولا مين يسمعه ...
يمكن صرخ من الألم ...
من لسعة النار ف الحشا يمكن ضحك ...
أو ابتسم أو ارتعش أو انتشى ...
يمكن لفظ آخر نفس ...
كلمة وداع لجل الجياع ...
يمكن وصية للي حاضنين القضية ...
بالصراع صور كتير ملو الخيال ...
وألف مليون احتمال
لكن أكيد ولا جدال ...
جيفارا مات موتة رجال ...







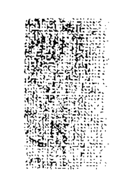


الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدة هذا نصها:

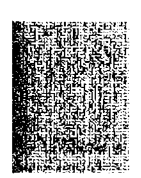
عن موت طائر البحر مهداة إلى إرنستو تشي جيفارا

في زمن المنشورات السرية
في مدن الثورات المغدورة
جيفارا العاشق في صفحات الكتب المشبوهة
يثوي مغموراً بالثلج و بالأزهار الورقية
قالت و ارتشفت فنجان القهوة في نهم
سقط الفنجان لقاع البئر المهجور
رأيت نوارس بحر الروم تعود
لترحل نحو مدار السرطان
ونحو الأنهار الأبعد
في أعمدة الصحف الصفراء
يبيع الجزارون لحوم الشعراء المنفيين
العّرافة قالت هذا زمن سقطت فيه الكتب
المشبوهة





والفلسفة الجوفاء
دكاكين الوراقين
طيورٌ ميتة
فتعالي نمارس موت طيور البحر الأخرى
فوق سرير الحب الممنوع
انتحب في صمت فالليل طويلٌ
في مدن الثورات المغدورة
والبحر الأبيض في قبضة بوليس الدول الكبرى
يبحث عن أسماء العشاق المشبوهين
رأيتك في روما في زمن المشورات السرية
بين ذراعي رجل آخر تمضين إليّ
بكيت ، رآني البوليس وحيداً
خلف نوافذ ملهى القط الأسود أبكي مخموراً
وورائي خيط من نور يمتد لنافذة أخرى
أشبعني الضابط ضرباً
وجدوا في جيبي صورتها
للباس البحر الأزرق
ترنو للأفق المغسول بنور الغسق الباكي
ونار الليل القادم من مدريد
يبيع الجزارون لحوم الشعراء المنفيين
رأيتك في مبغى هذا العالم
في أحضان رجال و سماء تمضين الليل
بكيت ، رآني البوليس وحيداً
في مدن الثورات المغدورة
مجنوناً أتحدث عنك
البوليس رآني>>

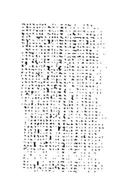




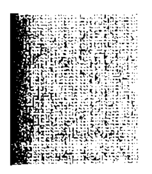
والشاعرة كوليت ماني أهدته هذه القصيدة:

رحين يشتعل الجمر
كنا سبعة عشر شخصاً تحت قمر صغير
كانت المسيرة خطرة
إرنستو تشي جيفارا
حين يشتعل الجمر
علينا ألاّ نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
ثلاثون يوماً بين ريح
السييرا و غيومها
خلفنا البحر و السهول
و أمامنا حقول الأرز
الأشواك ، الغبار ، اللسعات
و الريح
ليس جلدنا إلاّ معطف الشقاء
احرق حقول القصب
حين يشتعل الجمر
علينا الاّ نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
مضى على ذلك اثنتا عشرة سنة في مرفأ توكسبان
كانت النيران مطفأة و من الغرانما
كانت الصرة تخرج إلى الأبدية
عطر الورقة الكوبية
حين يشتعل الجمر
علينا ألا نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا





ثمة أراضٍ أخرى في هذا العالم
تطلب بقوتي المتواضعة
أترك لكوبا القسم الأطهر
من آمالي في البناء
و الإغراء من بين الكائنات
التي أحبها
التشريفات انها تربحني
حين يشتعل الجمر
علينا الاّ نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
اضرب اليانكي بقسوة
يا أخي في غواتيمالا ، و في كولومبيا
في فنزويلا
اضرب اليانكي بقسوة
يا أخي في بوليفيا ، في البرازيل
اضرب اليانكي بقسوة
حين يشتعل الجمر
علينا الاّ نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
لا يهم المكان الذي سيفاجئنا الموت فيه
ليكن قدومه سعداً
شرط أن يكون طلبنا مستجاباً
في أن تمتد أيادٍ أخرى
لتلتقط السلاح

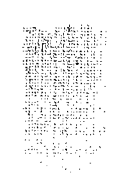




أما الشاعر الفرنسي جان فرا فقد كتب:

غيريللا
ذوو اللحى السوداء
و البنادق
خِف الأمتعة و الملابس العتيقة
كبيرق الأمل
تعاهدوا أن يحيوا من أجل غدٍ أفضل
تعاهدوا و البنادق في سواعدهم
غيريلا ، غيريلا
لئن كانوا حفنة
فإن من يتابع طريقهم
اليوم و ليس غداً
يلقاهم آلافاً مؤلفة
بعد قليل سيصبح العالم سلسلة جبال سييرا
و تُناغِم القارة ، قاطبة ، جيفارا
غيريلا ، غيريلا
ما في قلوبهم على شفاههم
كلمات و لا أحلى !
كلمات حمراء كالدماء
مائة مليون من ذوي السحنات الملونة
سيدركون ، في أي جهة العدالة
و الكرامة
تكون
غيريلا ، غيريلا
كلمات ملساء
تضاهي جيوشكم
و كل شرطتكم ، لا طائل تحتها ، كل شرطتكم
يدرك ، أخواتي ، أن الزهور تنمو على الدّمال
و أن الأجراس الأجراس ، ها هي ذي
. . . تقرع الأجراس
غيريلا . . . غيريلا





والشاعر بيتر ويس كتب قائل:

قضى عند حاجتنا إليه
قضى . . عند حاجتنا إليه
أكثر من أي وقت مضى
أكان عليلاً ؟ أما كان مُوثِقاً ؟
أكانت ، ربما ، أضحية ؟
و إذا كان مريضاً ، لماذا لم نسعفه ؟
كالمسيح أنزل عن الصليب كان
إنني أمقت أبطال الألم
إنني أمقت صوفية النشور
لقد هجرناه
حين كان علينا مساعدته بكل ما يجب
الأرض أرضه الصميمة التي أستقت بدمه ما كانت أرضه
حيثما تكونوا تكون بلادكم
و ها نحن ذا نجعله شهيداً
لنخفف عنا تبكيت الضمير
أمخطىء أنا ؟
أكان يا ترى قوياً و حبياً و مليئاً بالثقة ؟
أكان هو الشجاع الوحيد ؟
أعلّمنا موته جبننا ؟
تعلموا
تعلموا
تعلموا
وليستمر الكفاح



قصيدة "ماريا العجوز" لتشي جيفارا

قبل نحو عشـــرين عاما، كشـــف صديق لجيفارا هو الشاعر الكوبي نيكولاس غولين عن قصيدتين لتشـــي. اولاهما كتبها في الارجنتين عن عجوز معدمة تعاني من الربو والفقر المدقع وتنتظر الموت.

ماريا العجوز

ماريا العجوز، ستموتين،

احدثك بجدية.

كانت حياتك مسبحة من الصعاب

لا محبوب هناك، ولا صحة ولا

مال،

لا شئ سوى الجوع يشاركك الحياة.

اود الحديث عن آمالك

الامال الثلاثة المختلفة

التي نسختها ابنتك دون ان تدري.

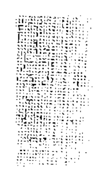
خذي هذي اليد الرجولية الطفلة

بين يديك الملطختين بالاصفر

وامسحي رسغيك البارزين و"القشف" اليابس

في الخزي الناعم ليدي الطبيب



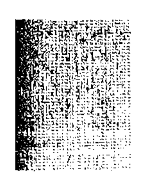


اسمعي ايتها الجدة البروليتارية
فلتؤمني بالانسان الاتي
فلتؤمني بالمستقبل الذي لن ترين

لا تصلي لرب قاسي
انكر عليك حياة الامل
ولا تطلبي الموت رحمة
لتشاهدي غزلانك الهجين تكبر
فالسماء صماء والظلام
يلفك

علاوة على ذلك، سيكون لك الثار الاحمر
اقسم على ذلك بحق
مبادئي
سيعيش كل احفادك الفجر
الجديد

موتي بسلام ايتها المحاربة العجوز
ستموتين، ماريا العجوز
ثلاثون كفن اتية





ستقول وداعا وتلقي نظرة

يوم ترحلين

ستموتين ماريا العجوز

وتتباعد حوائط الغرفة

عندما يتزوج الموت بازمة الربو

ويمتزجان محبة في حلقك

هذي الغزلان البرونزية الثلاثة

(الضوء الوحيد الذي ينير لياليك)

هؤلاء الاحفاد الثلاثة المسربلين

بالجوع

سيبكون تشابك الاصابع العجوز

حيث وجدوا دائما الابتسامة

ويكون ذلك كل ما في الامر، ماريا العجوز

كانت حياتك مسبحة من الصعاب الصغيرة

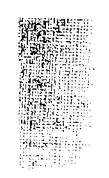
لا محبوب هناك ولا صحة ولا

سعادة

لاشئ سوى الجوع يشاركك الحياة

كانت حياتك بائسة، ماريا العجوز





عندما تمحو ظلال الراحة الابدية

الالم من عينيك

عندمي تتلقى الايدي التي تآكلت من الغسيل

تربيتة اخيرة

فكري فيهم .. وابكي

ماريا العجوز، التعيسة.

لا تفعليها

لا تصلي لرب

انكر عليك حياة الامل

لا تطلبي الموت رحمة

كانت حياتك مسربلة بالجوع

وها هي تنتهي مسربلة بازمة الربو

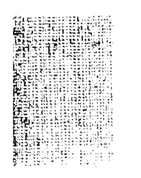
لكني اود ان اهمس اليك

بصوت رجولي خفيض مفعم بالامل

عن الثأر الاشد احمرارا، واشد رجولية

اود ان اقسم على ذلك بحق

مبادئي





خذي هذي اليد الرجولية الطفلة

بين يديك الملطختين بالاصفر

وامسحي رسغيك البارزين و"القشف" اليابس

في الخزي الناعم ليدي الطبيب

ارقدي في سلام، ماريا العجوز

ارقدي في سلام، ايتها المحاربة العجوز

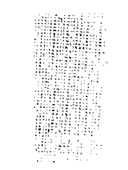
سيعيش احفادك الفجر

الجديد

اقسم على ذلك.

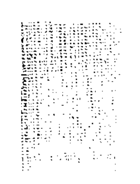
ربما لا تبدو القصيدة شعرا عظيما، بمقاييس الشعر التقليدي او الحديث، لكنها تكشف عن جانب من شخصية جيفارا قد لا يعرفه كثيرون.





من أروع ما قال تشي جيفارا

- الثورة قوية كالفولاذ حمراء كالجمر باقية كالسنديان عميقة كحبنا الوحشي للوطن
- كنت أتصور أن الحزن يمكن أن يكون صديقا لكنني لم أكن اتصور أن الحزن يمكن أن يكون وطنا نسكنه ونتكلم لغته ونحمل جنسيته
- انني احس على وجهي بألم كل صفعة توجه الى كل مظلوم في هذه الدنيا فاينما وجد الظلم فذاك هو وطني
- أن الطريق مظلم وحالك فإذا لم نحترق انت وانا فمن سينير الطريق. . ؟
- علمني وطني بان دماء الشهداء هي التي ترسم حدود الوطن
- لكل الناس وطن يعيشون فيه الا نحن فلنا وطن يعيش فينا
- أنا شاهد المذبحة وشهيد الخريطة انا وليد الكلمات البسيطة
- لا تحزني امي ان مت في غض الشباب غدا سأحرض اهل القبور واجعلها ثورة تحت التراب
- الدموع لا تسترد المفقودين ولا الضائعين ولا تجترح المعجزات !! كل دموع الارض لا تستطيع ان تحمل زورقا صغيرا يتسع لأبوين يبحثان عن طفلهما المفقود
- لا يهمني متى أو أين أموت, لكن همي الوحيد أن لا ينام البرجوازيين بكل ثقلهم فوق أجساد أطفال الفقراء والمعذبين, وأن لا يغفو العالم بكل ثقله على جماجم البائسين والكادحين
- أنا لا اوافق على ما تقول, ولكني سأقف حتى الموت مدافعا عن حقك في أن تقول ما تريد
- قد يكون من السهل نقل الانسان من وطنه ولكن من الصعب نقل وطنه منه





- يعشقون الورد لكن يعشقون الارض أكثر
- مثل الذي باع بلاده وخان وطنه مثل الذي يسرق من بيت ابيه ليطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه
- يقولون لي أذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لئلا يحلم بالحرية وأقول لهم أذا رأيت عبدا نائما ايقظته وحدثته عن الحرية
- يقولون أن علينا ان نغلق ملف القضية الفلسطينية وان نحلها كما يريدون لنا ان نحلها واقول لهم ان كنتم تعبتم ففارقون
- حفاة على الجمر نسير وعلى الجمر تحترق امنياتنا. سنين الشوك غرسوها في صدورنا، فأنبتت جراحا رويناها بالذاكرة
- لا بد احيانا من لزوم الصمت ليسمعنا الاخرين

- لست مهزوما ما دمت تقاوم

من كلمات جيفارا المؤثِّرة؛ ما جاء في خطابه "عن الطب الثوري"، حين قال:

"لقد زرت لحد ما، كل بلاد أمريكا اللاتينية، ما عدا هايتي وسانتو دومينجو. وكانت الظروف التي أحاطت بترحالي، في المرة الأولى كطالب، وفيما بعد كطبيب، سببا في تعرفي عن قرب بالفقر، والجوع، والمرض؛ بالعجز عن علاج طفل بسبب الحاجة إلى المال؛ بظلام العقول الذي يخلقه الحرمان المستمر والمعاملة القاسية، لتلك الدرجة التي يستطيع الأب فيها أن يقبل موت احد أبنائه كأمر عادي غير مهم، كما يحدث غالبا في الطبقات السفلى في امريكا موطننا الأم . بدأت وقتها إدراك ان هناك اشياء كانت في الأهمية بالنسبة لي مساوية لان أصبح عالما مشهورا أو مساوية لتقديمي مساهمة كبيرة في العلوم الطبية: أدركت أنني ارغب في مساعدة هؤلاء الناس».





علامات استفهام ..

مات جيفارا الطبيب والشاعر، عازف الجيتار والثائر والمصور الفوتوغرافي، وصائد الفراشـــات.. وترك خلفه أسـئلة عديدة، يرى الكثيرون أنها لن يجاب عنها بسـهولة قريبا، فلم يحسـم حتى الآن أمر الوشـاية بـ"تشي"، فهل كان الرسام المتهم منذ أكثر من 30 سنة "بوستوس" الذي عاش منفيا في السويد، أم "دوبري" المفكر اليساري.. لا أحد يعرف. كما أنه لا أحد يعرف أين قبر "تشـي" الحقيقي حتى وإن زعم البعض اكتشـافه.. ولكـن الحقيقة التي تظل ماثلة هي أن الجسـد الذي لم ينهكه الربو اغتالته الديكتاتورية، ولكن بلا شك فشل الجميع في هزيمة روحه.



*** مسافة واضحة بين جيفارا وكاسترو ..**

أتسـاءل بدوري مثلما يتسـاءل آخرون. هل كانت كوبا ستكون أفضل حالا لو تناوب على حكمهـا حكام عديدون عوض حاكم واحد من نصـف قرن.؟ هل كان سـينتهي بها المطاف إلى ما هي عليه؟ أم إلى الأحسن؟

بكل تأكيد . كانت ستكون أفضل حالا مما هي عليه لـو خرجت من دوامة كاسـترو. كانت سـتخرج مـن الديكتاتوريـة والديماغوجيـة والخطب الطويلة التي لا تجدي وسـب وشتم كل يـوم أمريكا. فـي حين الشـعب الكوري يهاجر سـرا وعلنـا إلى أمريـكا ليبحث عند بوش ما لم يجده عند كاسترو.



هذا ما ظل عليه كاسترو. أما رفيق دربه جيفارا. تخلى عن النضال الداخلي. وتوجـه للنضال الخارجي قصد توسيع الثورة. لكن لم تسعفه أحلامه. وقع للأسف في ما وقع . وتكون نهايته.

صدقت مقولة الثائر الحقيقي آخر من يأكل آخر من ينام ....وأول من يموت

اما كاسترو غير مستبعد ان يكون هو من دبر قتل جيفارا ,ومنذ ان وصل الى الكرسي تشبث به ,ليس هذا فقط بل ورثه اخوه قبل ان يتولاه ربه.

* لا يزال غيفارا البطل الوطني المحبب للكثيرين في كوبا ومازالت صورته تزين معتقداته فـي موطنه الأصلى الأرجنيتن وفي المدارس يتعهدون كل صباح قائلين "سنكون مثل تشي جيفارا"

* والـي وقتنـا هذا لا يـزال جيفارا شـخصية تاريخية عريقـة تنال تبجيلا و احترامـا هائـلا , تعبـر عـن الثورة و قوة الشـعب و عن رفـض الظلم و الاضطهاد , صنفته مجلة التايم الامريكية من ضمن اكثر 100 شخص تأثيرا في القرن العشرين



دراسات وبحوث

الذاتي والموضوعي في تكوين إرنستو تشى جيفارا

(نقلا عن موقع دراسات الماركسية واليسار)

"تتزامن التغيرات الشخصية مع تطور ظروف النشاط الثوري"

كارل ماركس في "الايديولوجية الالمانية" (1846)

توطئة... وبعض الملاحظات بقلم مسعد عربيد

بالرغم من وفرة ما كتب عن إرنستو تشى جيفارا وفيه، قلة هي الكتابات التي تتناول المراحل والجوانب التكوينية في سيرته وفكره. لذا رأيت ان إستهل هذه الدراسة ببعض الملاحظات المنهجية اللافتة للنظر فيما كُتب حول تشى جيفارا :

1) أن الكثير من الكتابات، وخاصة الموسمية منها التي تتزامن مع ذكرى ولادته أو استشهاده ، تتراوح بين تخليد الثائر وتأبيد إرثه من باب المديح والأيقنة. وهي كتابات، غالباً ما تداعب العواطف وتبتعد عن نهج الاستقصاء والبحث العلمي.

2) يغرق العديد من هذه الكتابات في معالجة سردية لسيرة تشى ونضاله منذ لقائه بفيدل كاسترو (صيف 1955) وإلتحاقة بطلائع الثورة الكوبية ونضاله الثوري والاممي ووقائع أسره وإستشهاده. وهذه الدراسات متوفرة بما لا يحصى من مراجع ورقية والكترونية وبكافة اللغات. أما الدرسات التي تتناول المراحل المبكرة من حياة تشى جيفارا وتأثيرات العوامل الذاتية والموضوعية في تكوينه فتظل قليلة.

3) إذا توخينا خلق وعي وفهم موضوعيين لفكر وإرث جيفارا، فلا بد لنا



من أن ندرس هذا الثائر في سـياقه التاريخي والتكويني حيث نتلمس العوامل التي أثرت في تكوينه الفكري والسياســي، وهو ما سأحاول معالجته في هذه الدراســة. وعليه، فسوف تقتصر رحلتنا في هذه الدراسة على سنوات النشأة والتكوين المبكرة وتتوقف عند لقائه بالثوار الكوبيين:

• نتلمــس العناصر الرئيســية والظــروف الذاتية والموضوعية التي شــكلت أو أســهمت في تكوين تشــي جيفارا الانســان والثائر وصياغة فكره الثوري والسياســي ونستشــراف مــا آل اليــه من خــلال الكشــف عن جــدل الذاتي والموضوعي في نشأته.

• و نتناول عوامل التكوين الذاتي والتطور النفسي التي تحدو بطبيب أرجنتيتي من الطبقة الوســطى أن يركل بحبوحة العيش ليعلــن ثورة لا هوادة فيها من مرتفعات سييرا مايسترا الكوبية الى أدغال الكونغو وبوليفي.







(1)
دور الفرد في التاريخ

يقتضي الفهم الموضوعي لجيفارا وإرثه الثوري ان نعالج، ولو بشكل عاجل، إشكالية دور الفرد في التاريخ وإسهامه في صناعة الحدث، لانه في غياب ذلك يتعذر فهمه في سياقه التاريخي.

نبدأ بالسؤال: هل يصنع الرجال التاريخ؟ وهل حقاً أن أفعالهم وأنشطتهم هي منبع التطور التاريخي؟ أم ان للتاريخ وللحدث التاريخي سياقه و"حياته" وحراكه وقوانينه العامة التي تسبق أفعال الافراد والعظماء وتؤسس لدورهم؟

تظل هذه الاشكالية، إشكالية دور الفرد "والعظماء" في التاريخ، حبلى بالاسئلة ومفتوحة للنقاش، إلاّ أنني سأبدي بعض الملاحظات المكثفة في محاولة لاستشراف الوحدة الدياكتيكية بين الذاتي الموضوعي:



1) كان التاريـخ، الــى أن جاء الفهم المادي، ســرداً لاخبار الحكام والملوك. فهــم الذين يصنعونه ومن ثم يكتبونه لنا بمــا يتوافق مع رؤيتهم ومصالحهم. فالفكر البرجوازي يلقننا ان الفرد (الملك، الحاكم، القائد، العســكري ...الخ) هو الذي يقوم بالدور الاساســي والحاســم في صنع التاريخ ولم يرى الســرد البرجوازي للتاريخ أن تطور الانســان والمجتمعات البشرية محكوم بقوانين ونظــم، وأن دور الفرد يصبح ممكناً فقط في ظل ظروف وأوضاع إجتماعية (طبقية) معينة.

2) أما الماركســة فجاءت لتكشف العلاقة الجدلية بين الفرد (الذاتي) والقوى الموضوعيــة التي تحكم حركة المجتمع والتاريخ. فالمادية التاريخية لا تنكر دور الفرد في التاريخ بل هي تموضعه وتقرأه في سياقه المادي والتاريخي، وتــرى ان الافــراد وتأثيراتهم، كما يقــول بليخانوف في كتابــه ''دور الفرد في التاريخ'' (1898)، مهما عظم شــأنهم وقدراتهم ومواهبهم لا يستطيعون وحدهم أن يحددوا مجرى التطــورات التاريخية والتغيرات الاجتماعية التي تحتكم بالاساس الى قوى وظروف موضوعية.





فأسـباب هذه التطورات والتغيرات تكمن، تحديداً، في العلاقات الاجتماعية والاقتصاديـة وإصطفافاتها الطبقية المتناقضـة والمتوترة. (من الامثلة على ذلـك: دور لينيـن كقائد للثورة البلشـفية (1917) ودور جمـال عبد الناصر فـي ثورة يوليـو 1952 والحركة القومية العربية في القرن العشـرين ودور فيدل كاسترو في الثورة الكوبية وغيرها من الادوار التي جاءت بعد إختمار الشروط الموضوعية وإكتمال المقدمات المادية لعملية التغيير والثورة).

3) تصبـح شـخصية الفرد وقدراتـه ومواهبه وكل ما ينـدرج تحت ذلك من صفات وسمات عاملاً في التطورات الاجتماعية فقط اذا ما سمحت العلاقات الاجتماعيـة (تناقضاتها وصراعاتها) لهذه العوامـل أن تفرز تأثيراتها، واذا مـا اتاحت هذه العلاقـات المناخ ووفرت البيئة لفعلهـا. بعبارة اخرى، هناك "محدوديـات" لدور الافراد في التاريخ والمجتمع، ومهما عظم شـأن الفرد وقدرتـه، فانـه لا يسـتطيع ان يفـرض أو يقيـم أو يغير علاقـات اجتماعية وتاريخيـة اذا لم يتوافق هذا مع الاوضـاع وميـزان القوى القائم في المجتمع وإتجاه حركته.

4) يـرى أنجلـز أن المجتمعـات محكومة بضـرورات، هي فـي جوهرها اقتصاديـة، تقف خلـف الحدث الذي قد يبدو أمراً عارضـاً أو مجرد صدفة. وفـي إطار هذه الضرورات، تتوجب معالجة دور الافراد والعظماء. فالقوى الانتاجيـة وتطورها هي السـبب العام للتقـدم التاريخي للانسـان والمجتمع وهـي التي تحدد التغيـرات المتتالية في العلاقـات الاجتماعية. إلا أن هذا لا ينفـي أن الاحـداث التاريخية قد تأخـذ ملامح هذا الفـرد او القائد، أو أنها قد تتطبع بخصائصه وسـماته، كما أنه لا يغفل ان خصائص وشخصية وعقلية الافـراد ذوي التأثير تترك بصماتها العميقة على الاحداث وقد تغير ملامحها وربما بعضاً من نتائجها، إلا ان هذه الخصائص لا تبدل الاتجاه العام للتغيير والاحداث والتاريخ.



(2)
العوامل الذاتية في نشأة إرنستو تشى جيفارا المنبت الطبقي

تعود اسـرة جيفـارا الى أصول ايرلنديـة (والده) وباسـكية (والدته). ويرى بعـض المحللين أنه بالرغم من 'أرسـتقراطية' عائلتـه إلا انها أصبحت من الطبقة الوسـطى في الارجنتين بسـبب العوز والخسـائر الماليـة التي منيت بهـا. فبالرغم من أن جيفارا لـم يعاني الفقر والجوع كغيره من أطفال أميركا اللاتينية، إلاّ أنه أيضاً لم يعاشـر اقربانه ولم يتفاعل مع وسـطه العائلي، ولم يكن أصدقاؤه من ميسوري الحال بل كان منفتحاً على كافة الفئات الاجتماعية وأكثر تقرباً من الفقراء والاشقياء منهم.

والدان غير تقليديان

تعاطف والدا تشـى مع القضايا السياسـية والاجتماعية التقدمية التي عصفت بالارجنتين والعالم في تلك الآونة وتضامنا بشكل خاص مع مناضلي الحرب الاهليـة الاسـبانية (1936 - 1939). فبعـد هزيمـة الجمهوريـين فـي تلك الحرب وإنتصار الديكتاتور فرانكو لاذ العديد من المناضلين الاسـبانيين الى الارجنتين طالبين اللجوء السياسـي. وقد ناصر والدا جيفارا هؤلاء اللاجئين وكان لهما الكثير من اللقاءات والاتصـالات مع قادتهم السياسيين والعسكريين التي عايشها جيفارا خلال سنوات نشأته المبكرة وتأثر بها.

ترعـرع جيفـارا في بيت لا يأبه بالقيـم التقليدية وبقي أميناً لنشـأته هذه، فلم يكتـرث بالطقوس والتقاليد البالية ولـم يأبه بالهندام فكان يكره ربطات العنق والجاكيتات واللباس الانيق ويرفض المشـاركة في الاحتفالات والمناسـبات الاجتماعيـة، كما كان يحب المشـي على الاقدام مسـافات طويلة وقد عُرف بنزعته للفقر والعيش بدون نقود. ويمكننا القول بان حياة تشى ومسلكه قد خلا

من كافة المظاهر الرسمية المتحجرة كما تشهد على ذلك علاقاته مع الآخرين ومسلكه في الاجتماعات واللقاءت الرسمية والدبلوماسية حين مثل الحكومة الكوبية في منظمة الامم المتحدة ومنظمة التضامن الافرو- أسيوي ولقاءاته مع رؤساء الدول وغيرها من المنابر الدولية.

والدة تشي: علاقة متميزة

تحدرت الوالدة سيليا Celia من عائلة كاثوليكية وترعرعت في بيئة متدينة صارمة، إلاّ انها إنقلبت على معتقداتها وتدينها وتخلت عنها حين أحبت والد تشي الذي كان يتعاطف مع الحزب الاشتراكي. وقد تمت خطبة والدي جيفارا رغم معارضة وإمتعاض اسرة والدته فكان أن تمرد العروسان على مراسيم الزواج التقليدية السائدة آنذاك.



كانت والدة تشي واسعة المعرفة، خصبة المطالعة، وكانت، بالاضافة الى لغتها الام - الاسبانية، تتقن الفرنسية وعلى إلمام جيد بالانكليزية. كانت طموحة ومثابرة وشديدة التصميم على الوصول الى غايتها، فما أن شرعت بعمل إلاّ وأنجزته مهما تكلفت في هذا من جهد أو تضحية ومهما بلغ الثمن. كانت جريئة ومقدامه لا تردعها مشقات الحياة ومخاطرها.



المرض: الربو

أصيب الطفل إرنستو جيفارا بالتهاب الرئتين بعد ولادته ببضعة أيام وما أن بلغ الربيع الثاني من عمره حتى أخذ يعاني من مرض الربو الذي صاحبة طيلة حياته بنوباته المتكررة والتي كثيراً ما أقعدنه الفراش.

لازمت الام سيليا طفلها سنوات حياته الاولى حين كان يقعده المرض وكانت تقضي الساعات بجانبه حين كان يصارع نوبات الربو ويلتقط أنفاسه بكثير من العناء، كما كانت تعينه على القيام بواجباته المدرسية ومتابعة تعليمه. وهكذا توطدت العلاقة بين جيفارا وأمه وبقيت كذلك طيلة حياته حيث ثابر على مراسلتها باستمرار ومشاركتها همومه وإحاطتها علماً بافكاره وطموحاته وأسفاره وتنقلاته.



كان مرض إرنستو سبباً في تنقلات عائلته المتعددة، حيث اضطرت العائلة للتنقل في أماكن سكنها بحثاً عن طقس أكثر ملائمة لصحته أملاً في التخفيف من وطأة نوبات الربو. كما كان للمرض وشدة نوباته المتكررة كبير الأثر على نمو الطفل إرنستو فكانت الكلمات الاولى التي نطق بها: "بابا، إبره"، مستغيثا بوالده أن يسعفه بحقنة الدواء كي يلتقط أنفاسه. وقد ولّد المرض في تشى الصبر وشدة العزيمة وربما كان السبب في أفعاله التي كثيراً ما كانت تطمح الى تحقيق "ألممكن الاقصى" إن جاز التعبير والتغلب على الصعوبات والعقبات التي تعترض سبيله، كما خلق



لديه القناعة بان الانسان قادر، إذا ما توفرت الارادة، على القيام باي شيء.

بالاضافة الى ذلك، تعلم إرنستو الصغير التكيف مع المرض فكان يمارس نشاطاته والعابه ورياضته رغم نوبات الربو القاسية حيث كانت تحدوه الرغبة في مشاركة أقرانه اللعب واللهو.

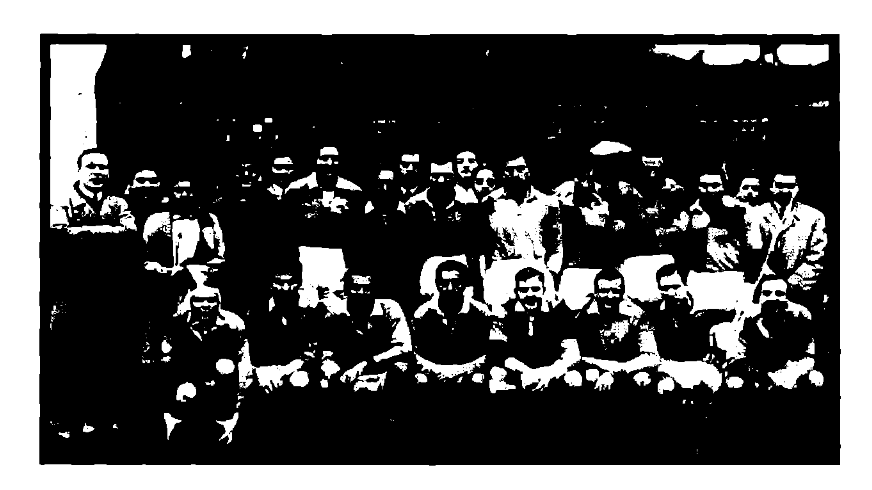
كان المرض يرغم جيفارا على إلتزام الفراش ساعات بل أياماً عديدة مما وفر له فترات طويلة من المطالعة التي صقلت شخصيته وأصبحت هوايته المفضلة وجزءً من طبيعته وعادة لم تبرحه حتى في أحلك ظروف حياته.

حب الطبيعة

يعود شغف تشى بالطبيعة والادغال الى طفولته المبكرة حيث قضى تلك السنوات في شمال الارجنتين. ولعل الفضل في حبه للطبيعة يعود الى والدية اللذان إختارا ان يقيما في شمال البلاد (إقليم Misiones) حيث الطبيعة الخلاّبة والغابات الكثيفة. ويبدو ان جده أيضاً كان مولعاً بالطبيعة والمغامرة وكان تشى الطفل يقضي ساعات طويلة يستمع بشغف لوالده الذي كان يحدثة عن مغامرات جده بتفاصيل لم يفوّت الطفل منها شيئاً وتركت في نفسه عميق الاثر.

ينحو دارسو سيرة جيفارا الى تفسير حبه للطبيعة وللهواء الطلق وفسحة المكان الى إصابته بالربو وتعطشه الدائم للهواء والتنفس بحرية. وهذا صحيح. إلاّ أنه تجدر الاشارة أيضاً الى أن تنقلات اسرة جيفارا وإقامتها في أماكن متعددة تتميز بالطبيعة الخلاّبة والهواء الطلق كان لها كبير الأثر على نشوء هذه النزعة لديه. فقد بقي حتى لحظة وفاته يتطلع دوماً للعيش في الطبيعة المفتوحة والهواء الطلق رغم ما رافق ذلك من صراع متواصل مع نوبات الربو. وقد لازمت هاتان السمتان - التوق للطبيعة والصراع مع المرض - تشى في كافة منعطفات حياته وشكلتا عاملاً حاسماً في تكوينه النفسي.





شجاعة ... مغامرة ... أم عقلنة الخوف؟

أحب جيفارا تحدي الخطر وشَـغُفَ بتسـلق المرتفعات والجبال وتلذذ بعبور الجسور خصوصاً إذا جرت من تحتها الانهار. وقد تحلى بشجاعة نادرة، ولا غرابة ان منحه كاسترو، بعد فترة وجيزة من إنطلاقة الثورة الكوبية، لقب "كوماندانتي" comandante وهو أعلى مرتبة عسكرية في قوات الثورة آنذاك. وقد حفلت حياة جيفارا بالمواقف والاحداث التي تأكد هذه الخصال.

إلاّ أنه على خلاف ما تصوره الدعاية المغرضة وبطوليات هوليوود السينمائية التي تلصق به صفات المغامرة والمجازفة، فان شجاعة تشى لم تدفعه للإقدام على الاخطار غير المحسوبة بل تحلت مسلكيته بالثورية والتأني والتعقل والشعور العميق بالمسؤولية حيال سلامته وسلامة رفاقه. إذ لم تكن الشجاعة لدى إرنستو جيفارا غايةً بحد ذاتها، بل وسيلة نضال من أجل القضية والثورة. لذا، سعى بحرص شديد، ومن منظور الاعتبارات الاستراتيجية والسياسية، الى التحكم بالخطر بالمقدار الذي يستطيع أن يتعاطى معه. كان جيفارا يعقلن الخوف ليتغلب عليه ويتجاوزه كي يتغلب على المخاطر المحيقة به.

هكذا كان جيفارا جسوراً غير آبه بالمخاطر حين قرر العمل والاقامة في مستشفى البرص في أدغال البرازيل مع صديقه البرتو جرانادو Alberto



Granado الـذي رافقـه فـي رحلته الشـهيرة عـام 1953 والتي أصبحت موضوع الفيلم الشـــهير ''يوميات الدراجــة النارية''. إلاّ أن جيفارا لم يمتطي هـذه المشـقات بدافــع المجازفــة والمغامرة بل إلتزامــاً ووقوفاً مــع الفقراء والمرضى ورغبة في التعرف على أوضاعهم وظروفهم المعيشـــية. كذلك لم يكن تشى مغامراً حين قرر الانضمام الى قوات الثورة الكوبية، وحين صمد مع طلائعها طيلة سـبع ايام عسيرة وسط أعاصير شديدة في ديسمبر 1956 على ظهر الياخت جرانما الذي نقل الثوار من الساحل المكسيكي الى شواطئ كوبا وصولاً الى جبال سـييرا مايسترا Sierra Maestra في جنوب شرقي كوبا حيث كانت قوات الديكتاتور الكوبي باتيســتا بانتظارهم في كمين أودى بحياة جلة المقاتلين ولم يُبقى منهم إلاّ على إثني عشــر رجلاً من أصل واحد وثمانين.

إلاّ ان هذا لم يحل دون التحامل على جيفارا خلال حياته وبعد مقتله. فقد أحاط بســيرته ومواقفه الكثير من التزوير المغرض سواء خلال مرحلة الثورة في كوبا أو بعد مغادرتها لنصرة الشعوب الاخرى في العالم الثالث وسعياً وراء مشروعه في الثورة الاممية. ودون أن نخرج عن موضوعنا، تجدر الاشارة الــى أن المقولات التي وصفت تشــى جيفارا بالمغامــر، وخاصة حملته في



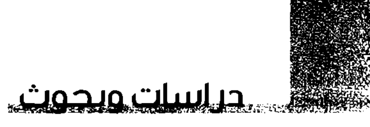


أدغال بوليفيا التي أودت بحياته، تجافي الحقيقة وتغفل الظروف الموضوعية التــي أدت الى عزلته في أدغال بوليفيــا وإعاقة وصول الامدادات الموعودة ودور الحزب الحزب الشــيوعي البوليفي وتعليمات القيادة السوفيتية وغيرها مــن ملابســات تلك المرحلة. كما أن هذه المقــولات تتنكر لحقيقة أن جيفارا، الذي كان قبل كل شــيء، ثورياً ماركسياً وإســتراتيجياً عسكرياً مؤمناً بقدرة الجماهير ودور ومســؤولية الفرد في صناعة الحدث، كان يدرك بعمق دور الظروف والتطورات الموضوعية وسياقها التاريخي والاجتماعي.

لم يكن جيفارا عابثاً يركض وراء وهم أو معركةٍ دون كيشــوتيةٍ، كما يدّعي الاعلام الرأســمالي، بل كان صانعاً لمشروع ثورة تبدأ في كوبا وتمتد لتطال الانســانية بأسرها، كما كان قارئاً متفحصاً للتاريخ وحراك الشعوب وقوانين الصــراع وديالكتيكية التناقضات الاجتماعية والطبقية. أما عندما يحين وقت المواجهة مع العدو فقد كان تشــى يدرك أن المقتل يكمن في الخوف والتردد فكان ينفض هذه الاوهام ويلقي بكل ثقله في المعركة.







(3)

المؤثرات الفكرية والثقافية

التثقيف الذاتي: مشروع حياة

نشـأ تشى في بيت يحب المطالعة وإقتناء الكتب فحوى منها ما يقارب مكتبة صغيرة. وشـرع، بمعونة والدته وتشجيعها، في رحلتة مع الكتب منذ نعومة أظفاره، منذ أن كانت امه، كما أسلفنا، تقضي سـاعات طويلة تقرأ له وهو علـى فـراش المـرض. هكذا دأب جيفـارا علـى القـراءة باسـتمرار ودون كلـل وفـي كل لحظـة تتـاح لـه، حيـث كان الكتـاب جليسـه الدائـم ورفيق دربـه، فاذا ما أصابته نوبـة الربـو وحالـت دون مشـاركتة زملاءه في الالعاب الرياضيـة، نـراه يتنحى الى أطراف ملعب المدرسـة وفي يديه كتاب يقرأه.



يذكـر جيفـارا فـي مذكراته، التـي حـرص دومـاً علـى تدوينها، أنه كان يتوقف خلال رحلاتـه فـي المكتبات العامة في البلدان التي يزورها حيث يقضي سـاعات في القراءة. وتشـير وقائع إستشـهاده أن الجنود البوليفيين عثروا على كتاب "الثورة الدائمة" لليو تروتسكي في حقيبة تشى لحظة وقوعه في الأسر.

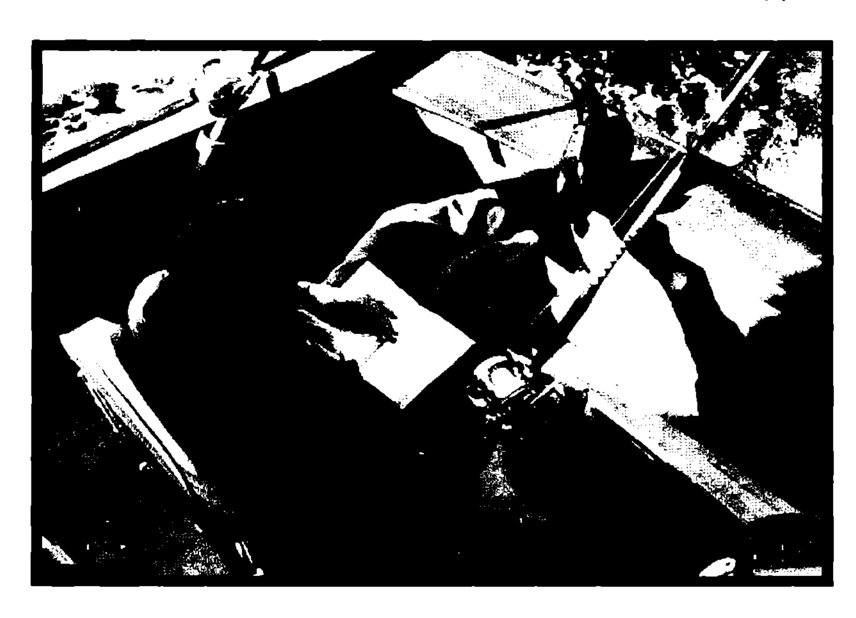
شغف تشـى بالشِـعر والادب وأولاهما إهتماماً كبيراً. أخذ يقرأ بابلو نيرودا



وهو في الثانية عشر من عمره وحفظ الكثير من قصائده عن ظهر قلب. كما قرأ لوركا وأنطونيو ماتشادا وغيرهما من شعراء أميركا اللاتينية وكان يردد قصائدهم على مسامع أصدقائه. ومن مشاهير كتاب أميركا اللاتينية طالع بنهم اوراسيو كيروغاHoracio Quiroga وخوزى أينخرينيروس Jose Ingrenieros ومن الكتاب العالميين قرأ أناطول فرانس.

في سن الخامسة عشر قرأ خوزى مارتي (ملهم الثورة الكوبية ورمزها في القرن التاسع عشر) إضافة الى مهاتما غاندي وماركس وانجلز وجون شتاينبك و"عناقيد غضبه".

قال البرتو جرانادو، الصديق الحميم لتشي والذي رافقة في رحلة الدراجة النارية، في حديث مع صحيفة جرانما الكوبية عام 1967، إن تشي تعرف على مفاهيم فرويد في التحليل النفسي منذ سن الرابعة عشر، ويبدو انه قرأ بعض ادبيات التحليل النفسي (سيجموند فرويد وكارل يونغ والفرد آدلر) والتي كانت آنذاك في مهدها ولم يكن يلم بها الكثيرون من مثقفي أميركا اللاتينية.







وبالرغم من أن تشي لم ينضم الى اي تنظيم سياسي طلابي طيلة فترة الدراسة الجامعية إلا أنه طالع في اربعينيات القرن الماضي ماركس وستالين وموسوليني وسارتر، كما حظيت الثورة الصينية باهتمامه. وفي سن التاسعة عشر، في مطلع إلتحاقه بكلية الطب، عمد جيفارا الى قراءة الادبيات الماركسة ومناقشتها مع صديقته تيتا Tita والتي كانت عضواً في منظمة الشبيبة الشيوعية.

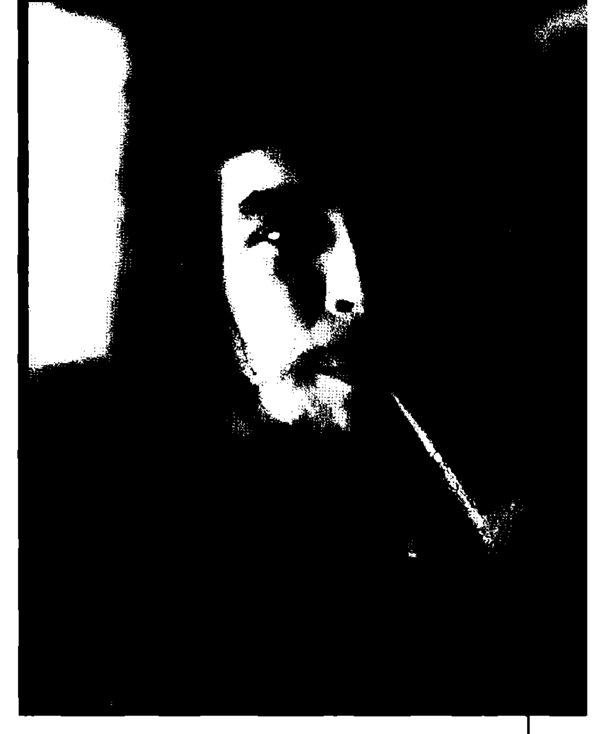
طالع جيفارا خلال إقامته في المكسيك (1955 و 1956)، وكان قد بلغ من العمر السابعة والعشرين، أعمال ثوار ذلك البلد مثل مذكرات بانتشو فييا Pancho Villa ودرس أدبيات الثورة المكسيكية (1910)، كما قرأ معركة ستالينغراد والحرب الكوبية والادبيات الثورية المعاصرة لشعوب أميركا اللاتينية والعالم الثالث والكاريبي.

في سن السادسة والعشرين أخذ يلتقط الادب الروسي الكلاسيكي فقرأ تولستوي وجوركي وديستويفسكي وطالع أفكار الثوري الروسي بيترو كروبوتكين Piotro Kropotkin وأعمال لينين ("ما العمل؟" و""الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية"") وماركس (رأس المال) وماركس وانجلز (البيان الشيوعي) وانجلز (أصل العائلة، الملكية الخاصة والدولة، من الاشتراكية الطوباوية الى الاشتراكية العلمية)، كما قرأ العديد من مآثر الادب الصيني وأدبيات ثورته.



الفلسفة: مرشدة الفعل الواعي

يلحظ مؤرخو سيرة جيفارا على أن مطالعاته، رغم تنوعها، لم تكن عشوائية بل كانت في كثير من الاحيان جزءاً من مشروع تثقيف ذاتي. إلاّ ان التثقيف الذاتي لم يتبلور برنامجاً ولم يتخذ ملامح واضحة، إلا عندما إحتلت دراسة الفلسفة والتاريخ موقعاً مركزياً في إهتمامات جيفارا. قرأ "تاريخ اوروبا المعاصر" في 25 مجلداً وشرع، وهو في السابعة عشر من عمره، في تنظيم قراءاته في مجال الفلسفة، احد فروع المعرفة التي كان يتوق الى دراستها، فاخذ يدون ملاحظاته ويجمعها في "معجم فلسفي" تكاثرت صفحاته حتى بلغت سبعة عشر دفتراً ما زالت محفوظة في مركز دراسات تشي جيفارا في هافانا.



كان جيفارا يتعطش لدراسة الفلسفة، ولكن ليس في شكلها المجرد بل باعتبارها قوة قادرة على ان تحرك الممارسة العملية وتوجهها. بعبارة أخرى، ان ترشد اشكالاً من الفعل الواعي نحو غاياته وأهدافه وأن توجهه في مشروع تغيير العالم والتغلب على محدودياته. فالفلسفة (والمعرفة بشكل عام) عند جيفارا أداة لتحقيق مشروع حياته، مشروع الثورة، ووسيلة لتحقيق قيم العدالة والانسانية وإزاحة الظلم عن كاهل الفقراء والوصول الى "الانسان الجديد"، وهي القيم التي ناضل من أجلها وتمثلت في الانجازات التي حققها والاحداث التي ساهم في صنعها.



ضمت "دفاتر" جيفارا الفلسفية بين دفتيها كافة فروع المعارف الفلسفية إلاّ أن أعمال ماركس وحياته تألقت مكاناً خاصاً فيها. وحيث أولى جيفارا إهتماماً خاصاً للمشاكل الاجتماعية وإنعكف على دراسة الماركسية في تلك السن المبكرة، فقد رسّخ هذا في وعيه فهماً للاسباب المادية والجذرية لتلك المشاكل، وهو النهج الذي رافقه طيلة حياته ورسم معالم فكره ونضاله. بالاضافة الى دراسة الطب البشري، إنغمس تشي خلال سنوات دراسته في مطالعة الادبيات الماركسية وأقام حولها الكثير من الجدل مع زملاءه ونشطاء منظمة الشبيبة الشيوعية في بيونس أيريس.

هذا عرض خاطف لاهم الاعمال الفكرية والادبية التي طالعها جيفارا وأسهمت في توجيه مساره الفكري وصياغة مفاهيمه حول الثورة المجتمع والتاريخ، إضافة الى دراسه الطب وإهتمامه الخاص بامراض الحساسية. وتلك هي التربة الفكرية التي ترعرع فيها تشي الثائر والمثقف العضوي الذي سيكتمل نضوجه وتطوره الفكري في سنوات الثورة اللاحقة بعد إنضمامه الى صفوف الثوار الكوبيين وتوليه مهام حزبية وحكومية رفيعة وحساسة في ذلك البلد.







جيفارا.. الطبيب والانسان

لـم تحظى حياة تشـى كطبيـب بكثير من الاهتمـام وربما يعود هـذا الى أن جيفارا لم يلتفت الى ممارسـة مهنة الطب بالطريقة التقليدية، بل أراد الجمع بين هذه ومشـروع الثـورة. ومن هنا نشـهد إلتحاقة بالثـوار الكوبيين بفترة قصيـرة بعـد تخرجه مـن كلية الطـب. إلاّ أن هذا لا يقلل مـن أن غايته من دراسـته للطب جاءت تعبيراً عن نزعته الانسـانية ورغبته في مد يد العون للمرضى والمحتاجين. وفي محاولة للتناغم بين الطبيب والثائر، أولى تشـى عناية خاصة لدور الطبيب في إعداد برنامج رعاية صحية في خدمة الشعب. يقول تشـى في رسـالة الى اسـرته، بعد تخرجه طبيباً بفترة وجيزة، انه أخذ يعمل على تأليف كتاب بعنوان "وظيفة الطبيب في أميركا اللاتينية" وانه قد إنتهى من إعداد الفصلين الاولين، ليتابع قائلاً "واعتقد انه بشـيءٍ من الصبر والمثابرة، فانني أستطيع ان اقول شيئاً جيداً".

يضم الارشـيف الشـخصي لتشـى غيفار في هافانا مادةً وفيرة كان تشى قد جمعها في إطار الاعداد لمشـروع كتابه هذا وقد شـملت أربعة عشـر فصلاً تعالـج مواضيع مختلفة تتراوح بين تـاريخ الطـب العام وتاريخ ودور الطب في اميركا اللاتنية والحلول المقترحة لنظام رعاية صحية تعكس رؤية تشـى



لهذه المسألة:

- مهمة الطبيب في المواجه المباشرة للنظام القائم والنضال من أجل إقامة نظام رعاية صحية في خدمة الشعب والدور الرئيسي المناط بالطبيب في هذا النظام.

- الحلول النهائية لمشكلة الرعاية الصحية و"النضال الثوري" المنوط بالطبيب من أجل خدمة الصحة العامة للشعب.

- مسؤولية الطبيب في فهم ودراسة الاوضاع الصحية في المنطقة التي يعمل فيها وإقامة علاقة طيبة ووثيقة مع السكان.

- رأى تشى أن علاقة الطبيب بالمريض لا بد أن تعزز تكوين الوعي الشعبي باهمية الصحة والرعاية الصحية في حياة الشعوب.

يخلص تشى الى انه يتوجب على الطبيب، في سعيه لايجاد الحلول الناجعة، ان يكون قبل كل شيء، ثورياً يناضل ضد كل أعداء الشعب الذي هو "السيد الوحيد الذي يعمل الطبيب في خدمته".







(4)
المؤثرات السياسية المبكرة
الحرب الاسبانية ومناهضة النازية

لاذ الكثيرون من مناضلي "الجمهورية الاسـبانية" بعد هزيمتهم في الحرب الاهلية الاسبانية ضد الدكتاتور الفاشي فرانكو، لاذوا باللجوء الى الارجنتين. وقد تأثر جيفارا بالعديد من قادة هؤلاء اللاجئين السياسـين الذين إلتقاهم من خـلال إتصالات وجهـود والديه في مناصرتهـم وكان صديقـاً لابنائهم. إلاّ أنـه تاثره بشـكل خاص باثنين من هـؤلاء القادة الاسـبانيين: الدكتور خوان إغيلار Juan Aguilar الطبيب ورئيس شعبة الخدمات الصحية في البحرية الاسبانية، والجنرال خورادو General Jurado.

كان تشي يقضي ساعات طويلة، ولم يكن آنذاك قد تجاوز التاسعة من عمره، مسـتعماً بشـغف شـديد لهذا الجنرال الذي كان يروي له قصص الحرب في





اسـبانيا. كان الصغير تشـى شـديد الاعجاب بهذا الرجل ومنـه تعلم دروس الشجاعة والفداء والذود عن الوطن، كما تأثر بتواضعه وعدم إكتراثه بالابهية والألقاب. وربما تلقن منه فضيلة ولاء القائد العسـكري للجنود والمقاتلين من المراتب العسـكرية الدنيا وعدم التخلي عنهم في الاوقات العصيبة ولم تبرح هذه العبرة تشى عندما أصبح قائداً عسكرياً في الثورة الكوبية إذ لازمته طيلة حياتـه وظـل أميناً لها فـي تعامله مع رفاقه وإيثارهم علـى ذاته حتى الرمق الأخير.

"الحزب الاول" في حياة تشى

خشـية من إنتشار الفاشية والنازية في ذلك الجزء من العالم، أسس والد تشى منظمة سياسية تدعى "العمل الارجنتيني" ضمت بين صفوفها أطيافاً سياسة وايديولوجيـة متباينـة إلتقت علـى برنامح حدٍ أدنى عماده مناهضة الفاشـية والنازيـة والدفاع عن الحقوق القومية لشـعوب أميـركا اللاتينية. وقد إنضم جيفارا الى هذه المنظمة وهو في الحادية عشر من عمره وبقي عضواً نشيطاً فيها حتى السـابعة عشـر مرافقاً والده في العديد من النشـاطات والتجولات السياسـية. تفانى تشـى في خدمة هذه المنظمة وإسـتحوذ عليه شعور عميق بالمسـؤولية تجاهها حيث صرف جلّ وقته وجهده في تنفيذ المهام التي كانت توكل اليه رغم نوبات الربو التي كانت تصيبه تكراراً في تلك السنوات. ومع بلوغه السابعة عشر من عمره، أصبح تشى أكثر إستقلاليةً في فكره ونشاطه السياسي وأخذت نزعته الى المواقف الراديكالية تتبلور بوضوح أكبر.

الزواج الاول: الحب والشيوعية

إلتقى تشى في رحلته الاخيرة وخلال إقامته في غواتيمالا (1953) بالصحفية الشـيوعية البيروانيـة هيلدا غاديـا Hilda Gadea والتي أصبحت زوجته (الاولى) وانجبت طفلتهما هيلديتـا Hildita (هيلدا الصغيرة). كانت غادييا





شـيوعية واسـعة الاطلاع وتتمتع بشـبكة كبيرة من العلاقات مع شـيوعيي المكسـيك وغيره من بلدان اميركا اللاتينيـة. وبعد فترة قصيرة من وصولها الى المكسيك مع زوجها تشى تم إعتقالها وطردها من ذلك البلد.

خـلال إقامتهمـا في المكسـيك، وفـرت هيلدا لجيفـارا العديد مـن الادبيات الماركسـية وخاصة كتب ماو تسـي تونغ وعرفته على اللاجئين الكوبين في المكسـيك حيـث إلتقى الكوبـي أنطونيو (نيكو) لوبـس Antonio (Nico) Lopez والـذي أطلق على جيفارا، للمرة الاولى، لقب "تشـى". كما عرّفته على راؤول كاسترو، والذي قدمه بعد أيام قليلة لاخية فيدل وما تلى ذلك من إلتحاقة بالثوار الكوبيين في المنفى المكسيكي.

(5)
العوامل الحاسمة في تكوين تشى جيفارا

مـن الناحية المنهجية، يمكن القول بان عوامل حاسـمة ثـلاث كان لها أكبر الأثر في تكوين تشى جيفارا وصياغة فكره السياسي والثوري، وهي، حسب ما ترى الباحثة ماريا غارسيا :

1) الفكر الماركسي.

2) رحلات جيفارا.

3) تجربة غواتيمالا.

1) التعـرف المبكر على الفكر الماركســي: تعرف تشــى مبكــراً على الفكر الماركسي الذي ساهم في توجيه أفكاره وصياغة مفاهيمه وربطها بالممارسة العملية في البحث عن حلول لمشـاكل الانسان ومستقبله في أميركا اللاتينية. وبفضــل تأثره بهذا اللفكر، كان جيفارا شـديد الحرص على التعريف الدقيق للمفاهيـم السياســية والثوريـة فـي برامج التثقيف الذاتي التي وضعها لنفســه والتي شملت دراسة الفلسفة وعلوم السياسة والاجتماع. وقد شكل هذا التقارب المبكر مع الماركســية البنية النظرية والسياسية الصلبة التي أضحت الدعامة الرئيسية لفكر تشى وممارسته ونضاله. ويشهد فيدل كاسترو على هذا بقولـه: " إلتقيت بتشى بعد خروجي من السجن والرحيل الى المكسيك. وكان ذلك في عام 1955 ... كان تشى قد درس الماركسية ـ اللينينية بنفسه وأصبح مقتنعاً بها .. كان تشى، لحظة لقائنا، ثورياً ناضجاً يتمتع، إضافة الى ذلك، بمواهب عظيمة وذكاء خارق وقدرات نظرية واسعة".



2) رحلات تشى: البحث عن القضية...الثورة

تمثل رحلات تشــى بعداً هاماً ودائم الحضور في مســيرته وفي فهمه الدقيق للواقــع الاجتماعــي في أميــركا اللاتينيــة والتصاقه به. ولعلنــا نجد في هذه الرحــلات اولى التعبيرات عن التناغم بين النظرية والممارســة العملية الذي إتسم به تشى وكان واحداً من أعند نماذجه.

أحب تشــى حياة التنقل منذ طفولته حيث إعتاد الســفر مع والديه وقد زودته هذه الاسفار بالخبرات التي إستثمرها لاحقاً في رحلاته، كما هيأت له التماس المباشر مع الطبيعة والتفاعل معها وهو ما كان يعشقه. ولا شك في أن جيفارا الشــاب كان مدفوعاً في رحلاته المتميزة بحــب التجوال والتعرف على بلده الارجنتيــن وغيره من بلدان القارة اللاتينيــة، إلاّ ان القراءة الامينة لرحلاته الطويلة والمتكررة والمحفوفة بالمخاطر وشــحة المال وما كانت تتطلبه من جهد كبير، تقودنا الى الاســتنتاج بان تشــى الشــاب لم يكن يبحث، من وراء تلك الاســفار، عن مجرد ''الســياحة''، بل كان يســعى الــى تلمس الاوضاع الاجتماعيــة والاقتصادية والسياســية لشــعوب تلك القــارة ومعاينة معاناتهم جرّاء الفقر والاســتغلال وقمع الانظمة الديكتاتورية التي نصبتها الامبريالية الاميركية في تلك البلدان.

الرحلة الاولى: كان تشــى قد بلغ من العمر إثنين وعشرين عاماً وكان حينها طالبــاً في كليــة الطب وجال خلال رحلتــه هذه بلده الارجنتين. وقف تشــى عبــر هذه الرحلة وللمرة الاولى امام واقع الظلم والفقر وغياب أدنى أشــكال العدالة الاجتماعية في بلده حيث شــاهد التفاوت السحيق في مستوى المعيشة والظــروف الاجتماعيــة والاقتصادية فــي المقاطعــات الارجنتينية المختلفة والتي كان يعيش بعضها ''كدولة داخل دولة''.

الرحلة الثانية: وقد شرع بها جيفارا بعامين بعد رحلته الاولى بصحبة صديقه ألبرتــو غرانادو، وضمت، بالاضافة الى الارجنتيــن، عدداً من دول أميركا اللاتينية. وقد أكدت هذه الرحلة لتشى بان الظروف الاجتماعية والاقتصادية لشــعوب تلــك القارة لم تكن تختلف عن أوضــاع الجماهير الارجنتينية إن لم



تكـن أسـوأ وأكثر ترديا كما أغنت معرفته وإلمامـه باجزاء عديدة من القارة اللاتينية. هكذا إستطاع تشي أن يلمس بشكل شخصي ومباشر معاناة الجماهير وأن يعايش ظروفها القاسية.

الرحلـة الثالثـة والاخيـرة: قام بها تشـي وهو في الخامسـة والعشـرين من عمره، وهي الرحلة التي وسعت آفاقه وخبراته الشخصية والفكرية والنفسية وسـارعت في إنضاج تطـوره الثوري والسياسـي والايديولوجي. كان لهذه الرحلـة، الاخيرة قبل أن يلتحـق بالثوار الكوبيين في تموز (يوليو 1955)، الفضل الكبير في صقل شخصية تشي وتكوينة الثوري.

جال تشـي في هـذه الرحلة بوليفيـا والبيرو والاكوادور وبنما وكوسـتاريكا ونيكاراغـوا وهنـدوراس والسـلفادور وغواتيمالا حتى حط بـه الرحال في المكسـيك. في كوستاريكا وغواتيمالا إلتقى العديد من الكوبيين الذين ساهموا في الهجوم على الثكنة العسـكرية المونكادا (26 يوليو 1953) في المحاولة الثورية الاولى التي قادها كاسترو ضد الدكتاتور باتيستا.







السياق السياسي لرحلات جيفارا

في حين إتسمت الحقبة التي قضى فيها تشي سنوات طفولته ومراهقته بعلاقات الهيمنة الامبريالية التي شملت أميركا اللاتينية وما صاحبها من تقلبات وتوترات اجتماعية وسياسية عاصفة، فان مرحلة شبابه واكبت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وما حملته من هزّات سياسية واقتصادية واجتماعية. فقد سادت اميركا اللاتينية، والعالم بشكل عام، عملية "تعافي" اقتصادي تميزت بتغلغل راس المال الاجنبي وتشوه البنية التنموية في تلك البلدان والذي جاء نتيجة شحة راس المال المحلي مما أدى الى إحتجاز التنمية وتبعيتها للهيمنة الخارجية وإستنزاف اقتصادات تلك البلدان ومواردها.

وفي بلد جيفارا - الارجنتين، شهد عقد 1945 - 1955 نهوضاً اقتصاديا وإرتفاعاً في مستوى المعيشة حيث ارتفعت الاجور بنسبة 50%. وقد رافقت هذا النهوض تحولات نوعية وكمية في البنى الاقتصادية وتفوق القطاع الصناعي على الزراعي مما أدى الى تغيرات في سياسات الحكومة الارجنتينية.

أما على المستوى الدولي، فقد اتسمت تلك المرحلة بعدة ملامح أهمها:

- إستقطاب الاوضاع السياسية في العالم بين المعسكرين، الاشتراكي والراسمالي.

- توحش الامبريالية الاميركية وصعود اليمين في الولايات المتحدة وإشتداد هستيريا الماكارثية والعداء للشيوعية.

- انتصار الاتحاد السوفييتي ودول اوروبا الشرقية على النازية والفاشية وصعود بلدان المنظومة الاشتراكية.

- انتصار الفيتناميين في معركة دين بين فو (عام 1954 حيث هزم الثوار الشيوعيون الفيتناميون المحتل الفرنسي) واندلاع الحرب الكورية.

- نهوض حركات التحرر الوطنية في العالم الثالث وظهور انظمة وطنية وشعوبية سعت الى تلبية المطالب الشعبية، وتحدي بنية الهيمنة الامبريالية



والاجنبيـــة القائمـــة في تلـك البلدان (على سـبيل المثال الحركـة الثورية في غواتيمالا (1951 - 1954)، حكومة مصدق في ايران (1953)، ثورة يوليو في مصر (1952)، الثورة الجزائرية (1954 - 1962) وغيرها).

أسفار جيفارا: دلالات ومعاني

تكتسـب الرحلات التي قام بها تشي في بلده الارجنتين وعبر القارة اللاتينية أهميتهـا من حيث أنها تعيننا على فهم تطـوره الفكري والثوري، من ناحية، ومن الناحية الثانية فانها تشـير بوضوح الى عزمه المبكر للتعرف على تلك القارة واوضـاع شـعوبها، هذا العزم الـذي كان بمثابة إمتداد طبيعي وعملي لرغبته في إكتساب المعرفة النظرية في الفلسفة والاجتماع والسياسة. ويمكننا القـول بانه منذ تلك اللحظة اصبحت النظرية والممارسـة توأمين في مسـار جيفارا ونضاله.

تدلل رحلات تشى، في هذا السياق على أمرين أساسيين:

1) العودة الى الطبيعة والتلامس معها ومقاومة مرض الربو الذي كانت تشتد وطأته وتزداد نوباته سـوءً ووتيرةً بتغير الاحوال الجوية. وهكذا عمقت هذه الرحـلات تجربة جيفارا مع الطبيعة وحبه لهـا وولعه بالحياة خارج جدران البيوت.

2) يسـرت هذه الاسـفار لتشي التعرف على أوضاع الشـعوب والفقراء في القارة اللاتينية وهو ما ترك أثراً دائماً على تكوينه وتطوره الفكري والسياسي والنضالي وشكل لاحقاً مؤشراً واضحاً لمسيرته ونضاله.

صعق تشـى لما شـاهده في رحلاته من تناقض صارخ بين فقر الانسان، من جهـة، وغناء الطبيعة ووفرة المـوارد الطبيعية في بلاده وفي القارة اللاتينية مـن جهة اخرى. وقد ترك هذا التناقض في نفسـه أثراً عميقاً لم يبرحه طيلة حياته. التقط تشى تلك التناقضات بحس مرهف فأضحت القوة الدافعة لأفعاله وساهمت في صياغة شخصيته المرهفة الحس وتعزيز التزامه الطبقي بالفقراء



وقضاياهم فنذر ذاته للنضال في سبيلها. وربما نستطيع أن نعقد المماثلة، من حيث السياق على الاقل، بين التأثيرات التي تركتها رحلات تشى على فكره السياسي ومسيرته الثورية، وتلك التي تأثر بها فريدرك إنجلز قبل ذلك بقرن من الزمن حينما شاهد الفقر المدقع الذي فتك بعموم الطبقة العاملة الانكليزية نتيجة الاستغلال الرأسمالي ودونها في كتابه "أوضاع الطبقة العاملة في إنجلترا" (1845).

أحب جيفارا السفر الذي أصبح حياته ومصيره، إلا أن أهم ما في أسفاره انها كانت وسيلته في تلمس درب الثورة وجغرافيتها وبهذا المعنى كانت رحلات جيفارا بحثاً في المعنى والجوهر وسعياً وراء مشروع الانسان الجديد، مشروع تشى في الثورة.

أما على المستوى الشخصي، فقد وضعت رحلاته وخاصة الاخيرة منها، حداً "للأحلام" والمشاريع الشخصية في النجاح المهني والشخصي ، ليستبدلها بالالتحام بقضايا الفقراء والمعدمين. وهكذا، انتقل تشى من الطبيب الذي يكتفي بمعالجة المرض، الى الثوري الذي يناضل من أجل اجتثاث جذوره بما فيها من استغلال وظلم وفقر وأمية. وهنا يسهل ان نلحظ انه بقدر ما انصرف تشى بعيداً عن "المشروع الشخصي" بقدر ما أخذ يقترب من مشروع الثورة وأخذ يصيغ رؤية ونهجاً ثوريين مختلفين: فلا خلاص من الآفات الاجتماعية بحلول وسطية وتوفيقية، بل ان محوها لا يتأتى إلا بثورة شاملة تدمر النظام القائم وتجتثه من جذوره لتقيم مكانه نظاماً جديداً.

يمكننا ان نوجز اهمية أسفار جيفارا ودلالاتها في النقاط التالية:

1) كانت هذه الاسفار إمتداداً طبيعيا وتلقائيا لرغبة جيفارا في المزيد من المعرفة النظرية التي كان يطلبها بلا كلل وبشكل مبرمج.

2) كما كانت إمتداداً عملياً لممارسة وتطبيق هذه المعرفة.

3) ساهمت هذه الرحلات في صياغة الفكر السياسي والثوري لجيفارا وفي بحثه عن الحلول السياسية والاخلاقية لمشاكل المجتمع حيث يتجلى تأثيرها



في المواقف والعناوين الرئيسـية لنضال جيفارا وإرثه. وفي هذا الارث وما تضمنه من شـعارات وأهداف يتسـنى لنا ان نفهم وأن نفسـر ديمومة تشـي فينا (معاداة الامبريالية دون مهادنة، العنف الثوري والكفاح المسـلح كوسيلة رئيسية للنضال، الاشتراكية، الاخلاقية الشيوعية، الانسان الجديد والمجتمع الجديـد، أممية النضال، ماركسـية العالم الثالث، سـمات النضـال في العالم الثالث وأميركا اللاتينية ووحدة شعوبها).

3) غواتيمالا: التجربة ... والمنعطف

وصـل تشـي الى غواتيمـالا بين الثالث والعشـرين والرابع والعشـرين من ديسـمبر عـام 1953 وعايش التجربة الديمقراطيـة وإنجازاتها في ذلك البلد والتي شـملت الاصـلاح الزراعي وتأميم الشـركات الاجنبيـة الكبرى مثل United Fruit Company . وكان جيفـارا آنـذاك متواجـداً مع مجموعة كبيرة من المغتربين من شتى دول اميركا اللاتينية.

إنضم جيفارا الى منظمة الشـبيبة الشـيوعية في غواتيمالا وإنخرط تشي في حركـة المقاومة التي سـاندت آنذاك الحركـة الديمقراطية (1951 - 1954) التـي تزعمهـا يعقوب اربينـز Jacobo Arbenz والتي أطـاح بها انقلاب سبتمبر 1954 بدعم وكالة الاسـتخبارات المركزية الاميركية. وبحكم كونه مواطناً أجنبياً، أضطر تشـي، في خضم الاحداث العارمة وحملة الاعتقالات التـي تلت الاطاحة بتلـك الحكومة، الى اللجوء الى السـفارة الارجنتينية في غواتيمـالا حيث مكـث الى ان تمكن من مغـادرة البلاد متابعاً مسـيرته الى المكسيك (سبتمبر 1954).

شـكل عـام 1954 منعطفاً كبيراً فـي تاريخ غواتيمالا وفـي حياة جيفارا. فقد كتب في إحدى رسـائله الى أسـرته واصفاً الاوضـاع التي عاينها في غواتيمـالا انه "لا يوجد بلد ديمقراطي مثل هـذا البلد". وقد مثلت تجربته هـذه (ما بين 1953 و1954) نقلة نوعية من البحث عن قضية نضاله الى اكتشـافه مشروع حياته. فبعد ان تقارب تشي مع واقع الجماهير في القارة



اللاتينية، جاءت التجربة الغواتيمالية لتكون الحالة الثورية الاصيلة الاولى التي شكلت صعوداً ثقافياً وسياسياً وأيديولوجياً في حياته، كما شكلت إمتداداً واستمرارية لدراسته للفلسفة، ولكن هذه المرة بإنحياز واضح نحو الماركسية. إضافة الى أنها منحته فرصة التعرف على العديد من سياسيي ومثقفي تلك الحقبة.

فما هي تأثيرات التجربة الغواتيمالية على جيفارا وما هي العبر التي إستخلصها منها؟

1) الاكتمال الثوري: يذهب العديد من المحللين الى أن المرحلة الغواتيمالية في حياة جيفارا دشنت الفصل الاخير في تكوينه الماركسي، كما يرون ان السخط الذي أثارته في نفسه معاملة ''اليانكي'' في الولايات المتحدة (الاميركي الشمالي) لشعوب أميركا الوسطى والجنوبية قد دفع جيفارا الى التعمق أكثر في دراسة الامبريالية والرأسمالية والاقتصاد السياسي لكارل ماركس.

كان تشي، قبل تجربته في غواتيمالا، ثوريا في طور التكوين، أما في غواتيمالا، فقد اكتمل نموه كثوري أميركي لاتيني، حسب ما ورد في رسالة كتبها من كوستاريكا (10 ديسمبر 1953). فهي تجربة امتزجت فيها خبرات تشي الشاب التي جناها من رحلاته وإيمانه بضرورة تعميق تثقيفه الذاتي (وهو المشروع الذي صقل نزعة جيفارا نحو القومية الاميركية اللاتينية ووحدة شعوب تلك القارة) من جهة، وتأصيل عدائه للإمبريالية من جهة اخرى. يقول جيفارا في هذه التجربة أنها صقلت شخصيته كثائر أميركي لاتيني وعالم ثالثي وان هناك امراً واحداً لا يرقى اليه الشك، وهو ان اميركا [اللاتينية] ستكون مسرح نشاطه ''... وفي الحقيقة أعتقد أنني توصلت الى فهم والى الشعور بانني أميركي [يقصد اميركي لاتيني] ذو طبيعة متمزة ...''.

وفي فضائها الأرحب ، تتجلى مؤثرات التجربة الغواتيمالية على تشي في البعد الاكثر أهمية وحسماً في مساره الثوري، وهو العثور على ضالته



والمبادرة بمشروع الثورة، إذ كان قد أكمل حينئذٍ نضوجه كثائر ووصل الى محطة في تطوره ونموه اتسمت:

- بإنسانية ثورية مرهفة وعميقة.

- بالالتزام بالفكر الثوري والسياسي الذي جاء حصيلة التثقيف الذاتي الدؤوب والذي أضحى جزءً لا يتجزأ من نشأته وتطوره.

- باعتناقه الفكر الماركسي، كما شهد على ذلك كاسترو لحظة لقائهما في المكسيك صيف 1955.

- بالخبرات والتجارب التي حصدها من رحلاته ومعاينته لاوضاع شعوب أميركا اللاتينية.

- وأخيراً بالالتزام بالنضال من أجل تحرير شعوب هذه القارة وتحقيق وحدتها.

2) العدو الامبريالي: دور الولايات المتحدة كقوة امبريالية داعمة للانظمة الرجعية والديكتاتورية في أميركا اللاتينية؛ وحتمية الصدام بين محاولات التغيير في تلك القارة مع هذا العدو. وقد زرعت التجربة الغواتيمالية في تشي جيفارا عداءً للإمبريالية والرأسمالية وإلتزاماً بالشيوعية لازماه طيلة حياته حيث كتب تشي الى والدته، في تقييمه للأحداث التي ألمت بذلك البلد والضربة العسكرية التي أطاحت بالحكومة الثورية، عن دور الشيوعيين الغواتيماليين الذين "صانوا العقيدة" حسب وصفه وانهم الوحيدون الذين واصلوا النضال، وتابع قائلاً في رسالته "...أعتقد انهم جديرون بالاحترام وانني، عاجلاً أم آجلاً، سألتحق بالحزب".

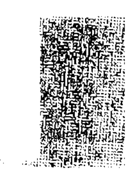
3) هزيمة وفشل الاوليغاركية العميلة: عاين تشي بوضوح، من خلال التجربة الغواتيمالية، الحصار الدائم والفشل المتكرر للاوليغاركية المحلية الرجعية وردة الفعل الامبريالية حيال برنامج حكومة الرئيس يعقوب اربنز الذي كان يهدف الى النهوض ببلد واقتصاد تابع وشبه كولونيالي الى بلد ذي سيادة وطنية واستقلال اقتصادي يوفر لشعبه حياة أفضل.



4) الكفاح المسـلح: كانت غواتيمالا بالنسبة لتشى "مدرسة ثورية". وبالرغم مـن أن هزيمة تلك المحاولة على أيدي وكالـة المخابرات الاميركية قد أدت به الى الاحباط، إلاّ أنـها علمته دروسـاً بالغة في السياسـة والتاريخ إذ أكدت لـه بالدليل الملموس إن الاصلاح السياسـي والبرلمانـي غير مجدٍ في إنجاز التغييـر وعمقت لديه وعياً ثورياً بضرورة الكفاح المسـلح المنظم كوسـيلة للنضـال وبان العنف الثوري هو السـبيل الوحيد لاحداث التغيير الاجتماعي والسياسـي وتحقيق الاشتراكية. وبهذا المعنى، كانت تجربة غواتيمالا لحظة تبلور الفكر الثوري عند تشى جيفارا. فقد طرح الكفاح المسلح بوضوح بلوري وآمن به بدون مسـاحيق ودون اللجوء الى معجم من التبريرات والتنظيرات الملتويـة والمغرضة ودون خلط مفاهيم العنف الثـوري ب"الإرهاب" التي تغزو خطابنا وثقافتنا في هذه الايام.







(6)
الموضوعي في تكوين تشى جيفارا

العالم الذي عاش فيه تشى جيفارا

غادر جيفارا سنوات المراهقة والدراسة الثانوية (1947) مع ولوج القرن العشرين الى نصفه الثاني. وكانت حربان عالميتان إمبرياليتان قد حصدتا ارواح الملايين من البشر، ودمرت عالماً ليقوم مكانه عالم آخر تجلت معالمه في:

- إنتصار الثورة الاشتراكية الاولى في التاريخ البشري في الاتحاد السوفيتي (1917) قبل أن تضع الحرب الاولى أوزارها والانتصار السوفييتي على النازية خلال الحرب الثانية.

- قيام ثورات اوروبا الشرقية التي هزمت النازية والفاشية وأقامت المنظومة الاشتراكية.

- إنتصار الثورة الاشتراكية في الصين (1949).

- صعود الولايات المتحدة الى زعامة العالم الرأسمالي، الذي يحلو للغرب أن يسميه "العالم الحر"، بعد احتضار القوى الكولونيالية الهرمة.

- وقوع العالم في استقطاب حاد بين فكي "حرب باردة" بين معسكري الرأسمالية والاشتراكية واحتدام الصراع بينهما والذي وجد تجسيده العسكري، إضافة الى تجلياته العقائدية والسياسية، في نشوء حلفين عسكريين: الاطلسي (1949) ووارسو (1955).

كما شهد العالم، مع بزوغ النصف الثاني من القرن العشرين، العديد من المحطات الساخنة التي مثلت تصادم هذين المعسكرين وجسدت المواجهة بين مشروع الانسانية في الحرية والتنمية والاشتراكية مع مشروع الرأسمالية



في نهب الشعوب وباستغلالها. وفي عرض سريع لهذه المحطات، نكتفي بذكر بعضها:

- قيام الكيان الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين عام 1948 كتجسيد مادي للمشروع الامبريالي - الصهيوني في الوطن العربي وكقاعدة متقدمة للإمبريالية الاميركية في تلك المنطقة.

- اندلاع الحرب الكورية (1950 - 1953) وتقسيم ذلك البلد الى جزئيه الشمالي والجنوبي.

- إطاحة وكالة المخابرات الاميركية بالحكومة والحركة الديمقراطية في غواتيمالا (1954).

- تصاعد المارسكية في الولايات المتحدة واشتداد حملة محاربة الشيوعية.

- انطلاقة العالم الثالث في ثورات شعبية ونهوض حركات التحرر في العديد من بلدانه (ثورة يوليو في مصر وثورة الجزائر والثورة الكوبية وغيرها في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية).

- انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (فبراير 1956) حيث أعلن خروتشيف إدانة جرائم ستالين و"محو الستالينية" وانتهاج سياسة التعايش السلمي مع الرأسمالية.

- التدخل العسكري السوفييتي في هنجاريا عام 1956.

الاوضاع في مسقط الرأس - الارجنتين

اتسمت الاوضاع في الارجنتين عام ولادة تشي (1928) بازمة إقتصادية حادة ازدادت سوءً عام 1929 وصاحبها إنهيار إقتصادات العديد من البلدان الرأسمالية. وبالنسبة لبلدان أميركا اللاتينية، فقد تميزت هذه المرحلة:

1) من منظور التدخلات الخارجية، بالتوسع الامبريالي للولايات المتحدة داخل تلك القارة ووقوع بلدانها تحت نير الهيمنة الامبريالية الاميركية، ولم





تكن الارجنتين إستثناءً.

2) أما على المستوى الداخلي، فقد أمسكت قلة برجوازية عميلة ومستبدة بمقادير الحكم ومقدرات شعوبها.

3) في مقابل هذه الهجمة، أخذت الاحزاب الشيوعية بالظهور في تلك البلدان عقب الثورة البولشيفية (1917) وخلال مرحلة الكفاح ضد الفاشية والنازية في ثلاثينات القرن الماضي والحرب الامبريالية الثانية التي انتهت بدحر الاحتلال النازي ووصول الاحزاب الشيوعية، التي قادت ذلك الكفاح التحريري ،الى السلطة في اوروبا الشرقية وإقامة المنظومة الاشتراكية.

وصل خوان بيرون Juan Peron الى الحكم (1946) بعد أن عاشت الارجنتين عقداً طويلاً من الفساد والتدهور في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية. وقد جاءت حقبة حكمه واعدة باستنهاض الطبقة العاملة الارجنتينية وتنظيم الحركة العمالية وتصاعد النضال الشعبي من أجل الحرية والديمقراطية.

شارك بيرون في الحكومة الارجنتينية بمنصب وزير للدفاع عام 1943، إلاّ أن دوره تعاظم مع وصوله الى مواقع النفوذ في الحكومة وإنتخابه رئيساً في فبراير 1946. وقد استمر في الحكم الى عام 1955 حيث شاركته النضال زوجته المعروفة ب "إفيتا" Evita (والتي إلتصق أسمها بالنضال الجماهيري في الارجنتين الى أن وافتها المنية من داء السرطان عام 1952). فاز بيرون ثانية بالانتخابات عام 1952 وبقي في الحكم الى أن أطاح به إنقلاب عسكري عام 1955 فقضى ما تبقى من عمره منفياً في إسبانيا.

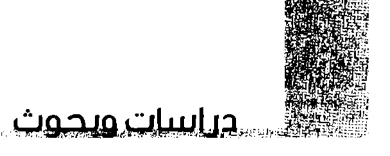
في ظل هذه الظروف، قضى تشي سنوات شبابه في الارجنتين البيرونية وفي سياق سياساتها. إلاّ أنه يبدو ان هذا الامر لم يترك أثراً كبيراً على جيفارا مع ان وصول الحركة البيرونية الى السلطة أحدث غلياناً اجتماعيا في ذلك البلد وأنذر بدخول الحركة العمالية والجماهيرية مسرح العملية السياسية. فقد شكّلت سياسة بيرون تهديداً لمصالح الطبقة التي كانت تنتمي اليها اسرة تشي، ولعل هذا ما يفسر عدم انخراط اسرته في عملية التغيير



الاجتماعي التي ســادت المجتمع الارجنتيني آنــذاك رغم تعاطف والديه مع الافكار التقدمية واليسارية. وليس هناك ما يشير الى أن تشي الشاب قد إنجاز لأي مــن هذه التيارات أو إنتمى الى إطار حزبــي معين. إلاّ أن هذه العوامل شــكلت جزءً من حياة اسرة جيفارا والظروف التي عاشت في ظلها وتركت بصماتها على حياته.







جيل جيفارا

تميـز العالم الجديد الذي قام على إنقاض الحـرب الامبريالية الثانية (1939 - 1945) بفضـل نضـال الجماهيـر وقيـادة الاحـزاب الشـيوعية لحروب التحرير الشـعبية ضد الاحتلال النازي وتحقيق التجربة الاشـتراكية في تلك المجتمعـات، تميز بتألـق الفكر الاشـتراكي وإزدهار ثقافـة جديدة وظهور أنمـاط متميـزة وملتزمة من الفن والادب والمسـرح وغيرها من الانشـطة الثقافيـة والفكرية والعلميـة وبزوغ فهم جديد للدور السياسـي والاجتماعي للثقافة والمثقف: دور ملتزم بأهداف التغيير الاجتماعي وتحرير الانسان من أغلال الاسـتغلال الرأسمالي وإنعتاقه نحو الحرية والتحرر والتقدم. وهو ما عمد الاعلام الرأسـمالي دوماً، في خضم حربه مع الاشـتراكية، الى طمسه وتشويهه وخاصة في العقدين الاخيرين.

أمـا على مسـتوى أميركا اللاتينية، فقد شـهد هـذا الجيل هزائـم وإخفاقات الحكومـات الاصلاحية المتتالية في تلك البلدان. وعليه، جاء هذا الجيل نتاجاً لهـذه التوتـرات والارهاصات السياسـية والاجتماعية حيث سـاهم عاملان أساسيان في صياغة وعيه ودوره:

1) الهيمنـة الرأسـمالية الاميركية علـى جوانب الحياة في اميـركا اللاتينية (السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية).

2) الهزائـم التاريخيـة للمحـاولات والحكومـات الاصلاحيـة وسياسـاتها واستراتيجيتها في التصدي للسياسات الامبريالية الاميركية. وكان من نتيجة هذا الفشـل ان أخذ الكثير من أحزاب "اليسـار الديمقراطـي" في التأقلم مع الاوضـاع الجديدة و"تقبل" الهيمنة الاميركية كأمر واقع ومقبول على غرار ما حدث في بلادنا بعد الانـهيار السـوفيتي وإنفـراد الولايات المتحدة بقطبية العالـم حين أخذ اليسـار الفلسـطيني والعربي في أعقاب ذلـك الانهيار يتجه نحـو "الديمقراطية" وخطاب العولمة الرأسـمالية وسياسـاتها النيوليبرالية وإستدخال نـهج التسوية مع المحتل الصهيوني.

هذا هو الجيل الذي إنتمى اليه تشـي جيفارا، جيل خمسـينات القرن العشرين



فــي بلدان العالم الثالث وأميركا اللاتينية بشــكل خــاص، وهو جيل أخذ على عاتقه إعادة تقييم الاوضاع وتحديد مهام المرحلة ووســائل النضال وتشــكيل الاطــر التنظيميــة القادرة على الاضطــلاع بهذه المهام. ولعــل في تصنيف جميــس بتــراس، المفكــر الاميركي اليســاري، لهذه الحــركات والتحولات الثوريــة ما يوضح الســياق والــدور الذي اضطلع به جيل تشــى جيفارا وما تمخــض عن نضاله في العقود اللاحقة. فقد قسّــم بتراس النضال الثوري في التاريخ المعاصر لاميركا اللاتينية الى موجات أربع :

1) الموجــة الاولــي (1959 - 1967): مــن إنتصــار الثــورة الكوبية حتى إستشهاد تشى جيفارا.

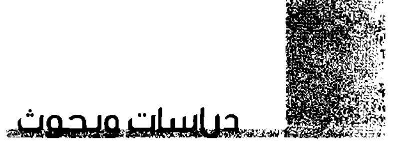
2) الموجــة الثانية (1968 - 1976): الانتفاضــات الجماهيرية في الجنوب والانقلابات العسكرية.

3) الموجة الثالثة (1977-1990): صعود الحركات الثورية في أميركا الوسطى (السلفادور والثورة السندناستية في نيكارغوا وصولاً الى "إتفاقية السلام").

4) الموجــة الرابعــة: الحركات الثورية الاجتماعية والسياســية الجديدة التي تمثل بنضال الهنــود الاصلانيين والفلاحين في أرياف اميركا اللاتينية (مثل الانتفاضة الساباتية في مطلع عام 1994) والتي تمتد حتي يومنا هذا.







خاتمة

ألقيت في هذه الدراسة بعض الضوء على العوامل الذاتية والموضوعية التي أثرت في تكوين تشى جيفارا الثائر ولعبت دوراً هاماً في تحديد الهموم النظرية والمهام السياسية التي اضطلع بها. كما شكلت هذه العوامل جزءً من شخصيته التي تشابك فيها النهج والفكّر مع الواقع الاجتماعي. وقد حرصت على الاشارة الى التراكم النظري ـ العملي لدى جيفارا والذي يستند الى تجارب وممارسة عملية نهلت من كمٍ معرفي وتثقيف ذاتي ثريين. وكان يهمني أن أستشرف من خلال هذه الجّدلية العوامل التي تكافلت في صقل رؤية تشى للواقع ومعضلاته وتقديمه للحلول بنهج علمي يجمع بين تصورات أمينة ومقترحات محددة تستدعي بالضرورة إحداث تغييرات جذرية في المجتمع. وسوف نلمح هذا التزاوج والتناغم بين الفكر والممارسة طيلة المستقبل الثوري لتشي جيفارا.





يكمن الدور الحاسم للثائر أو القائد في التقاط السمة الرئيسية للعصر، وهو ما تميز به جيفارا. وما زالت هذه السمة قائمة لم تتغير منذ إستشهاده، وإن تبدل بعض ملامحها، وتتلخص في أن الظروف الموضوعية لمناهضة الراسمالية والنضال من أجل دحرها ما فتأت تنضج وتكتمل منذ سنوات طويلة. فقد كان تشى بحق نتاج عصره وتناقضاته الاجتماعية والطبقية (والتي ما زالت مستعرة) التي كانت تتطلب مشروعاً مناهضاً: مشروعاً في المقاومة والثورة، يعادي الراسمالية والامبريالية ويصطف مع الانسان وخيارة الاشتراكي. وإذا كانت عظمة الرجال تقاس بالقضية (أو القضايا) التي يهبونها حياتهم ونضالاتهم، فان القضية التي كرس تشى حياته ونضاله من أجلها ما زالت حية نابضة في عروق الملايين من شعوب الارض وفي أزقة الفقراء والمعدمين، وما فتأت أزماتها متمثلة بكافة أشكال الاستغلال والفقر والظلم. فطالما ظلت الشعوب مظلومة، فسيظل جيفارا حاضراً في ديمومة ثورتها ومقاومتها، وطالما بقي هناك "معذبون في الارض" فستظل قدوة تشى جذوة تشحذ همة الجماهير وكفاحها، وكلما أمعن راس المال في جشعه وحروبه (بشتى انواعها العسكرية والاقتصادية والثقافية) على الفقراء والشعوب، كلما علت صرخة جيفارا في إشعال الثورة والمقاومة في "فيتنام واحدة وثانية وثالثة."

لقد كان جيفارا مناضلاً غير إعتيادي جمع صفات نادرة ومعقدة، إلاّ أنه أيضاً مثّل حقبة معقدة فجاء فكره ونضاله وممارساته غير إعتيادية توحد فيها الخاص والعام، وامتزج فيها الوطني بالقومي والطبقي بالأممي. إلاّ أن جيفارا لم يصبح ثائراً عظيماً لان صفاته الشخصية كانت غير إعتيادية أو لانه أضفى ملامحه الشخصية على الاحداث التاريخية الكبيرة فحسب، بل لانه كان، وبصفاته تلك، المناضل الملتزم بمصالح الجماهير والطبقات الشعبية التي تمثل أغلبية المجتمع، ولانه إتسم بالقدرة على تلمس وإنجاز إحتياجات الجماهير والمجتمع في زمنه، تلك الاحتياجات التي يفرزها تطور العلاقات الاجتماعية والانتاجية وتحددها الاسباب العامة والخاصة في المجتمع. أي أن جيفارا "رأى" أبعد مما رأى الآخرون، وناضل من أجل





التغييــر وصمم على إحرازه، كما انه، وربما هـذا هو الاهم، إلتزم بمصالح الجماهير والايفاء باحتياجاتها . هكذا يصبح الافراد أبطالاً، وهنا تكمن أهمية العظماء ومصدر قوتهم: فهم قادرون على تغيير المســار "الطبيعي" للامور ولان أفعالهم وأنشطتهم هي التعبير الواعي والحر عن المسار المحتوم.

نخلص، في الختام، الى أن المهمة في دراسة جيفارا تكمن في قراءة متجددة لفكره ونضاله ضمن سياقه التاريخي حيث تتفاعل جدلية الذاتي والموضوعي، قراءة تسترشــد الواقع المستجد للشــعوب وواقع طبقاتها الشعبية ومصالحها ونضالاتهــا، وهي قراءة كفيلة بان تُخــرج جيفارا، وتُخرج فكره وإرثه، من فــخ "الموضا" والايقونية. وهي أيضاً، القراءة القادرة على التأســيس لوعي نقدي يقوم على ضرورة التغيير وحتميته وينتقل بإنسجام الى الافعال المفعمة بالحيوية والممارســة العملية المتدفقــة بالطاقة والزخم. هذا الوعي بضرورة التغيير، أي بعدم القدرة على تجنب حدثٍ ما أو ظاهرة معينة، هو الذي يزيد من قدرة الانسان وطاقته ويحثه على مضاعفة جهوده بما لا يقاس. وفي هذا كله كان تشي جيفارا أنصع نموذج وخير مثال.





(الجزء الثاني)

مسعد عربيد

السمات العامة لفكر وإرث تشي جيفارا

الركائز الفكرية لجيفارا

لـم يملك جيفـارا الإجابة على العديد من الأسـئلة. وليس لنـا أن نتوقع ذلك. والحقيقـة أننا ما زلنا حتـى اللحظة نبحث عن بعضها ولن نصل إليها إلا من خلال التجربة والممارسة والإفادة من أخطائها وعبرها. إلاّ أن جيفارا ساهم فـي إنارة الكثير منها وفي رسـم الأطـر التي يتم البحث عـن الإجابات من خلالها.



ويجدر بنا هنا أن نتوقف، ولو استطرادًا، لعرض سريع لأهم محطات المسيرة النضالية لتشى جيفارا، كي يتلمس القارئ الكم الثقيل من المهام والمسؤوليات التي أخذها جيفارا على عاتقه والدور الذي لعبه في غضون السنوات القليلة قبل استشهاده. فبعد انخراطه في الثورة الكوبية عام 1956 تحت قيادة فيدل كاسترو وانتصار هذه الثورة عام 1959، ساهم جيفارا بكل ما أوتي من طاقة في تكوين المجتمع الجديد ومرحلة بناء الاشتراكية وإشكاليات التحول الاشتراكي في كوبا، وتوفير الاحتياجات الأساسية والإنسانية ومهام التنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعب الكوبي.

وقد تولى في هذه الأثناء العديد من المناصب الحزبية والحكومية ومثّل كوبا في المحافل الدولية، وله يعود الفضل الكبير في نسج علاقات التعاون والصداقة مع البلدان الاشتراكية ودول العالم الثالث. وبعد أن غادر كوبا عام 1965، خاض حرب العصابات في حملتي الكونغو (1965) وبوليفيا (1966 – 1967). غير أن هذه المسؤوليات لم تُقعده عن خوض العديد من المعارك السياسية والفكرية، نذكر منها صدامه مع النمط الاقتصادي والإنتاجي السوفييتي، ومساهماته الاقتصادية في مجال التنمية والبناء الاشتراكي، وأطروحاته في حرب الغوّار ونظرية البؤرة، وخلق الإنسان الجديد، العمل الطوعي، الثقافة والتثقيف الذاتي، والأخلاقية الشيوعية وغيرها.

على الرغم من تعدد ساحات النضال والأبعاد النظرية والعملية لفكر جيفارا، فإن المسؤولية تملي ضرورة العودة إلى الركائز الأساسية لهذا الفكر قبل الولوج في التعريف بسماته. ويمكننا القول بأن فكره ومسيرته النضالية يتمحوران حول الركائز التالية:

1) رفض واقع الشعوب الفقيرة والمضطَهَدة في أميركا اللاتينية والعالم الثالث والعالم بأسره، واقع التخلف والظلم والفقر والجوع والمرض، وضرورة الثورة من أجل تغيير هذا الواقع لتحقيق مصالح هذه الشعوب وتنميتها والإيفاء بحاجاتها المادية والروحية.



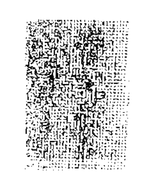
2) يتطلب تشخيص هذا الواقع تحديد القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المسؤولة عنه. وقد حددها جيفارا بوضوح في الرأسمالية والإمبريالية، بزعامة الولايات المتحدة كعدو الإنسانية الرئيسي، مما يعني أن تغيير هذا الواقع يستلزم محاربة هذا العدو كونه السبب الجذري في مشاكل الشعوب. ولكن جيفارا لم يتجاهل العملاء المحليين والمرتبطين طبقيًا ومصلحيًا بالإمبريالية الأميركية بل خاض ضدهم ومن أجل إسقاطهم نضالاً دؤوبا دون هوادة.

3) اعتنق جيفارا أسلوب الكفاح المسلح وحرب الغوار (حرب العصابات) في مقارعة الإمبريالية اليانكية، كما كان يسميها، وعملائها المحليين، ولكنه وبالقدر ذاته أكد على حق الشعوب بالكفاح بكافة الوسائل المتاحة للمقاومة الشعبية وأشكالها المتعددة.

4) أفضت هذه الرؤية بجيفارا إلى البحث عن الحلول والبدائل والتي تمثلت في بناء الاشتراكية، كسبيل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، ما أملى عليه التصدي لإشكاليات التحول الاشتراكي، وقدّم في هذا المضمار مساهمات كبيرة منها خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتكوين الوعي النقدّي والثوري والأخلاقية الثورية والشيوعية وخلق الإنسان والمجتمع الجديدين وغيرها.

أما فكر جيفارا وإرثه ومجمل تجربته، فقد تميّز بسمات عديدة، انتقينا أهمها في الفقرات التالية. والحقيقة أن كلًا من هذه السمات جديرة بدراسة مستفيضة، إلا أننا سنكتفي بهذا العرض الموجز:

1) **كان جيفارا رجل عصره بامتياز**، وبهذا نعني أنه كان نتاجًا للظروف الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية لتلك المرحلة الفريدة: مرحلة ما بعد الحرب الإمبريالية الثانية (1939 – 1945) والنصف الثاني من القرن العشرين. وقد اعتبر جيفارا من خلال قراءته للواقع أن المهمة الملحة والمركزية هي الإيفاء بالاحتياجات الاجتماعية والإنسانية، المادية والروحية، لشعوب أميركا اللاتينية والعالم الثالث، والتزم بفكره ونضاله بالفقراء والطبقات الشعبية في تلك المجتمعات.





2) الرؤية الشمولية المتكاملة: لا يتسنى فهم أفكار تشي جيفارا ورسالته من خلال عبارات أو أفعال معزولة ومنفصلة عن بعضها البعض، بل كجوانب متعددة لكائن عضوي واحد، تتعدد مفاهيمه وساحات نضالة ولكنها تظل متناغمة متراصة فيما بينها ومصوبة نحو تحقيق أهدافها.



3) التصاقة بقضايا الفقراء ورفض الظلم أينما كان: لعل من أهم مساهمات جيفارا في الفكر الثوري والتراث الإنساني هو انحيازه التام لقضايا الفقراء ودفاعه عن مصالحهم. وقد تميز موقفه هذا، قولًا وفعلًا، بإنسانية وأممية عميقة وبقناعة بأن معاناة الإنسان أينما كان هي قضية الإنسانية بأسرها. وتشكل هذه السمة النبيلة الركيزة الأساسية في الوعي والممارسة الثورية والاممية لأي مناضل.

التزم جيفارا، منذ بواكير وعيه، بالفقراء وحبه لهم وإيمانه بقضاياهم وضرورة الإيفاء باحتياجاتهم، فاحتلت هذه القضايا موقعًا مركزيًا في فكره السياسي والاجتماعي، وسبق التزامه بهذه القضايا أي نشاط سياسي له وشكّل لبنة أساسيةً في تكوينة السياسي والثوري.

لم يكن جيفارا فقيرًا ولا جائعًا، فقد توفرت له فرصة دراسة الطب وسبل العيش الكريم، إلاّ أنه فهم جيدًا، كما لم يفهم كثيرون، بؤس أولئك الذين لا يملكون شيئًا ولا حتى لقمة العيش. وقد



تكوّن هذا الوعي لدى جيفارا خلال رحلاته التي جال خلالها القارة الأميركية اللاتينية والتي عمّقت هذا الشعور من خلال مشاهدته لمآسي الجوع والفقر والمرض، فأضحت رسالته وغايته في الحياة منذ تلك اللحظة "مساعدة هؤلاء الفقراء والجياع". وقد لازمه هذا الشعور طيلة حياته وكان من أهم ما ميّزه كثائر. فلا عجب إذن أن نرى حتى يومنا هذا أن مثال جيفارا ونضاله حاضران دومًا في نضال الفقراء والعمّال والفلاحين رغم كل محاولات التخريب والتشويه.

4) الرؤية التأسيسية: لقد كتب تشي جيفارا للناس ومستقبلهم برؤية ثاقبة وكأنه يخط بقلم المستقبل لمرحلة قادمة، لأجيال جديدة وإنسان جديد. وبهذا المعنى، بوسعنا أن نصف الكثير من كتاباته بـ"التأسيسية" أي التأسيس لمرحلة قادمة.

وقد جاء التاريخ ليؤكد أن جيفارا كان مصيبًا وسبّاقًا ونافذًا في تحليله وقراءته للأوضاع في عصره واستشرافه للمستقبل على ضوء هذه القراءة. والأمثلة على هذا كثيرة، وحسبي هنا أن أذكر:

أ) أنه نبّه إلى نظام التمييز العنصري الأرباهايد في جنوب أفريقيا عام 1962، وبهذا يكون قد سبق "الغرب الديمقراطي" بثلاثة عقود.

ب) حذّر جيفارا من مغبة ومخاطر المؤسسات المالية العالمية (صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية) كأداوت للرأسمالية قرابة ثلاثين عامًا قبل أن تقوم هذه المؤسسات من خلال سياساتها المالية بتدمير اقتصادات العديد من البلدان وتوريطها بديون هائلة لا تقوى على تسديدها وستعاني من تبعاتها لسنوات طويلة.

ج) حذر من النمط الاقتصادي السوفييتي ومن استخدام السوفييت لفائض القيمة في التخطيط الاقتصادي وآثاره السلبية والمدمرة على المجتمع، وقد أصبحت هذه المسألة اليوم مألوفة وعلى لسان الكثير من المحللين الاقتصاديين. (انظر لاحقًا)

5) تحديـد العدو... الوضوح والدقة والجرأة: اتسـم جيفارا بدقته في تحديد العدو في سياق مرحلته وكفاح الشعوب المقهورة ضد الرأسمالية والإمبريالية الأميركية. وقد كان تحديده للعدو بمثل هذا الوضوح والدقة، سببًا في إدراجه مبكرًا على قائمة اغتيال أعداء الولايات المتحدة والمطلوبين لمخابراتها.

ولكن لماذا الرأسمالية والإمبريالية؟

لأن الرأسـمالية بمصـالحها وجشـعها وانفلاتها في تحقيق الأرباح القصوى، تتنافـى مـع مصالح الإنسـانية أينما كانت ولا توفر أي مشـترك يمكن له أن يجمع البشرية على أرضية واحدة ومشتركة.

□ هذا العداء للولايات المتحدة ليس أمرًا مسـتغربًا في سـياق المرحلة التي عاش فيها تشي جيفارا وخلال سنوات طفولته ومراهقته والتي شهدت هيمنة الشـركات الأميركية على اقتصادات بلدان أميركا اللاتينية واستغلال ثروات شـعوبها، ناهيك عن التدخل السـافر في سيادتها وشـؤونها السياسية. وحيث لامَ جيفارا الإمبريالية الأميركية والرأسـمالية وحمّلها مسـؤولية هذه الآفات الاجتماعية والاقتصادية، فقد تبنى العقيدة الشـيوعية والنضال من أجل محو الرأسمالية.

□ رفـض جيفارا المقولـة التي تدّعي أن التخلف في بلـدان العالم الثالث هو طبيعة المرحلة التي تمرّ بها هذه البلدان والادّعاء بأنه الطور الذي يسبق النمو الاقتصادي كما تروّج الرأسـمالية، بل اعتقد برؤية ثاقبة أن السـبب الجذري في تخلف هذه الدول هو النهب الإمبريالي لثرواتها المادية والبشـرية، وهو مـا أتاح للدول المتطورة أن تبني تقدمها ورفاها. بكلمات أخرى، كان جيفارا يرى أن رفاه شـعوب الدول الاسـتعمارية يقوم على حساب الشعوب الفقيرة ونهب مواردها.

□ يميـل كثيـر من المحللين إلى الاعتقاد بأن عداء جيفـارا للولايات المتحدة والإمبرياليـة الأميركيـة واعتبارها "العدو الرئيسـي للإنسـانية"، قاده إلى

معاداة كل ما تحبه أو تطالب به أميركا. إلاّ أن مثل هذا التحليل يظل تبسيطًا ساذجًا يغلّب العوامل الشخصية ويتنكر للركائز الفكرية والمفاهيمية لتشي جيفارا. فمعاداته للإمبريالية الأميركية كانت تقوم أولًا وأخيرًا على تناقض المصالح: مصالح الشعوب في الحرية والتنمية والعيش الكريم من جهة، وفي الجهة المناقضة مصالح الرأسمالية والإمبريالية القائمة على نهب ثروات هذه الشعوب.

□ يرى جيفارا أن اتخاذ موقف حاسم من الصراع يقوم على فهم حقيقته (الصراع) وبدون هذا الفهم لا يتسنى تحديد موقف واضح وجذري منه. وعليه، فإن مَنْ لا يفهم الصراع، أو مَن لا يريد أن يفهمه، فهو بالضرورة عاجز عن حسمه.

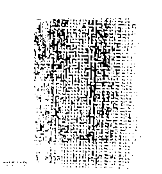
□ بناءً على هذا الفهم، أكد جيفارا في كل أطروحاته على عدم إمكانية التصالح أو المساومة مع الإمبريالية والرأسمالية بسبب طبيعة التناقض التناحري بينها وبين شعوب العالم الثالث. فالغرب الرأسمالي لا يفهم لغة الحوار، وإن حاور فهو يحاور عن خبث وتخطيط مسبق، كما أنه لا يتحاور إلا إذا وجد نفسه في حالة ضعف ووهن أو إذا واجه عدوًا قويًا أو كلاهما.

□ تحديد العدو بدقة كان يعني أيضًا أن المواجهة معه مستمرة حتى النهاية وحتى حسم الصراع ومن هنا جاءت مقولته "حتى النصر دائما"، وشعارات الثورة الكوبية التي أطلقها الزعيم الكوبي فيدل كاسترو: الوطن أو الموت، سننتصر! Patria o muerte.Vencerenos!

6) تحديد العدو والوعي الثوري: على ضوء التحديد والفهم الدقيقين لطبيعة الصراع وأطرافه ومكونات معسكر الأعداء، ركّز جيفارا على أهمية ودور الوعي النقدي والثوري. فالوعي الثوري يصبح البوصلة التي تحدد اتجاه النضال والحراك والمقاومة، وهو الذي يحمي الثورة من الردة والتراجع ومن الامتطاء الانتهازي والتلاعب والتسلق والغدر.

7) المقاومة هي ركيزة النضال الأساسية: لم يكتف جيفارا بتحديده الدقيق للعدو، بل دعى بدون كلل ومن كافة المنابر، إلى مقاومة هذا العدو في كل





مكان. من هنا، وفي هذا السياق، جاءت صرخته لمساندة شعب فيتنام في حربه ضد الإمبريالية الأميركية ولخلق العديد من ''الفيتنامات'' لمقارعتها.

8) إنسجام النظرية والممارسة: كثيرًا ما تبدو الكتابات الثورية والساعية إلى التغيير طوباوية أو أنها تفترق عن الواقع بمسافات، غير أن كتابات جيفارا تميزت بالالتصاق بالواقع والنضال من خلاله. ومن هنا نرى أن جيفارا توصل إلى نظريته وبنى مفاهيمه عبر تجربته وممارسته النضالية، واستمر في تطويرها بالقدر الممكن على ضوء حصيلة ودروس هذه التجربة. وقد جاءت أفكاره جامعة مترابطة مع ممارسته بروابط وثيقة تشكّل وحدة عضوية بين النظرية والممارسة: نظرية تشخص الواقع وتحلله، وانغماس عملي في النضال من أجل تكوين الواقع الجديد.

وقد عُرف عن جيفارا اهتمامه البالغ بتحليل الموقف النظري، ولكنه حرص دومًا على الجانب العملي والتطبيقي منه: أي تحديد الموقف النظري بدقة من أجل الاستفادة من ذلك في تحديد موقعه ودوره في العملية النضالية، وهو القائل ''نحن من أولئك الذين يضعون أرواحهم على راحات أيديهم، من أجل البرهنة على حقائقهم''. بهذا المعنى، فإن فكر جيفارا يشكّل تربة فكرية خصبة وموقعًا نضاليًا في آن واحد ليبني في المحصلة فكرًا نقديًا وثوريًا لتحرير الإنسان والمجتمع وخلق ثقافة جديدة و''إنسان جديد''.

وهذه سمة فريدة للمفكرين الثوريين تنطوي على عظمة وديمومة رسالتهم الثورية التي طالما قضّت مضاجع أصحاب السلطة والهيمنة. فالمفكرون الثوريون لا يسطرون روائع الثورة على الواقع القائم وبناء مستقبل أفضل، دون أن يشكلوا تهديدًا للقوى المهيمنة ومصالحها. لهذا السبب ذاته، وبسبب فكره الثوري، وقع جيفارا منذ مرحلة مبكرة ضمن دائرة اهتمام الاستخبارات الإمبريالية الأميركية منذ عام 1954 أثناء نشاطه في غواتيمالا وقبل انخراطه في الكفاح المسلح والثورة الكوبية، واستمرت ملاحقته حتى استشهاده.

9) تشي جيفارا... الثائر العملي: لو حكمنا على جيفارا وفق قول خوسيه مارتيب ''أن الرجل العملي هو الوحيد الذي يتحول حلمه اليوم إلى قانون



الغـد''، لأدركنـا كيف توجـب على جيفـارا أن يكون عمليًـا وأن يجمع بين النظرية والممارسة، بين الكلمة والبندقية، وهو ما حدا به إلى رسم استراتيجية ثورية تحدد المهام الملحة والآنية ولكنها تظل في رؤيتها بعيدة المدى تتجاوز الآني لترتبط مباشرة بالواقع القائم ولتبقى مصوبة دائماً نحو بوصلة الشعوب الفقيرة واحتياجاتها ومصالحها.

على ضوء ما تقدم، يمكننا القول بأن ''جيفارا العملي'' حقق الوحدة والإنسجام بين أفكاره وممارسـته الثورية، وجاء معبرًا عن، ومتناغمًا مع، الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية لشـعوب أميركا اللاتينية والعالم الثالث وكافة فقراء ومضطهدي العالم.

10) الوعي الثوري الجديد

أ) معاني الوعي الثوري: لم يؤمن تشي بأن هناك طبيعة بشرية محددة مسبقًا علينا أن نقبلها كما هي. على العكس من ذلك، كان يرى أن المهمة الأساسية تكمـن في تطوير العلاقات الإنسـانية وسـبل تحولها وتحسـينها وتطويرها من أجل خلق الوعي والإنسـان الجديد. كان يرى أن إنسـان ''القرن الحادي والعشـرين سوف يكون نحن أنفسـنا''. وتبدأ هذه العملية في بداية الكفاح، إذ أننـا ''في موقف مقاتلينـا نلمح رجل المسـتقبل (...) إن إيجاد صيغة للحياة اليومية لاسـتمرارية واسـتدامة هذا الموقف البطولي هـو واحدة من مهامنا الرئيسية من وجهة النظر الأيديولوجية''.

وبشـأن التحول الاشـتراكي يقول: ''من أجل بناء الشـيوعية، وبالتوازن مع توفير الأساس المادي، علينا أن نبني الإنسان الجديد (...) ويجب أن يتحول المجتمع كله إلى مدرسـة كبيرة عملاقة''. وفي سبيل المضي قدمًا في تحقيق هـذه الأهداف الطموحة، لا ينسـى جيفارا أوجه التقصيـر الهائلة والأخطاء والتشـوهات الناتجة عن العملية نفسـها ومن خلالها، والتي انتقدها بلا هوادة ودون كلل أو غموض. في هذا المجال، كما في غيره، نرى الكثير من العمق في معانيه وصياغة المفاهيم وتقديم التحليل في الوقت المناسب.



ب) جدليـة الوعي والممارسـة والعمل: ربط تشـى الوعي بالعمل البشـري (والعمل الطوعي أيضًا)، وبهذا منحه معانٍ جديدة أكثر عمقًا وشموليةً. وفي صيرورة العمل وجدليته مع الوعي واشـتباك كلاهما مع الواقع يولد الإنسان الجديد.

كان جيفـارا يـدرك أن المرحلـة الراهنـة المثقلـة بالكثير من المسـؤوليات والتحديات والتعقيدات، لن تسـتطيع تحقيق كافة المهام ولا أن تقلب المفاهيم السـائدة أو تخلق الإنسـان الجديد. بل ما كان يقصده هـو التمهيد لفكرة خلق الوعي الثوري كي تدخل مجال العمل ثم اتحادها معه واشـتباكها مع الإنتاج والممارسة والتجربة بغية تراكم التجارب وصولًا إلى الحالة الأرقى، الوعي الأرقـى. ويتضمـن هذا، في ما يتضمنه، مفهومًـا مركزيًا من مفاهيم جيفارا وهي أن الممارسة هي التي تخلق الوعي الجديد. فالواقع يستدعي الحاجة إلى خلق وعي جديد للنضال من أجل تجسـيد الأهداف وتحقيقها. بكلمات أخرى، آمن جيفارا بأن الممارسـة النضالية تخلق واقعًا ثوريًا وحالة نضالية تسـاهم في خلق الوعي وخلق الثقافة الجديدة.

ج) جدلية الوعي والإنتاج: رأى جيفارا أن خلق الوعي الثوري الجديد يرتبط جدليًا بعملية الإنتاج والعلاقات الإنتاجية (الطبقية)، ومن هنا نظر إلى العمل ك"واجب اجتماعي". لقد رفض جيفارا، المفاهيم التقليدية في العمل – معدل الأجـور، الحوافز المادية والمكافـأة المالية للعمال، تعويـض العاطلين عن العمـل وغيرها مـن الظواهر التي شـاهدها في زياراته للاتحاد السـوفييتي والدول الاشـتراكية في أوروبا الشرقية – وعمل على ترسيخ مفهوم "العمل كواجب اجتماعي" ومحاربة سـلعنة العمل. كل هذا اقتضى، حسـب جيفارا، تغييـر العلاقات الطبقية والاجتماعية مـن أجل خلق ثقافة جديدة حيال عملية الإنتاج قوامها وشرطها الأساسي أن يتوقف الإنسان عن كونه سلعة، وإقامة نظـام يوفر للإنسـان القدرة على تأدية عمله كإيفـاء لواجبه الاجتماعي. وقد حاجج بدأب مؤكدًا على أن التحرر الكامل للإنسان يتحقق عندما يصبح العمل واجبًـا اجتماعيًـا يقوم به الفرد برضى تام وحين يـدرك أن مهمته الأخلاقية تملـي عليه أن يتفانى في العمـل من أجل خير وتقدم المجتمع، وبأن المجتمع



بالمقابل، سوف يعتني بالعامل وأسرته واحتياجاتهم.وقد دعا تشي في مسعاه هذا إلى استخدام العديد من الآليات، إلا أنه رأى في"العمل الطوعي" الوسيلة الفضلى لتحقيق ذلك.



د) تكوين الوعي النقدي والثقافة الجديدة: رأى جيفارا أن الأفكار والمفاهيم السامية والجديدة هي حجر الأساس لأية ثقافة جديدة ووعي نقدي جديد. ولكن على هذه الأفكار والثقافة الجديدة أن تظل ملتصقة بواقع الإنسان وتعبر عنه وتعمل لخدمة مصالحة والإيفاء بحاجاته، وأن تبقى (الأفكار) في حركة مستمرة ومواكبة لحركة التاريخ والمجتمع ومتفاعلة معهما فاعلة فيهما في تواصل لا ينقطع.

ه) الوعي والأجيال القادمة: التفت جيفارا، ربما أكثر من غيره، إلى أن الأجيال الجديدة هي شرط بقاء الثورة وضمانة استمرارها. كما أنه أدرك من خلال قراءته لتاريخ الثورات أن اهمال الأجيال الجديد كناقلة واعية للثورة وضرورة لاستمرارها سيؤدي إلى هدرها وضياعها هباءً واختفاء إرثها. هذا الفهم للوعي وضرورته ووظيفته في صنع الثورة واستمرارها، هو أحد أسرار استمرارية جيفارا ذاته وديمومة رمزيته وإرثه.

11) الأخلاقية الثورية... الشيوعية... والاغتراب

تنطلق الأخلاقية الثورية، كما رآها جيفارا، من ضرورة اجتماعية ومن طموحات وآمال الجماهير، ومن إرادة لخلق واقع جديد يتناقض مع الواقع القائم وتعمل على تقويضه من أجل خلق مجتمع جديد. بعبارة أخرى، فان الأخلاقية الثورية تشمل نسقًا من الطموحات والآمال التي تحرض على الواقع القائم، وبهذه الوسيلة تحث القوى الاجتماعية والسياسية – التي تشكل الرافعة للتغيير والحاملة لمشروعه – على النضال من أجل تغيير الأوضاع القائمة. من هنا، فان الأخلاقية الثورية ليست طوباوية ولا هي بعيدة عن الواقع أو نفيًا له، كما يوحي منظرو البرجوازية، بل هي وسيلة لتوحيد قوى الطبقات المستغَلة على أرضية مشتركة وموحدة من أجل دفعها إلى الأمام. وفي هذا كله، فهي نتيجة للظروف الاجتماعية – الاقتصادية والتطور التكنولوجي والثقافي والحضاري للمجتمع.

وقياسًا على هذه المفاهيم، لم يكن جيفارا مجرد ثوري أو منظر للاشتراكية، بل كان قدوة أخلاقية وهو ما لا يقل أهمية. وفي التأكيد على هذا، يقول فيديل كاسترو "ان الاشتراكية دون أخلاق لا معنى لها". في هذا المجال أيضًا، عمل جيفارا دون كلل ان يضع أقواله موضع التنفيذ والممارسة، وأن يحقق التناغم والانسجام بين أفكاره السياسية والاقتصادية والعسكرية على ضوء فلسفته وأخلاقيته الشيوعية عبر سنوات حياته القصيرة. وهنا تكمن أهمية هذه الأخلاقية الثورية والتي شكّلت مساهمة كبيرة وإثراءً للنظرية الماركسية والتراث الثوري الإنساني بشكل عام.

12) الوعي والتثقيف الذاتي: لم يتوخَّ تشي جيفارا في أعماله وكتاباته أن يتوقف عند حدود التحليل أو الموقف السياسي، وإنما حرص على أن يقدم نموذجًا للسلوك الإنساني والمعرفي والفكري، كما حرص على خلق وعي نقدي ثوري تحليلي قادر على مواجهة التحديات المقبلة والصراعات التي ستتخذ أبعادًا وأوجهة متعددة وجديدة. وتعبيرًا عن التزامه الفكري والعملي، ربط جيفارا الوعي والتثقيف الذاتي بالتنمية الفكرية والتطور السياسي وبذل



جهودًا كبيرة في صياغة المفاهيم النظرية في خضمّ نشاطاته ومسؤولياته الكثيرة والمتعددة. وقد كان السعي الحثيث إلى المعرفة والبحث والدراسة والتثقيف الذاتي الصارم الذي اتّبعه جيفارا منذ أن كان يافعًا، هو العامل الرئيسي الذي حكم نشاطه وساهم في صقل أفكاره وسلوكه الثوري والإنساني. وقد عُرف عنه شغفه بالقراءة وحبه للكتب حتى في أشد اللحظات صعوبة وخطرًا على حياته. أما في مجال تثقيف الفرد، فقد دعا جيفارا إلى ما سمّاه "التثقيف الذاتي المنظم"، وهي عملية تتخذ مسارين متزامنين:

1) مسار يقوم فيه المجتمع بالتثقيف والتربية على نحو مباشر وغير مباشر.

2) والمسار الآخر يتمثل بما يقوم به الفرد مساهمًا في عملية تكوين ذاته ووعيه عن طريق التثقيف الذاتي.

13) **"ديمومة تشي"**: تنتمي أفكار جيفارا من حيث الجوهر إلى الأفكار التي تتسم بقدرتها على مقاومة عوامل التقادم والهرم، لذا ظلت حية نابضة حتى يومنا هذا. ولعلّ مرد ذلك يعود إلى انهماكها العميق بهموم الإنسان من خلال التمسك بالمثل العليا في العدالة والمساواة بين البشر، وبهذا تستطيع أن تنفذ إلى أعماق النفس والعقل البشريين، وأن تدخل التاريخ من بواباته الكبيرة كأحد المفاتيح الرئيسية في حاضر الإنسان ومستقبله. وفي هذا ضمانه حيويتها وقدرتها اللامحدودة على التجدد.

تكمن ديمومة تشي جيفارا في الحضور الدائم لأفكاره وقدوته لأنها تعبر عن احتياجات الشعوب، وهذه الديمومة تعني أن جيفارا، وما يمثله من فكر ومشروع وقدوة ورمزية، شيء حي وليس مجرد "شيء من الماضي". بعبارة أخرى، إن ديمومة تشي هي عمل ونضال مستمر من أجل قضايا الساعة، وإن الحفاظ عليها يكون عبر استمرار النضال والمقاومة التي أراد أن يجسدها أثناء حياته كما في لحظة استشهاده.

- انتصار الثورة الكوبية عام 1959 خلف اوضاعاً دولية جديدة تميزت بالتوتر والمواجهة والانشقاق





- صراع أميركي سوفيتي وصل حد المواجهة النووية

- انشقاق خطير في المعسكر الاشتراكي والصين تتهم موسكو بالانهزامية وخيانة المبادئ الشيوعية.

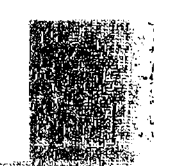
تميز عام 1960 الذي تميز بانتشار الحرب الباردة في كل من أفريقيا وأميركا اللاتينية؛ ففي أفريقيا، ظهرت دول حديثة العهد بالاستقلال، وعلى رأسها زعماء سبق لهم أن قاسوا مرارة الاستعمار، وشاركوا في انتزاع استقلال بلادهم، ولذلك كانوا بطبيعتهم يكرهون الغرب، ويتطلعون إلى مساعدة حكومة الاتحاد السوفيتي العدو الأول للدول الغربية، وكان أشهر الزعماء الأفريقيين الدكتور نكروما الذي كان رئيساً لجمهورية غانا، والرئيس سيكوتوري رئيس غينيا، وقد احتدت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي عندما حدثت أزمة الكونغو، وقد ظهرت تلك الأزمة عندما اضطرت بلجيكا إلى منح الكونغو استقلالها في تموز 1960، ورأى الزعيم لومومبا أن يستعين بالاتحاد السوفيتي لمساعدته في إرساء قواعد استقلال بلاده،

وتدعيم حكمه الذي أقامه في ''ستانلي فيل'' بينما كانت الولايات المتحدة يؤيدها حلفاؤها في الأمم المتحدة، يعملون على توحيد الكونغو والقضاء على ذلك النظام الذي وقع تحت النفوذ السوفيتي. أزمة كوبا: أما في أمريكا اللاتينية فقد كان صراع الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على أشده بسبب أزمة كوبا. ولجزيرة كوبا أهمية عالمية فهي أكبر جزيرة في بحر الأنتيل، ولقربها من الولايات المتحدة اكتسبت أهمية إستراتيجية عظمى لدى حكومتها ـ وكان يحكم كوبا منذ عام 1940 الزعيم ''باتستا'' حكماً دكتاتورياً أثار ضده زعيماً يسارياً آلى على نفسه أن يخلص البلاد من ''باتستا''، وهو ''فيدل كاسترو'' الذي كان بطبيعته شيوعياً ماركسياً متجهاً بميوله نحو الاتحاد السوفيتي، وقد فشلت ثورة كاسترو في أول الأمر، ولكن بعد ثمانية عشر عاماً قضاها في السجن ذهب إلى المكسيك، واجتمع حوله عدد كبير من خصوم النظام القائم في كوبا، ودبر كاسترو القيام بمغامرة لغزو الجزيرة في كانون اول 1956، ولكنه فشل




للمـرة الثانية، إلا أن أعوانه صمموا على مواصلـة الكفاح، حيث لجأوا إلى حـرب العصابات مدة عامين. ولما أقدم "باتسـتا" على مهاجمتهـم للقضاء عليهـم نهائياً فشـلت حملته، وانتصر كاسـترو انتصاراً حاسـماً، أنهى حكم "باتسـتا" وتولـى الحكم في كوبا فـي الأول من كانون الثانـي1959.وكان انتصـار ثورة كاسـترو، حدثاً مهماً مميزًا عن كل الثـورات التي حدثت في أمريـكا اللاتينيـة، لأنـه كان متحمسـاً للمبادئ الشـيوعية وموالـياً للاتحاد السـوفيتي، ولذلك كان أول عمل أقدم عليه هو التحالف مع موسـكو، وإقامة علاقـات دبلوماسـية معها. وقد أثار هذا التحالف حكومـة الولايات المتحدة؛ لأنهـا تعد كوبا مـن المناطق الحساسـة القريبة من حدودهـا. .وقد أدى هذا التطـور إلى نشـوب خلاف مـع الولايات المتحدة، وخاصة أن كاسـترو بدأ يتدخل في شـؤون جيرانه من دول أمريكا اللاتينيـة، محاولاً تصدير الثورة الشـيوعية، وازداد نشـاطه فـي كل مـن جمهوريـة الدومنيـكان، وهايتـي ونيكارجـوا وبنمـا وفنزويلا وغيرها، وذلك بالاتصال بالعناصر الشـيوعية فـي تلك الجمهوريات ومدهم بالأموال، واتسـعت الدعاية التي كان يقوم بها عن طريق الخطابة والإذاعة. ولما كان تحسـين أحوال كوبا الاقتصادية هو أول الطريـق لنجـاح نظـام "كاسـترو"، عقد معاهـدة تجارية مـع الاتحاد السـوفيتي سـنة 1961، نصت علـى التزام حكومة موسـكو بمـد كوبا بما تحتاجـه من البترول وغيره من المواد التي تفتقر إليها بلاده. ثم اتبع ذلك في ايـار 1961 بعقد صفقات أسـلحة من الاتحاد السـوفيتي، ومن بعض الدول الشـيوعية الأخرى. وأخذت حكومة الرئيس أيزنهاور في واشنطن تراقب ما يجري في كوبا في قلق وتأهب، وعزمت على سـحق تلك الثورة الشـيوعية قبل أن تسـتفحل في أمريكا بأسـرها. وبـدأت باتخاذ قـرار اقتصادي فاتحة لحـرب اقتصاديـة ضـد كوبا، وهو عدم اسـتيراد السـكر من كوبـا "تموز 1960"، ولمـا أراد كاسـترو الانتقـام باتخاذ قـرار بتأميم أمـوال الولايات المتحـدة في كوبا، ردت الحكومـة الأمريكية بإصدار قرار بفرض المقاطعة التجاريـة علـى كوبا، وقطعـت علاقاتها الدبلوماسـية بهـا، وفتحت أبواب الهجرة إلى الولايات المتحدة لأعداء كاسـترو وخصومه السياسـيين. وقرر



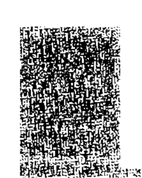


الرئيس جون كنيدي عندما تولى الحكم أن يقدم على عمل قوى حاسم يقضي نهائياً على نظام كاسترو في كوبا. وبذلك انتقلت الحرب الباردة إلى منطقة الكاريبي التي تقع فيها كوبا. وفي شهر تموز 1960، أعلن خروتشوف أن الاتحاد السوفيتي يستعمل الصواريخ والقذائف ضد أية أمة تعتدي على كوبا. غزو أمريكي: وفي عام 1961، بدأت حكومة الولايات المتحدة تحت قيادة الرئيس الجديد جون كينيدي تتحرك لتواجه التحدي الشيوعي في أمريكا اللاتينية، وكان معظم الأمريكيين قد بدأوا يشعرون بأن الشيوعية التي يعارضونها، ويقف الغرب كله ضدها، وتنتهج خطاً ديكتاتورياً مطلقاً، تهتم في حقيقة الأمر، ولو من الناحية الشكلية، بالشعوب التي ظلت تعانى من الذل والتحكم مدة طويلة. وكانت حكومة كينيدي ترغب، في ذلك الوقت، في أن تمنح الولايات المتحدة سلاحاً أيديولوجياً فعالاً يمكن أن تواجه به الدعاية الشيوعية المغرية. فأعلنت مبدأ "التحالف من أجل التقدم" الذي كان يهدف لتنمية الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وتحقيقها في أمريكا اللاتينية من طريق منظمة الدول الأمريكية. وكان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم الوسائل والإمكانيات، وعلى قادة أمريكا اللاتينية أن يتجهوا بمجتمعاتهم نحو الديموقراطية الأمريكية، والتخلص من ظروف الفقر التي تنمو وتزدهر في ظلها الشيوعية. وقد واجه مشروع "التحالف من أجل التقدم" صعوبات خانقة منذ ظهوره إلى حيز الوجود، لأنه لم يكن يسعى، في حقيقة الأمر، إلا إلى وقف تيار الشيوعية، ولم يكن يهتم كثيراً برفع مستوى الشعب في أمريكا اللاتينية. والواقع أن جون كينيدي ورث عن سلفه أيزنهاور مشكلة كوبا التي تعد فصلاً مهماً من فصول تطور العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية. ففي نيسان 1961 فكر في القيام بمغامرة عسكرية، كان أيزنهاور نفسه قد أمر ببحث وسائلها، وهي فكرة غزو كوبا بقصد الإطاحة برئيسها فيدل كاسترو. ولم يكن الأمر سهلاً لأنه قد يؤدي إلى مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. فقد سبق في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك عام 1960، أن أظهر الزعيم الروسي خروتشوف تعاطفه مع كاسترو،



وكانا يظهران أمام رجال الصحافة وهما متعانقان، وكان خروتشوف يصرح لهم بأن أي عدوان على كوبا لن يمر دون التدخل السوفيتي. كذلك كان كاسترو يصرح بأنه شيوعي ماركسي، ثم أعلن اعتراف كوبا بحكومة الصين الشعبية الشيوعية، وبحكومة كوريا الشمالية. وفي شهر كانون الثاني، أي قبل الاحتفال في الولايات المتحدة بتقلد الرئيس الجديد جون كيندي منصبه، أمر كاسترو بإبعاد العدد الأكبر من أعضاء السفارة الأمريكية في العاصمة الكوبية هافانا على أن يقتصر موظفوها على أحد عشر عضواً فقط، وأن يغادر المبعدون كوبا في ظرف أربع وعشرين ساعة وقبل أن يغادر أيزنهاور البيت الأبيض أمر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا. وفي هذه الأثناء كان ممثلو كوبا في هيئة الأمم يقومون بالدعاية ضد الولايات المتحدة، ويشكون من أن حكومتها تقوم بتدريب قوات من خصوم كاسترو العسكريين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة على حرب العصابات، ومعظمهم من أنصار ''باتستا'' رئيس كوبا السابق. والواقع أن حكومة الولايات المتحدة كانت فعلاً تدرب هؤلاء في معسكرات خاصة، وتزودهم بالأسلحة والذخيرة حتى أصبحوا على استعداد للقيام بالمغامرة المطلوبة. وفعلاً بدأت عملية الغزو بتشجيع حكومة كنيدي وتأييدها. ولكن ما أن وطئت الحملة أرض الجزيرة حتى هاجمها سلاح الجو الكوبي، ثم هاجمتها قوات المليشيا التابعة لكاسترو، وقُضي على الحملة في ثلاثة أيام، ولم يستطع الرئيس كينيدي أن يقدم أية مساعدة عسكرية فعالة للمهاجمين؛ لأنه كان يشترط للقيام بالغزو ألا تشترك القوات الأمريكية اشتراكاً فعلياً في المغامرة. إلا أن فشل هذه الحملة كان ضربة أليمة للسياسة الأمريكية. وانتهز خروتشوف فرصة خيبة الأمل التي منيت بها الولايات المتحدة لكي يحقق هدفاً سياسياً وعسكرياً في كوبا، وهو أن يحولها إلى قاعدة عسكرية روسية يضع فيها كمية كبيرة من الصواريخ النووية أرض/ جو. واتبع ذلك بإرسال عدد من الطائرات المقاتلة ميج21 من حاملات القنابل النووية، والطائرات المهاجمة حتى اكتمل ذلك الخطر الحربي في 22 أكتوبر 1961، وأصبحت بعض مدن الولايات المتحدة على

مرمى قريب من تلك القاعدة السـوفيتية في البحر الكاريبي. أحست الولايات المتحـدة بالخطر المحـدق بها، فقد علمت بتلك العملية بعد ثلاثة أسـابيع من بدئهـا. وظنـت في أول الأمـر أن كل ما يجـرى في كوبا إنمـا هو محاولة الاتحاد السـوفيتي مد يد المعونة العسـكرية لحليفته بقصد الدفاع عن نفسها، طبقـاً لمـا كانت تعلنه موسـكو، مؤكـدة أن الأسـلحة دفاعيـة، وأن الاتحاد السـوفيتي لا يضمـر أي مقاصـد عدوانيـة، إلا أن المخابـرات الأمريكيـة اكتشـفت مـدى المؤامرة السـوفيتية، وتوفـر لديها العديد مـن صور قواعد الصواريـخ. عندئذ أعلن الرئيس كنيدي في 22 شـباط 1961 على الشـعب الأمريكـي أن الولايـات المتحدة تواجـه أخطر تحدٍ لها في الحرب البـاردة خلال السـنوات العشـر الأخيرة. وقرر أن يقف في حزم وقوة لمواجهة ذلك التحدي، دون أن تلجأ حكومته إلى عرض المسـألة على هيئة الأمم المتحدة. بـل كان أمام حكومة كيندي ثلاثة اختيارات عليهـا أن تنفذ أحدها، الأول أن تقوم القـوات الأمريكية بالهجوم الخاطف على كوبا، مسـبوقاً بضربة جوية لتحطيـم الصواريخ والطائـرات الرابضة على أرض كوبـا، قبل أن تنطلق للرد على العملية. والثانـي الاكتفاء بالضربة الجوية وحدها، والأخير فرض حصار على الجزيرة حتى يجد خروتشـوف نفسـه مضطراً لسحب الأسلحة الروسـية من الجزيرة. وعندما روجعت تلك الاختيارات، وجد أن الخيارين الأول والثانـي قد يؤديان إلـى قيام حرب نووية، يترتب عليها سـخط العالم كلـه علـى الولايات المتحدة، وضيـاع أرواح عديدة مـن الكوبيين، بل ومن العسـكريين الـروس الموجودين في منطقة الصواريخ، وقـد يؤدي كل ذلك إلى مخاطر لا يعلم مداها إلا الله. لذلك فالحصار البحري هو البديل المفضل. وبدأ الاسـتعداد لذلك في سرية تامة: وعندما اكتمل الاستعداد في 22 تشرين الاول 1961، أذاع الرئيس كيندي على الشـعب الأمريكي عزمه على تنفيذ الحصـار لمنـع الكارثـة، وذلك بعـد أن طالـب الاتحـاد السـوفيتي بإزالة الصواريخ التي وضعها في الجزيرة، ووقف شـحن الأسلحة الهجومية إليها، وأعطى للروس مهلة عشـرة أيام لتنفيذ ذلك. وفي الوقت نفسه دعا مجلـس الأمـن إلى الانعقاد لاتخاذ موقف حاسـم إزاء خطـورة الموقف، وقد صوت





المجلس بالإجماع بمنع شـحن مزيد من الأسـلحة الروسية إلى كوبا، وحاول الاتحاد السوفيتي أن يعيد ما سبق أن أعلنـه من أن الأسلحة التي شحنها إلى الجزيرة ليسـت هجومية. إلا أن الحصار الأمريكي اسـتمر ساري المفعول، وحـاول "يوثانـت" الأميـن العـام للأمم المتحـدة أن يتدخل بيـن الطرفين، واقتـرح تأجيل القيـام بأي إجراء لمدة أسـبوعين أو ثلاثـة، حتى يمكن حل الأزمة بالمفاوضة السـلمية. ووافق خروتشـوف، وكذلك وافق جون كيندي بشرط أن يستمر الحصار حتى تتم المفاوضة على سحب القواعد السوفيتية. والواقـع أن هذه الحقبة من تاريخ الحـرب الباردة جعلت العالم كله ينتظر ما سيسـفر عنـه الموقف بقلـق وانزعاج، نظـراً لخطورة الموقـف، إذ أصبح نشـوب القتـال أمراً لا مفر منه، إلا أن خروتشـوف رأى أمـام المأزق الذي وضع نفسـه فيه، أن يتراجع عن موقفه، وأمر سـفنه التي كانت في طريقها إلى كوبا بالعـودة من حيث أتت، وبذلك انتصرت الولايات المتحدة انتصاراً سياسـياً كبيراً اهتز له العالم أجمع. ولم يكتف خروتشوف بهزيمته السياسية، بل كتب رسالة إلى الرئيس جون كيندي يعيد عليه الادعاء بان الأسلحة التي أرسلت إلى كوبا كانت إجراء دفاعياً وليس هجومياً، وأضاف أنه إذا تعهدت الولايـات المتحدة بعدم الإقدام على غـزو كوبا، ورفعت عنها الحصار، فإن الاتحاد السـوفيتي سـيعدل عن سياسـة الوجود في كوبا بأي حـال. وبعد أن اطمأنت السياسـة الأمريكية بعد رسـالة خروتشـوف، وصلـت إلى الرئيس كيندي رسـالة أخرى يطالب فيها خروتشوف بأن تسـحب الولايات المتحدة الصواريـخ الأمريكية المقامة في تركيا، وذلك في مقابل سـحب الصواريخ الروسـية من كوبا، إلا أن كيندي رفض تلك المساومة على اعتبار أن مسألة كوبـا لا صلة لها بأي شـئ آخـر، وفضل أن يتجاهل تلك الرسـالة الأخيرة، وأجابـه على رسـالته الأولى فقط، بقبوله فتح باب المفاوضات على أسـاس وقف كل نشـاط سـوفيتي، واقتلاع جميع الصواريخ المقامـة في كوبا. ولما وصلت رسـالة كنيدي إلى خروتشـوف في 27 تشرين الاول، وافق على ما جاء فيها، وأعلن سـحب الصواريخ الروسية وشحنها إلى الاتحاد السوفيتي، معتقداً أنه بانسـحابه من المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية





حصل على مكسبين: أولهما استحقاقه احترام العالم لأنه تصرف بحكمة وتعقل في أحرج المواقف التي قد تزج العالم كله في حرب عالمية ثالثة. وثانيهما حصوله على وعد من الولايات المتحدة بأنها لن تقوم في المستقبل بغزو كوبا لإسقاط نظام كاسترو. ولكن تراجع خروتشوف في الواقع كان له أثره في الكتلة الشيوعية، وعلى الأخص في الصين الشعبية التي اتهمته بأنه أخطأ مرتين: الأولى عند قيامه بإقامة الصواريخ الروسية النووية على أرض كوبا، والثانية عندما وقف موقفاً فيه جبن وتقهقر عندما أذعن لتهديد الرئيس كيندي، وقرر سحب صواريخه في ذِله وخنوع، ووصفه زعماء الصين الشيوعية بأنه "نمر من ورق". وقد كان لأزمة كوبا الخطيرة أثرها في كلا المعسكرين، فقد كان العالم أثناءها مهدداً بانفجار حرب نووية لا يعرف أحد مداها، ولذلك فكر كل من جون كيندي ونيكيتا خروتشوف في إنشاء خط اتصال تليفوني مباشر بين رئيس الدولتين، وتمت الفكرة فعلاً عام 1963 وأنشئ "الخط الساخن" Hot Line بين موسكو وواشنطن، وكان القصد منه الاتصال الفوري بين الرئيسين عند حدوث خطر يهدد السلام؛ لتدارك الموقف قبل تفاقمه، وتلافي اندلاع حرب نووية تجر العالم إلى الخراب والدمار. ولم تكن الأزمة الكوبية نقطة تحول في الحرب الباردة لمجرد أن خروتشوف تراجع وأعلن السوفييت أنهم قد اتخذوا طريقاً للسلام قبل أن تتطور الحرب الباردة إلى اتجاه خطير، ولكنها برهنت للعالم أجمع على أن الولايات المتحدة كانت على استعداد للدفاع عن ذاتها بأي حساب، ومهما يكن الثمن، وأنها كانت على استعداد لمواجهة خطر الهجوم النووي إذا تطلبت الأوضاع ذلك، ومواجهة أي تهديد مباشر في الحال. وقد تعلم كيندي من هذه الأزمة كيف ينتهج سياسة تسير على الخيط الرفيع الواقع بين اللين والاتفاق وبين العدوان. وحدثت بعد ذلك محاولات ومفاوضات بين القوتين الكبريين لعقد اتفاقيات لتحريم إجراء التجارب النووية، واشتركت في المفاوضات دول أوروبية أخرى على رأسها إنجلترا. ومع ذلك ظلت روسيا والولايات المتحدة تقومان بتلك التجارب سراً، ولم تمنع الاتصالات كل منهما أن يحتاط للمستقبل بألا يدع الطرف الآخر يتفوق



عليه في هذا المجال، ولذلك كان الزعيم الروسي خروتشوف، ومن تولى بعده يعملون على ألا يتعرض الاتحاد السوفيتي مرة أخرى لأخطار التفوق الأمريكي. ومن هنا أخذوا يرصدون الأموال الكثيرة لإنتاج الأسلحة النووية. وقد بدأت زيادة إنتاجها منذ عام 1964، وتضاعف في عام 1967، ومع ذلك كان لدى الولايات المتحدة ما يقرب من ثلاث أضعاف السلاح الروسي. واستمر السباق، سباق الكم وسباق الكيف. ومع تظاهر كل من الفريقين بالعمل على منع التصادم والمواجهة بين الشرق والغرب، فإن الأزمات السياسية لا تزال تفرض نفسها على العلاقات بين الكتلتين، ولا تزال أزمة الثقة تتحكم فيهما حتى سقط الاتحاد السوفيتي. فرنسا ديجول: واجه الرئيس جون كيندي اتجاهات معاكسة خاصة من جانب فرنسا: ففي عام 1963 جعل الجنرال ديجول قوات حلف شمال الأطلسي عاجزة عن العمل بصورة فعالة، كما تريد الولايات المتحدة. وأعلن عن نيته في خلق قوة نووية مستقلة خارج نطاق حلف شمال الأطلسي. ورفض أن يتبع الطريق الذي أطلق عليه اسم "الهدف الأكبر" الذي يؤيده الرئيس الأمريكي، وهو إنشاء مجتمع أوروبي واحد يعتمد على تكوين السوق المشتركة، وعلى إمكانية دخول الولايات المتحدة فيه. وفي عام 1963 عرقلت فرنسا دخول بريطانيا هذه السوق المشتركة، وهذا يعني منع وجود تكامل في أوروبا، وبدأت في الوقت نفسه تخطب ود ألمانيا بعيداً عن حليفتها القوية - الولايات المتحدة الأمريكية - وذلك من طريق تقوية الروابط الفرنسية - الألمانية، ولا شك في أن رغبته في إعادة إحياء عظمة فرنسا بعد أن فقدت إمبراطوريتها في فترتي الخمسينيات والستينيات من هذا القرن، من طريق إنشاء "قوة ثالثة في أوروبا" للوقوف بين القوتين الكبيرتين، تعده الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً مخالفاً لاتجاه سياستها. عوامل التحول في القوتين: وقد شهدت حقبة الستينيات البداية الحقيقية لذوبان جليد الحرب الباردة، أو ما أسماه الرئيس الأمريكي جون كيندي "بدء تحول التيار". فخلالها شرعت القوتان في خطوات جادة وملموسة نحو التحكم في سباق التسلح النووي، وفي فتح مجالات لعلاقاتهما الثنائية، بل ربما التوصل إلى تفاهم ضمني أن لا تؤثر



ارتباطاتهما وتحالفاتهما في المناطق الإقليمية على مجرى العلاقات الجديد.
وهكذا رأينا التوصل في عام 1963 إلى اتفاقية مهمة وهي اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية، وسجلت بذلك أول خطواتها الجادة في مجال نزع السلاح، كما قررت الولايات المتحدة الأمريكية بيع القمح الأمريكي للاتحاد السوفيتي، وأنشئ الخط الساخن Hot Line لمواجهة اللحظات الحرجة في علاقاتهما. وعلى الرغم مما ثار خلال هذه الحقبة من أزمات إقليمية ترتبط بها القوتان في فيتنام والشرق الأوسط، إلا أنها لم تحل دون مواصلة ما بدأه بمعاهدة الحظر الجزئي، والتوصل إلى اتفاقية أكثر دلالة، وهي اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية عام 1968. غير أن هذا التطور الإيجابي لم يحدث من فراغ؛ وإنما كان نتيجة تجربة صعبة مرت بها القوتان وهي أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962، وهي الأزمة التي كادت أن تتحول بها الحرب الباردة إلى حرب ساخنة، ونقلت بها معنى الحرب والمواجهة النووية من مستوى التصور الذهني المجرد إلى الواقع والإمكانية الملموسة.
ولم يقتصر تأثير هذه التجربة الحية على ما دفعت إليه من خطوات ملموسة بل فيما غيرته من التصورات والافتراضات الذهنية عن بعضها البعض.
ومع نهاية الستينيات حقق الاتحاد السوفيتي ما عَدّه إنجازاً تاريخياً بالتوصل إلى حالة التعادل Parity مع الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الأسلحة الإستراتيجية، وهو التطور الذي سمح بإمكان بدء محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية، والتي ظل الاتحاد السوفيتي متردداً في دخولها حتى يتمكن من تحقيق هذا التقدم. وعلى الرغم من أن الاتفاق على بدء هذه المحادثات كان قد تم خلال إدارة الرئيس الأمريكي جونسون، على أن يقوم بزيارة إلى الاتحاد السوفيتي في اب 1968، إلا أن هذا الترتيب تراجع أمام حدث التدخل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا في 3 اب 1968، وتوقفت بسببه الترتيبات الخاصة ببدء محادثات SALT وكذلك زيارة الرئيس الأمريكي جونسون لموسكو. غير أن مجرى العلاقة الذي بدأ في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية ودروسها، لم يتوقف نهائياً خاصة مع مجيء إدارة جديدة في الولايات المتحدة برئاسة ريتشارد نيكسون، الذي اختار هنري كيسنجر





مستشـــارًا للأمن القومي، وهو شـخصية بـرزت أحد خبراء الإســتراتيجية والتسـلح النـووي. غير أن ما كان حاسـماً فـي هذه المرحلة هـو الظروف الأمريكيـة والدوليـة التي رأتهـا الإدارة الأمريكية الجديـدة حين جاءت إلى الحكـم في يناير عام 1970، وتقييمها لكيفيـة التعامل مع هذه الظروف. في هـذا الوقت كانت الولايـات المتحدة الأمريكية تودع السـتينيات التي لم تكن خلالهـا أقوى دولة في العالم فحسـب، وإنما كذلك أكثـر جاذبية، إذ كان لها التفـوق على القوى العظمى الأخرى في الأسـلحة الإسـتراتيجية، كما قادت حلفاءهـا بمهـارة في أزمـات مثل برليـن. وعلـى المسـتويين الاقتصادي والإنتاجـي، كانـت تنتـج، تقريبـاً، نصف ثـروة العالم، كما كانـت معاملها ومختبراتهـا أكبر مكان للاكتشـافات العلمية، وتتقـدم العالم في مجال التعليم العالي، وعلـى الرغم من تزايد الصراعات العنصرية في مجتمعها، إلا أنها أظهـرت مرونة في تناول هـذه الصراعات. غير أنه مـع انتهاء هذه الحقبة ومقبل السـبعينيات، بـدأت هذه الصورة تهتـز، وتفقد عناصرهـا المؤثرة، حقيقـة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت، ما تزال، أقوى قوة تكنولوجية، إلا أن مجتمعها فقـد جاذبيته، ولم يعد حلفاؤها، الذين نموا اقتصادياً، يتبعون قيادتهـا تلقائيًا في كل مجال كما كان الحال من قبل، بل أن قيادتها السياسـية لهم أصبحت موضع شك. وأكبر من ذلك أن الخصم، وهو الاتحاد السوفيتي، بـدأ يمتلـك ترسـانة مـن الأسـلحة النوويـة، والصواريـخ طويلـة المدى والغواصـات. ومن ناحيـة أخرى ظهرت اليابان على السـطح الدولة الثالثة في العالم اقتصادياً، بل وتبشـر أن تصبح الثانية مع نهاية القرن، كذلك برز العالم الثالث قوة سياسـية. أضف إلى كل هذا، التورط في فيتنام حيث كانت أول هزيمة للعسكرية الأمريكية، وأحدثت اهتزازاً في قيم المجتمع الأمريكي وتماسـكه. كل هذا خلـق حالة من عدم التأكد، بل والإحباط والشـكوك حول طبيعـة القـوة التي تمثلهـا الولايات المتحـدة في عالمها، والتسـاؤل عما إذا كانت الاسـتراتيجية الأمريكية في التعامل مـع العالم وصياغته وفقاً للمفهوم الأمريكـي قد سـارت بشـكل خاطئ. كانت هـذه هي المرآة التـي رأى فيها نيكسـون صورة بلاده، وهو يتسلم الحكم في نـهاية الستينيات وورث بها أمة



غير متأكدة من طريقها سـواء في الداخل أو الخارج. من هنا أدرك نيكسـون الحاجـة إلـى تقييـم جديـد للسياسـة الأمريكية، والـذي أسـماه "الأصوات الخفيضة"، والمرونة الجديدة، ونقل التركيز إلى الجوانب العملية، وضرورة إنهـاء حرب فيتنام، وأهم من هذا تحديده لإطار سياسـة خارجية تعتمد على المفاوضـة بدلاً من المواجهـة. وإذا كانت هذه التغيـرات الموضوعية التي جـرت على الجانب الأمريكي مع نهاية حقبة السـتينيات وبداية السـبعينيات سـمحت بتغيير في إطار التفكير حول إدارة الشـؤون الدولية عامة والعلاقة مـع القـوة العظمـى الأخـرى خاصة، فـإن عناصـر التغيير علـى الجانب السـوفيتي والحاجة إلـى سياسـات جديدة تبتعد عن المواجهة لم تكن خافية. حقيقـة أن القيادة السـوفيتية حققت تعادلاً في الميزان الاسـتراتيجي أعطاها قدراً من الثقة والاطمئنان فيما يتعلق بنظام الأمن، إلا أن السياسـة السوفيتية عبـر مراحلها المختلفة كانت تحكمهـا الاعتبارات الداخلية. ففي الوقت الذي استطاعت قطاعات الإنتاج في الدفاع والتكنولوجيا العسكرية أن تقف موقف المنافـس مـع الولايات المتحدة، أصبح واضحاً، بشـكل متزايـد، أن الاتحاد السـوفيتي يواجه صعاباً لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بمدى ملاءمة القطاعات المدنية في نظامها الاقتصادي للثورة الصناعية والعلمية للعصر. أضف إلى هـذا أن الإصلاحـات الاقتصاديـة التي أدخلت عـام 1965 لزيـادة الإنتاج وتسـهيل إنتـاج تكنولوجيـا جديـدة في القطـاع المدنـي لم تحـل الصعاب الاقتصاديـة السـوفيتية، لذلك ظهر شـبه إجماع داخل القيادة السوفيتيـة أن نتائج غير مرغوب فيها في الداخل يمكن أن تترتب على منافسـة طويلة في مجال سـباق التسـلح بوجه خاص. وهكـذا توفرت مفارقة من ثلاثة وجوه: بـروز الاتحاد السـوفيتي قوة عسـكرية عالميـة، وأن هذه القوة لـم يكن لها مغـزى سياسـي طالمـا أن كل قوة فـي مقدورهـا الانتقام مـن الأخرى إذا هاجمتهـا، أما الوجه الثالث فهو أن هذه القوة العسـكرية لم يكن يوازيها تقدم فـي الداخل. وهكـذا كانت هـذه التطورات فـي الواقعين الداخلـي والدولي للقوتين مع بداية السـبعينيات وراء المرحلة النوعية الجديدة، والتي شـهدت اتصـالات ومضموناً جديداً للحوار بينهما فـي مؤتمرات قمة، كان جوهرها



هو ترشـيد سباق التسـلح بينهما، وخاصة في المجال الاستراتيجي، وهو ما وضعت قمة موسـكو الأولى في ايار-حزيران 1972 أساسـه بتوصلها إلى اتفاقيات الحد من الأسـلحة الاسـتراتيجية التي عرفت بـ))Salt-1(انظر ملحق نص (معاهدة سولت 1) ولم تكن أهمية هذه الاتفاقيات أنها الأولى من نوعها فحسـب؛ وإنما لأنها كانت تشكل أساس القوة العسكرية لكلتا القوتين، ومكانتهما بوصفهما قوى عظمى، وأهم من هذا المبادئ التي ارتكزت عليها وهـي التعادل Parity، والأمن المتسـاوي Equal Security. فيه إلى هذا الإنجاز الذي حققته قمة موسكو الأولى في مجال الاهتمام الرئيسي، توصلت إلـى وضع مبادئ تهتدي بهما القوتان في إدارة علاقاتهما الدولية. هذا فضلاً عن التوصل إلى مجال واسع من الاتفاقات في العلاقات الثنائية في وجوهها المختلفـة، بلغـت من العـدد والتنـوع ما قيل معـه أنها فاقت مـا تحقق في علاقات البلدين منذ تأسـيس علاقاتهما الدبلوماسـية عـام 1933.قد واصلت مؤتمرات القمة الثلاثة التالية: واشنطن، موسكو، وفلاديفوستك هذا الاهتمام المشـترك في محاولة إضافة مضمون جديد لعلاقاتهما سـواء في مجال الحد من التسـلح، أم في مجال العلاقات الثنائية. هكذا كانت المراحل السابقة التي شـهدت محـاولات القوتين منذ الخمسـينيات بنـاء علاقات إيجابيـة بينهما تتجاوز توترات الحرب الباردة وتنافسـها وتتحكم فيها، وأن هذه المحاولات في كل منها كانت مدفوعة، ونتيجة لتغيرات موضوعية، لم يكن في الإمكان تجاهلها في واقع القوتين.





كتاب: قصص لا ترويها هوليوود مطلقا

د. حمد العيسى / كاتب ومترجم سعودي

يسعدني نشـر بعض المقاطع المختارة من الفصل الثالث من كتابي المترجم الـذي صـدر مؤخرا بنفس عنوان هذا الفصل: «قصـص لا تنتجها هوليوود مطلقاً» (منتدى المعارف، بيروت، 192 ص).



والكتاب مـن تأليف المـؤرخ الأمريكي هوارد زِنْ، وتكمـن رسـالة الكتاب فـي مقاومة فكرة الحرب، لأنها تؤدي حتما لقتل المدنيين الأبرياء كما يثبت المؤلف بالأدلة التاريخية.

ويتكـون الكتـاب مـن سـبعة فصـول كالتالي: المبدعون في أوقات الحرب، عن إيما غولدمان، قصـص لا ترويهـا هوليوود مطلقاً، النشـرات في أمريكـا، واجب التعبيـر أو دور الفنان في تغييـر المجتمـع، تغيير عقليـة أوبامـا، تقهقر الإمبراطورية الأمريكية.

وكتب تقديـم الكتـاب الصحافي البريطاني المقيم في بيـروت بـول كوخْـرَن. وهـذا الفصل في الأسـاس هو نسـخة منقحة من خطبة ألقاها زن في مهرجان تاوس للفيلم، تاوس، ولاية نيومكسـيكو، في 17 نيسـان/أبريل 1999.(المترجم).



*** هوارد زِنْ: سيرة موجزة**

هـوارد زنْ (1922 - 2010)، مـؤرخ وناقـد اجتماعي/سياسـي أمريكي. أصـدر أكثر من 45 كتاباً. ولد زِنْ عـام 1922، في حي بروكلين في مدينة نيويورك، لأبوين مهاجرين يهوديين من الطبقة الكادحة. عمل في شـبابه في حوض لإصلاح السفن، ثم شارك في الحرب العالمية الثانية كقاذف قنابل من الطائرات. شـكّلت مشـاركته في الحرب بداية وعيه السياسي الذي عُرف به فـي ما بعد ليصبح مناهضاً لفكرة الحرب. حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعـة كولومبيا المرموقة عام 1958، مـع تخصصٍ فرعي في العلوم السياسية.

أصدر عام 1980، كتابه الكلاسـيكي غير المسبوق «تاريخٌ شعبيٌ للولايات المتحـدة: 1492 - الآن»، والـذي روى فيه تاريـخ أمريكا -لأول مرة- من وجهة نظر المحرومين والمسـتضعفين. نجـح الكتاب الضخم -الذي يقع في 768 صفحة- نجاحاً ساحقاً، وأصبح من أكثر الكتب مبيعاً.

وقال ملحق مراجعة الكتب الشهير في جريدة «نيويورك تايمز» عن الكتاب: «المؤرخون سيعتبرونه -بحق- خطوة في اتجاه نسخة معدّلة ومتماسكة من التاريـخ الأمريكي». أعيد طبع الكتاب مرات عديدة، وفي ربيع عام 2003، أقيم احتفال خاص بمناسـبة بيع النسـخة الرقم مليون منه. ولحسـن الحظ فقد صـدر هذا الكتاب الهـام بالعربية من ترجمة الأستاذ شعبان مكاوي عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر عـام 2005 بعنـوان «التاريـخ الشـعبي للولايـات المتحـدة» (الكتـاب الرقـم 736). توفي زن في يناير 2010.







*** قصص لا ترويها هوليوود مطلقاً:**

عندما بدأت قراءة التاريخ ودراسة التاريخ وتدريس التاريخ وكتابة التاريخ، كنت دائماً أقع على حوادث وأحداث وأناس يجعلونني أهتف: «واو يا لها من قصة تصلح موضوعاً لفيلم عظيم». وعلى الرغم من أن السينما تقدم أحياناً قصصاً بغيضة، إلا أنني كنت دائماً أحب الأفلام.

وعندما كنت أقرأ عن أشياء في التاريخ أفكر أيضاً إذا ما كانت قد تحولت إلى فيلم سينمائي؟ ولكن الحالة لم تكن كذلك أبداً. لقد استغرق الأمر بالنسبة إلي فترة معتبرة لكي أدرك أن هوليود لن تنتج أفلاماً مثل التي كنت أفكر فيها. أي أن هوليوود لن تنتج أفلاماً تؤثر في الناس لكي يكون عندهم وعي حقيقي أكثر عن طبقتهم الاجتماعية، أو لكي يكونوا مضادين لفكرة الحرب بصورة أكثر، أو أكثر وعياً بالحاجة إلى المساواة الجندرية أو العرقية.

لقد تساءلت عن سبب هذا الأمر؟ لقد بدا الأمر لي بأنه ليس مجرد صدفة بحيث يمكنك أن تقول إنه مجرد غلطة غير مقصودة من جانب هوليوود مثل عدم إنتاج فيلم عن مذبحة «لودلو» في ولاية كولورادو.

مجرد مصادفة، مثل المصادفات التي تسمع عنها عندما تشاهد التلفزيون كما فعلت هذا الصباح. لقد كانوا يشرحون حادثاً عرضياً عندما قصفت قوات النيتو طابوراً من اللاجئين من كوسوفو. هذه الأشياء دائماً تعتبر حوادث عارضة أو مصادفات. ولكن الآن قد تتساءلون: «هذا ليس متعمداً فعلياً، إنهم لم يقصدوا حقاً قتل هؤلاء!!». ولكن هذه الأمور من النادر أن تكون حوادث عارضة أو مصادفات.

أقصد أن العاملين في هوليوود لم يجتمعوا كلهم في غرفة واحدة ليقرروا: «نحن لن ننتج هذا النوع من الأفلام أو ذلك النوع». وكذلك لا أحد في مركز قيادة النيتو أو في الحكومة الأمريكية اجتمعوا معاً وقالوا: «سوف نقصف المدنيين». لا يجب عليهم فعل ذلك ومع ذلك فإنه ليس حادثاً عرضياً أو مصادفة!



استعمل أحد المفكرين ذات مرة تعبيراً ليصف الأحداث التي ليست مصادفة أو متعمدة ولكنها تقع في المنتصف بينهما، لقد أطلق عليها «الانتقاء الطبيعي للحوادث»، بمعنى أنه إذا كان هناك ترتيب محدد لوضع ما، فإن هذه الأشياء سوف تحدث حتماً سواء بالتخطيط أو من دونه.

إن ترتيب الحرب مبني بصورة تجعل من الحتمي قتل أناس أبرياء. لقد سمعت الرئيس كلينتون يقول: «في الواقع، نحن لم نقصد هذا الشيء، ولكن الإصابات المدنية حتمية عندما تشن الحرب». لقد كان مصيباً تماماً، ما يقودك إلى استنتاجين: إما أن تقبل بالضحايا المدنيين، أو أن تلغي فكرة الحرب. وبالطبع كما تعلمون، الخيار الثاني لا يمكن التفكير فيه.

يبدو أن ترتيب الحرب هو كذلك، وترتيب هوليوود هو كذلك أيضاً، أي أنها لن تنتج تلك الأفلام التي تخيلتها عندما بدأت بقراءة وكتابة التاريخ.

هناك ترتيب هوليوودي يمكن وصفه كالتالي: «بناءً على الحاجة لكسب الكثير من الأرباح»، أي ترتيب تكون فيه الأرباح هي الاعتبار الأول قبل الفن وقبل الجمال والقيم الإنسانية. عندما دعيت إلى هذا المهرجان الخاص بالأفلام، تأملت: «حسناً، هذه هي فرصتي ها هم صانعو الأفلام، سوف أخبرهم عن القصص التي طالما تمنيت أن أشاهدها في فيلم ولذلك سينصتون إلي وسينطلقون مباشرة لإنتاج تلك الأفلام «إن هدفي هو أن يتم إنتاج أفلام تستطيع أن تجعل فكرة الحرب مرفوضة ومقرفة للناس.

عندما تتأملون في الأفلام التي أنتجتها هوليوود عن الحرب –وهناك مئات ومئات منها وربما آلاف- فسوف تجدونها دائماً أفلاماً تمجد البطولة العسكرية.

هناك استثناءات قليلة يمكن عدها على أصابع اليدين، ولكن في الغالب نجد أفلاماً تتحدث عن محاربين أبطال أو بطولة عسكرية فذة، أي أنها أنواع من الأفلام لا يمكنها أن تقنع الجمهور الشاب بأنه لا يجب عليهم تقبل فكرة الحرب وبالتالي عدم المشاركة فيها. لقد بدأت أفكر بكتابة قصص عن بعض الحروب من وجهة نظر مختلفة، وعندما تنظر إلى الحرب من وجهة نظر مختلفة سوف تستنتج كل أنواع الاحتمالات.



دعونـا نأخذ واحدة من أفضل حروبنا: الحرب الثورية الأمريكية، أي حرب الاسـتقلال الأمريكيـة. ولكن كيف يمكـن أن أتحدث ضد حرب الاسـتقلال الأمريكية، أليس كذلك؟!

لكـي نكتـب قصة الثورة ليس مـن وجهة نظر الآباء المؤسسـين، ولكن من وجهة النظر التي تقول إن الحرب ظاهرة معقدة متداخلة مع قضايا أخلاقية، يجب أن نرى أن الأمريكان كانوا مظلومين من المحتلين البريطانيين، ويجب أيضـاً أن نـرى أن بعض الأمريـكان كانوا مظلومين مـن بعض الأمريكان الآخرين.

الحـرب الثورية الأمريكية لم تكن بسـيطة؛ فعلى سـبيل المثال: «الأمريكان الهنود لم يندفعوا للابتهاج بانتصار المستعمرين البيض على إنكلترا، لأن ذلك النصر بالنسـبة إليهم كان يعني أن الخط الذي وضعته بريطانيا لمنع التوسع نحو الغـرب الأمريكي في إعلان عام 1763، سـوف يلغى. المسـتعمرون الأمريكان سـيجدون الحريـة للزحف نحو الغرب حيـث الأراضي الهندية. الهنود الأمريكان لم يحتفلوا بنجاح الثورة الأمريكية، وأيضاً العبيد السـود لم يحتفلوا بنجاح الثورة الأمريكية».

ونسـتطيع أن نصنف الناس فـي أمريكا بعد الثورة الأمريكيـة كالتالي: ثلث المسـتعمرين سـاندوا الثورة الأمريكية، والثلث الثانـي عارضوها، والثلث الأخيـر كانوا محايدين. لقد كان هذا تقدير جون آدمز، الذي يعتبر أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية وأحد قادة الثورة الأمريكية.

لقد اعتقدت أنه من المفيد أن نروي في فيلم قصة الثورة الأمريكية من وجهة نظر عامل أمريكي عادي وفقير سمع إعلان الاستقلال، حينما تم إعلانه من شـرفة في بوسـطن، وكان ذلك الإعلان يعد بالعدل والمساواة.. الخ، ثم يعلم بعد ذلك بسـرعة أن الأغنياء يمكن أن يعفوا من الخدمة العسـكرية إذا دفعوا بضع مئات من الدولارات.

هـذا العامل العادي ينظم بعد ذلـك للجيش لأنه تم وعده بقطعة أرض مجانية على الرغم من تشككه وريبته، وعلى الرغم من مشاعره الخاصة بأنه مظلوم،



وشعوره بالظلم ليس من البريطانيين فحسب، ولكن من قادة المستعمرات الأمريكية التي يجد صعوبة في توفير لقمة العيش فيها. ولكن بينما تستمر الحرب، يشاهد القتل، وبتر وتشويه الأجسام، ويصبح بصورة متزايدة مستاءً وناقماً وساخطاً.

لا يوجد مكان في المجتمع حيث يكون تقسيم الطبقات واضحاً مثل الجيش، ويشاهد بنفسه ضباط الجيش الثوري وهم يعيشون بطريقة باذخة، بينما المجندين العاديين بالكاد يجدون ما يناسبهم من الملابس والأحذية وتتأخر رواتبهم، ولا يجدون ما يسد رمقهم سوى حساء أشبه بالوحل، ولذلك ينظم إلى المتمردين.

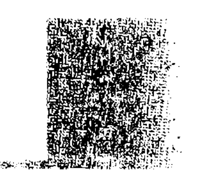
في الحرب الثورية كان هناك متمردون ضد جيش واشنطن: تمرد خط ولاية بنسلفانيا، وتمرد خط ولاية نيوجرسي.

أعتقد من الجميل والمفيد أن نروي قصة عامل ينضم للجيش الثوري ويقاتل في معارك ثم يجرح، ولكن بعدها ينضم إلى خط بنسلفانيا وبالتالي يتمرد معهم. ويزحفون إلى مؤتمر فيلادلفيا، ولكن في النهاية يحاصرهم جيش واشنطن ويضطر العديد من رفاقهم لإطلاق النار على المتمردين. ثم يقوم هذا الجندي الغاضب مما رأى بالخروج من الجيش ويحصل على أرض في غرب ولاية ماساتشوستس، وبعد نهاية الحرب يصبح متمرداً.

هناك انتفاضة وقعت غرب ولاية ماساتشوستس سميت بـ«انتفاضة شايز»، حيث قام مزارعون صغار بقيادة ضابط سابق بالتمرد ضد الرجال الأغنياء الذي يسيطرون على المجلس التشريعي للولاية، ويفرضون ضرائب عالية عليهم، ويأخذون الأرض والمزرعة من العائلة التي تتأخر في تسديد الديون.

انتفاضة شايز، كانت تمرداً شعبياً لمحاربين قدامى من الحرب الثورية، إضافة إلى مزارعين آخرين يحيطون بالمحاكم ويرفضون أن يدخل منظمو المزاد الذين ستباع مزارعهم في المزاد العلني. وعندما يتم دعوة الميليشيات لتفريقهم، تأتي الميليشيات وتنضم إليهم، وفي النهاية يظهر جيش مرتزق يموله أغنياء بوسطن ويقضي على ثورة شايز.





الحروب يمكن وصفها بطريقة تعقد السيناريو البسيط «الخير ضد الشر»، الذي يقدم لنا في كتب التاريخ وفي ثقافتنا. الحروب ليست ببساطة هجوم شعب ضد آخر، بل دائماً تتضمن اختلافات طبقية داخل كل طرف حيث النصر دائماً لا يتشارك فيه الجميع ولكن القلة فحسب. كما إن الناس التي تقاتل في الحروب ليست هي الناس التي تنتفع من الحروب.

الفصل الثاني :

وأعتقد أنه على شخص ما أن ينتج فيلماً عن الحرب المكسيكية. أنا لم أشاهد أي شيء عنها يوضح كيف بدأت تلك الحرب أو كيف خدع الرئيس الأمريكي الشعب الأمريكي؟ أعرف أنه من العجيب أن تسمعوا أن الرئيس الأمريكي يخدع عمداً شعب الولايات المتحدة، ولكن تلك كانت هي الحقيقة حيث قال فيها الرئيس جيمس بولك للشعب الأمريكي إن الجيش المكسيكي أطلق النار علينا داخل التراب الأمريكي.

ولكن في الحقيقة لم يكن ذلك على التراب الأمريكي بل كان على أرض متنازع عليها من قبل المكسيك وأمريكا. وخلال تلك الحادثة قتل بعض الناس، ومن ثم... «بوووم» أصبحنا في حرب، أقصد في حرب خطط لها سلفاً من قبل إدارة بولك، لأنهم كانوا يرغبون في ضم تلك القطعة الجميلة من الأرض في الجنوب الغربي.

أعتقد أنه من الجميل والمفيد أن نروي تلك القصة مجدداً من وجهة نظر جندي عادي في الحرب المكسيكية حيث يرى القتلى والمشوهين والدماء، بينما يشق الجيش الأمريكي طريقه نحو المكسيك مدمراً ما يجد في طريقه مدينة إثر مدينة.

مثل هذه القصة سوف تشرح وتصف كيف يزيد سخط هؤلاء الجنود من الحرب تدريجياً، وأنه بينما يقومون بالزحف النهائي نحو العاصمة مكسيكو سيتي بقيادة الجنرال سكوت، يستيقظ هذا الجنرال في الصباح ليجد أن نصف



جنوده قد فروا من الجيش. سيكون من المثير والرائع أن نروي هذه القصة من طرف أحد متطوعي ولاية ماساتشوسيتس الذي يعود في نهاية الحرب ويحصل على دعوة للاحتفال بالنصر في تلك الحرب التي احتلت فيها الولايات المتحدة نصف المكسيك.

وفي الوقت الذي يتم فيه تكريم قائد متطوعي ماساتشوسيتس على المسرح، يحاول أن يتكلم وهو على المنصة ولكنه يُستقبل باستهجان وازدراء من النصف الباقي من بقية متطوعي ماساتشوسيتس الذين ما يزالون أحياء، والذين يفكرون في ما حدث لرفاقهم في تلك الحرب والذين ينظرون حولهم ثم يتساءلون: لماذا كانوا يقاتلون في تلك الحرب؟ ينبغي أن أقول لكم.. لقد حدث هذا بالفعل.

تلك القصة تشمل أيضا مشهداً يزحف فيه الجيش الأمريكي ليسيطر على مقاطعة سلبت من المكسيك. القوات الزاحفة تتوجه نحو شمال المكسيك أي ما نسميه الآن بـ «ولاية نيومكسيكو». إنهم يدخلون سانتافيه، حيث ينبغي عليهم أن يفضوا تمرداً لأنه في الغالب المكسيكيون هم من يعيش هناك وحكومة الولايات المتحدة تسيطر على تلك المنطقة.

الجيش يزحف خلال شوارع سانتافيه بعد النصر العسكري. جميع سكان سانتافيه، يدخلون بيوتهم ويقفلون أبوابهم ونوافذهم ولذلك يواجه الجيش مقاومة صامتة وهي تعبير عما يشعر به السكان عن هذا النصر الأمريكي العظيم!

هناك شيء صغير يتعلق بالحرب المكسيكية قد يجعل من الفيلم أكثر إثارة، وهو قصة بعض الفارين من الجيش. الكثير من الناس الذين تطوعوا في الحرب المكسيكية فعلوا ذلك للسبب نفسه الذي من أجله يتطوع الناس الفقراء وأعضاء الطبقة العاملة للجيش اليوم. إن السبب ليس لأنهم مقتنعون بفكرة الحرب، بل لأنهم يائسون وفقراء فحسب، ويتمنون أن يحصلوا على بعض المال إذا انضموا للجيش.

خلال الحرب المكسيكية، كان بعض هؤلاء المتطوعين من المهاجرين الجدد



وأكثرهم من أيرلندا. العديد من هؤلاء الجنود الأيرلنديين عندما شاهدوا ما وقع على سكان المكسيك فروا وانضموا إلى الجانب المكسيكي.

أنا لا أعرف بالضبط عددهم ولكن هذا حدث بالفعل وربما يعرف سكان نيومكسيكو الكثير عن هذا الأمر. لقد شكلوا كتيبة خاصة بهم وقاتلوا مع المكسيكيين وأطلق عليهم كتيبة سانت باتريك (التي أصبحت في ما بعد سانت باتريسيو)، وكان هذا حدثاً مدهشاً في الحرب المكسيكية.

لقد تذكرت هذا الحدث عندما كنت أفكر في الحرب في الفيليبين، مباشرة بعد الحرب الأمريكية-الإسبانية. ليس من السهل أن نجعل الحرب الأمريكية-الإسبانية حدثاً نبيلاً، على الرغم من أن هوليوود بالفعل تستطيع أن تفعل أي شيء، ولكن لا أعتقد أنها حصلت على اهتمام في فيلم.

في الكتب الجامعية والفصول الدراسية للتاريخ، يطلق على الحرب الأمريكية-الإسبانية «الحرب الصغيرة الرائعة». لقد استمرت 3 شهور وكانت انتصاراً سريعاً على الإسبانيين. لقد قمنا بها لتحرير الكوبيين لأننا دائماً نخوض الحروب لتحرير أناس آخرين. لقد طردنا الإسبانيين من كوبا ولكننا لم نخرج من كوبا. ومن الناحية العملية الولايات المتحدة سيطرت على كوبا من تلك النقطة فصاعداً. أحد الأشياء التي نأخذها ضد فيديل كاسترو، أنه أنهى سيطرة الولايات المتحدة الطويلة على كوبا.

وعلى الرغم من أن الثورة الكوبية معقدة، إلا أنني أعتقد أنه من العدل أن نقول إنها إحدى المآخذ التي تأخذها الولايات المتحدة ضد كاسترو. أنا لا أصدق أن مأخذ الولايات المتحدة ضد كاسترو هو أنه ببساطة ديكتاتور لأننا كنا دائماً نؤيد المستبدين، أليس كذلك؟!

الحرب الأمريكية-الإسبانية تحصل على بعض الانتباه بسبب بطولة الرئيس ثيودور روزفلت، وسلاح الفرسان.. الخ. أتذكر أنني قرأت شيئاً عنها في المدرسة ولكنهم لم يخبرونا بأي شيء عن الحرب في الفلبين. لقد تعلمنا شيئاً هو أنه نتيجة تلك الحرب استعمرنا الفلبين لكنني لم أعرف التفاصيل مطلقاً.





قرأت لك:

عندما نقرأ ونتعمق في الحرب الأمريكية-الإسبانية، نعلم أنها استمرت لثلاثة شـهور ولكن حرب الفلبين استمرت لسنوات وسنوات وكانت وحشية وكانت عبارة عن قمع دموي لحركة الاستقلال الفلبيني.

وبطـرق عديـدة، إذا تأملت فـي الفظائع التي ارتكبها الجيـش الأمريكي في الجزر الفليبينية يمكن القول إنها كانت بمثابة تمهيدا لحرب فيتنام. الآن وكما سـمعتم، فإن هذه القصة لا يتم الحديث عنها مطلقاً ربما لأنه لا يمكن نسـبها إلى البطولة العسكرية أو إلى مجد الولايات المتحدة.

لقد كان هناك جنود أمريكيون سود في حرب الفليبين ولكنهم بسرعة اندمجوا مـع الفلبينيين أكثر من رفاقهم الأمريكان البيض. لقد كانوا واعين لحقيقة أنه بينمـا ينبغي عليهم قمـع الفلبينيين، إلا أنهم كانوا يعلمون من الرسـائل التي تصلهـم من ذويهم من أمريكا عن شـنق السـود والانتفاضـات العرقية التي تحدث في مدنهم. لقد سـمعوا عن قتل عدد كبير من السـود في أمريكا، ولكن هاهـم الآن يقاتلـون ضد أناس من غيـر البيض لمصلحـة حكومة الولايات المتحدة. ولذلك فر الكثير من الجنود السود وانضموا إلى الفيليبينيين.

وعندمـا أصبح من المفترض أن تنتهي الحرب في الفيليبين في عام 1960، كان الجيـش الأمريكـي فـي الواقع مـا يزال يحـاول قمع جيـوب المقاومة الفيليبينية، حيث وقعت مذبحة. هذه هي الطريقة الوحيدة لوصف ما حدث.

«الموروز» هم مسلمون من سكان الجزر الجنوبية من الفليبين، وكان هناك قرية يسـكنها 600 شـخص (رجل وامرأة وطفل) وجميعهم غير مسـلحين. هجم الجيش الأمريكي عليهم بصورة جماعية مفاجئة حتى أفناهم جميعاً.

الأديـب الأمريكي مارك تويـن، كتب بغضب عن هـذه الحادثة. لقد غضب بصورة خاصة لأن الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت، أرسـل برقية تهنئة للقائد الأمريكي الذي قاد هذه المجزرة ووصفها بالنصر الأمريكي العظيم.

مثـل هذا الأمر تكرر مرة بعد أخـرى: عندما يقوم الجيش الأمريكي بأعمال مقيتة يتم تهنئتهم بالانتصارات العظيمة. هل شاهدتم في حياتكم فيلماً سينمائياً





يصور ثيودور روزفلت كعنصري أو إمبريالي؟ أو سفاح مساند للمذابح؟ ولكن ستجدون وجهه منقوشاً على جبل المشاهير (أي جبل راشمور في ولاية ساوث داكوتا). ولذلك سنحتاج للكثير من الجهد لتغيير هذا، لقد راودتني فكرة لإزالة وجهه من الجبل –مطرقة / إزميل– ولكن كلا! لن تفي بالغرض.

ينبغي إظهار الحروب في الأفلام بطريقة مبتكرة لكي توجد جيلاً جديداً من الناس يستطيعون أن يقولوا «كلا» للحرب. نريد أن نشاهد مثل هذه الأفلام أكثر وأكثر.

نريد أن نشاهد أفلاما عن أولئك الأمريكان الأبطال الذين احتجوا ضد الحرب العالمية الأولى. لقد كان هناك اشتراكيون ومسالمون ("باسيفيست» Pacifist)، وبالطبع كان هنالك الكثير من الناس الذين يعلمون أن الحرب مجرد حماقة أدت إلى مقتل عشرة ملايين في أوروبا بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستعد لدخولها.

نحن نبحث عن أشخاص يمكنهم بالفعل أن يكونوا مثيرين ومذهلين كشخصيات في الأفلام. انظروا إلى بعض الناس الذين في ذلك الوقت الحساس خلال الحرب العالمية الأولى عارضوا تلك الحرب.

سوف تجدون المناضلة النسوية الفوضوية "إيما غولدمان" التي دخلت السجن لأنها عارضت تلك الحرب، وكانت ضد التجنيد الإجباري.

وستجدون أيضاً المناضلة الاشتراكية "هيلين كيلر"، والتي لم أشاهدها في أي فيلم مطلقاً باستثناء ذلك النوع من الأفلام الذي يركز على كونها معاقة. لم أشاهد مطلقا أي فيلم عن هيلين كيلر يصورها كما كانت فعلياً: مناضلة، راديكالية، اشتراكية، وناشطة ضد الحرب.

لقد كانت إنسانة من ذلك النوع النبيل الذي يرفض حتى عبور خط الاحتجاج الموضوع ضد مسرحية تتحدث عنها. يا له من موضوع رائع لفيلم سينمائي.

أستطيع الحديث كثيرا عن قصص وسيناريوهات عن الحروب. ماذا عن الحرب العالمية الثانية؟ مجدداً، إنها «حرب جيدة» بالطبع. أفضل الحروب.



ولكن الأمر ليس بتلك البساطة، وهذا هو السبب الذي جعل المؤرخ ستادس تيركيل -عندما كتب تاريخه الشفوي- يصفها بالحرب الجيدة ووضع علامات تنصيص حول «حرب جيدة» (للتشكيك) إذا كنتم قد لاحظتم.

في تلك الحرب، كان لدينا تعاطف إنساني، لقد كنا نقاتل شيطاناً فظيعاً (الفاشية)؛ ولكن من ناحية أخرى، كان هناك حرب تميزها فظائعنا نحن التي كانت تتضاعف حتى بلغت الذروة في هيروشيما ونكازاكي. أنا لم أشاهد فيلماً يتعامل بعدل مع قصفنا لهيروشيما. أفضل ما أنتجناه هو فيلم تعامل مع قصفنا للمدنيين مبني على كتاب كورت فونيغت «المسلخ رقم خمسة»، وكان ذلك أمراً نادراً وغريباً.

يجب أن أعترف أن هناك بالفعل عدداً محدوداً جداً من الأفلام المناهضة لفكرة الحرب وكانت عن الحرب العالمية الأولى.

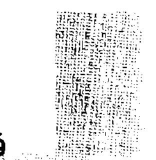
على سبيل المثال هناك فيلم «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية»، الذي يعتبر فيلماً رائعاً. لقد قارنت في مقالة لي مؤخراً بين هذا الفيلم والفيلم الحديث «إنقاذ الجندي رايان».

لقد كتبت أنه على الرغم من التشويه المتعمد، إلا أن فيلم «إنقاذ الجندي ريان» كان في جوهره يمجد فكرة الحرب، في حين كان عنوان الفيلم الآخر واضحاً ومعادياً للحرب: «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية»

الفصل الثالث :

نختتم اليوم نشر بعض المقاطع المختارة من الفصل الثالث من كتابي المترجم الذي صدر مؤخرا بنفس عنوان هذا الفصل: «قصص لا ترويها هوليوود مطلقاً» (منتدى المعارف، بيروت، 192 صفحة) وهو كتاب يتكون من سبعة فصول ومن تأليف المؤرخ الأمريكي هوارد زِنْ. وهذا الفصل في الأساس هو نسخة منقحة من خطبة ألقاها زن في مهرجان تاوس للفيلم، تاوس، ولاية نيومكسيكو، في 17 نيسان/أبريل 1999 (المترجم).





قرأت لك:

لن تجدوا أفلاماً عن نضال عاملات النسيج: الفتيات اللاتي ذهبن للعمل في معامل النسيج في ماساتشوستس في لويل ولورنس منذ بدايات القرن التاسع عشر. هناك قصة رائعة عن فتيات لويل في ثلاثينيات القرن التاسع عشر اللاتي نظمن أنفسهن وأضربن.

لن تجدوا أفلاماً عن إنجازاتهن ولن تجدوا أفلاماً عن التاريخ الغني بنضالات العمال التي حدثت في الولايات المتحدة. وعلى أية حال، النظام الأمريكي العام الذي صنعه الدستور، والنظام السياسي الأمريكي، والدستور العظيم والشهير للولايات المتحدة، لم يمنح أي حقوق اقتصادية للشعب الأمريكي.

نحن دائماً ننسى أن الدستور يعطي حقوقاً سياسية ولا يعطي حقوقاً اقتصادية. وحتى تلك الحقوق السياسية تعتبر مقيدة بسبب عدم وجود حقوق اقتصادية. إذا لم تكن ثرياً فإن حقوقك السياسية تصبح محدودة حتى وإن كانت توجد على الورق في الدستور.

حرية التعبير موجودة في الدستور، ولكن مقدار حرية التعبير الذي تتمتع بها، يعتمد على ما تملكه من ثروة أو مال وغيرهما من الموارد. ولكن في ما يتعلق بالحقوق الاقتصادية، لا يوجد شيء مطلقا في الدستور. هناك «إعلان الاستقلال»: الحق في الحياة، والحرية وتحقيق السعادة. ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الغايات إذا لم تكن تملك الحق في الطعام والسكن والعلاج الطبي.

الطبقة العاملة خلال مسار التاريخ اضطرت إلى التنظيم والكفاح والإضراب والنضال وإعلان المقاطعة ومواجهة الجيش والشرطة والحرس الوطني. لقد كان يتوجب عليهم فعل ذلك بأنفسهم على الرغم من معارضة الحكومة وذلك حتى ينتصروا في تحقيق إنجاز مذهل وهو تحديد ساعات العمل بثماني ساعات في اليوم، وذلك لتغيير ظروف عملهم الشاقة.

ولذلك، أقول إنه يجب إنتاج فيلم عظيم عن إضرابات عمال سكك الحديد عام 1877، أو عن حادثة سوق البرسيم عام 1866، والتي كانت أيضا جزءاً من النضال لتحديد ساعات العمل بثماني ساعات في اليوم. حادثة سوق البرسيم انتهت بإعدام ثمانية من الفوضويين ظلما بعد أن اتهموا ظلما



بزرع قنبلة بالرغم من عدم وجود دليل عن الفاعل الحقيقي. الأديب الساخر جورج برناردشو أرسل برقية إلى محكمة إيلينويز العليا جاء فيها: «إذا كانت ولاية إيلينويز تود التخلص من ثمانية أشخاص من مواطنيها، فمن الأفضل التخلص من أعضاء محكمة إيلينويز العليا الثمانية»!

وماذا عن قصة إضراب يوجين ديبس وإضراب عمال القطارات العظيم في عام 1894، والذي قاموا فيه بإعاقة جميع عمليات السكك الحديدية في الولايات المتحدة الأمريكية ونتج منه تحريك كل من الجيش والمحاكم ضدهم؟ شخصية ديبس تصلح لتكون موضوع فيلم رائع، ولكن لم يسبق لي مطلقاً أن شاهدت فيلماً كان هو فيه الشخصية المركزية.

لقد شاهدت أنواعاً عديدة من الأفلام من النوع التي يرثى لها ولكن لم أشاهد مطلقاً يوجين المذهل الذي يبدأ كمنظم لعمال السكك الحديدية ثم يدخل السجن ويخرج منه كمعارض ومنشق، نعم، السجن يفعل ذلك بالناس، ولذلك ينبغي على الحكومة أن تحذر من عدد الناس الذين ترسلهم إلى السجن.

هناك حالياً مليونان من الناس في السجن وإذا فعلوا جميعا كما فعل ديبس، حسناً!!! عندما أطلق سراحه في النهاية بعد أن دخل السجن بسبب معارضته الحرب العالمية الأولى ليس من قبل الليبرالي وودرو ويلسون ولكن من قبل المحافظ وارن هاردينغ - ديبس ترك انطباعاً لدى زملائه المساجين لدرجة أن مأمور السجن فتح جميع الزنزانات وأخرج جميع السجناء إلى الساحة لكي يودعوا ديبس؛ لقد صفقوا وهتفوا جميعاً عندما حصل على حريته.

كما إننا نحتاج إلى فيلم عن إضراب عام 1912 لعمال النسيج في لورنس ويا له من حدث مذهل. لكن كان مذهلاً لأن الكثير من الإضرابات تخسر ولكن هذا الإضراب انتصر. لقد كان إضراباً لعمال متعددي الثقافات وكانوا يتحدثون 12 لغة مختلفة، ولكنهم اجتمعوا معاً، وتحدوا شركات النسيج والشرطة التي أرسلت إلى سكة الحديد لمنع أطفال العمال من المغادرة. الشرطة هاجمت النساء والأطفال في محطة القطار لأنهم لم يكونوا يريدون للأطفال المغادرة والأمن، لأن الشرطة كانت تريد تجويع المضربين وهو

ما قد يصبح أقل احتمالاً للحدوث إذا كان أطفالهم في أمان. ولكن المضربين صمدوا وساندهم اتحاد العمال العالمي وانتصروا في النهاية. وخرجت أغنية «خبز وورد». لقد كان حدثاً مدهشاً ورائعاً.

هنـاك أيضا مذبحة لودلوو، التي حدثت خلال إضراب عمال الفحم في ولاية كولـورادو فـي 1913-1914. لقـد كان واحداً من أشـد الإضرابات دموية ودراماتيكية في تاريخ أمريكا ضد أعمال روكفلر. ليس من السهل إنتاج فيلم عن أعمال روكفيلر.

أحد أبرز زعماء ذلك الإضراب كانت مذز جونز (1837-1930)Mother Jones وهـي امرأة كان عمرها 83 عاماً وكانت تعمل في تنظيم العمال في ولايتي ويسـت فرجينيا وبنسـلفانيا. قادت مذز جونز الأطفال في زحف من بنسلفانيا إلى نيويورك لمواجهة الرئيس ثيودور روزفلت، لأن هؤلاء الأطفال كانوا يعملون في مصانع النسيج وأعمارهم تتراوح بين 12-11 عاماً.

لقد حصلت على موافقة أولياء أمور هؤلاء الأطفال وقادتهم في رحلة طويلة إلى نيويورك، حيث كان روزفلت يقضي عطلته الصيفية.

لقد وقفوا أمام منزله وهم يرفعون لوحات كتب عليها «نريد وقتاً للعب». هل تـم إنتـاج فيلم عن مذز جونز؟ لقد كانت في 83 من العمر عندما قبض عليها الحرس الوطني في ولاية كولورادو وألقي بها في السجن، ومع هذا خرجت لتقود النساء في إضراب في مدينة ترينيداد في ولاية كولورادو.

ولكن بالطبع تم إنتاج أفلام سـينمائية ووثائقية جيـدة، ولكن أنا أتحدث أيضا عما لم تنتجه هوليوود. هناك أفلام وثائقية مدهشة خرجت في السنوات 10-15 الأخيـرة. ولكـن مثل هده الأفلام يجب أن تناضـل بقوة لكي تجمع المال ومن ثم تناضل وتناضل أكثر لكي يتم توزيعها لكي يشاهدها الناس.

هنـاك نجاحـات هائلة في مجال هـذه الأفلام مثل فيلم مايـكل مور ««روجر آنـد مي» (Roger and Me)، الذي شـاهده عشـرات الملايين، وهذا أمر مدهش.



ولذلــك فإن الاحتمال موجود وربما يجب علينــا أن نلعب مع النظام بطريقة مثـل حرب العصابــات لكي ننجح في إنتاج فيلم بصورة مخاتلة ويتم عرضه خارج مؤسســة هوليوود. قد ننجح أحياناً في دس فكرة معينة وتمريرها على نظام هوليوود في لحظة ننجح فيها على جعلهم ينســون من هم وماذا يعملون من أجله.

لقد شــاهدنا أفلاماً عن كريســتوفر كولومبس، ولكنني لا أذكر أي فيلم كشف صورة كولومبس الحقيقية، أي رجل تحكمه الأخلاق الرأســمالية المتوحشة. هل ستنتج هوليوود فيلماً عنه يهون من الأخلاق الرأسمالية في قتل الناس من أجل الذهب، وهذا ما كان يفعله كولومبس والإسبانيون؟

يمكــن إنتــاج فيلم عظيــم وأحد الشــخصيات المهمــة فيه قد يكون الأســقف "بارتولوميه دو لاس كأســاس" الذي فضح مــا فعله كولومبس في مجلدات. "لاس كأساس"، كان شاهد عيان على ما كان يحدث، ويمكن أن يكون هناك مشــهد في الفيلم عن النقاش العظيم الذي جرى أمام الهيئة الملكية الإســبانية في عام 1560 عن شرعية احتلال أراضي الهنود الحمر. ذلك النقاش العظيم كان بين "لاس كأساس" وسيبولفيدا، وهو راهب آخر جادل أن الهنود ليسوا بشراً، ولذلك يمكن صنع أي شيء بهم.

هناك أيضا قصة إبعاد هنود الشيروكي قسراً من الجنوب الشرقي عبر «تريل أوف تيرز» (درب الدموع) بحسب أوامر رئيسنا البطل أندرو جاكسون. أنا لم أتعلم في المدرســة أن جاكســون كان عنصرياً وقاتــلاً للهنود، وأنه أيضا وقع على أمر طرد الأمريكان الهنود من جنوب شرق الولايات المتحدة عبر الميسيســيبي. لقــد كان ذلك تطهيــراً عنصرياً بحجم ضخــم: زحف الجيوش الأمريكية عبر القارة لطرد الهنود من أراضيهم وحشرهم في منطقة صغيرة في ولاية أوكلاهوما وهي ما تمت تسميتها لاحقاً بـ المقاطعة الهندية. ولاحقاً عندما اكتشف النفط في تلك المقاطعة، تم غزو تلك المنطقة مجددا وعندها لم يعد اسمها «المقاطعة الهندية» مطلقاً. هذا حقاً وبالفعل تطهير عرقي.

لا يوجد فيلم يعرض قصة «الشيروكي» الذين هُجروا في «تريل أوف تيرز»





(درب الدمـوع)، أي قصة 16،000 شـخصاً هندياً أحمر نزحوا قسـراً من بلادهـم نحو غرب أمريكا ما أدى إلـى مقتل أربعة آلاف خلال هذا النزوح، بينمـا كان الجيش الأمريكي يدفعهم بعنف والرؤسـاء الأمريكان يثنون على ما كان يجري.

وبالطبع، هناك أيضا قصة السود في الولايات المتحدة التي أصبحت متوافرة مؤخراً من وجهة نظر هؤلاء الناس السود. لدينا العديد من الأفلام عن حركة الحقـوق المدنية حيث شـاهدنا مقاطعة حافلات مونتغمـري من وجهة نظر الممثلة البيضاء سيسي سباسيك.

كما شـاهدنا قصة قتل 3 نشـطاء حقوقيين من العمال في ميسيسـيبي في عام 1964، مـن وجهة نظر الـ إف بي آي، والذين كانوا أبطالا لهذا الفيلم ولكن أي شخص كان في ميسيسيبي عام 1964، ومنهم أنا وزوجتي بكل تأكيد كنا نعرف أن الـ إف بي أي كانت هي العدو. الـ إف بي آي، كانت تشـاهد الناس وهم يضربون بعنف ولكنها كانت صامتة وغائبة عندما احتاجها هؤلاء الناس لحمايتهم من القتل.

وفي هذا الفيلم الهوليوودي أصبحوا أبطالاً. نحن نريد أن نشاهد قصة حركة الحقوق المدنية كما يرويها الناس السـود وقصة ما جرى في الميسيسيبي من وجهة نظر المناضلة الحقوقية السوداء فاني لو هامر.

أريد أن أقول شـيئاً عن الحرب الأهلية. الحرب الأهلية هي مجدداً واحدة من «الحـروب الجيدة»، حيـث تم تحرير العبيد خلالها، ولكـن الأمر ليس بتلك البساطة.

هناك عامل الطبقة بخصوص من تم تجنيدهم ومن لم يتم تجنيدهم، من ربحوا أموالاً هائلة بسـبب الحرب الأهلية ومن دفعوا مـالاً كبديل عن التجنيد، وما جرى للهنود.

أعتقـد أن هنـاك الكثير من العمـل التاريخي الذي يجب إنجـازه والعديد من الأفلام التي ينبغي إنتاجها.



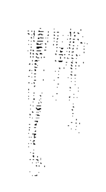
إذا تــم إنتــاج مثل هذه الأفلام عن الحرب ووصلــت إلى الناس، وأيضـاً أفلام عــن تاريخ الكذب الحكومــي والمعاهدات المنتهكة والعنف الرســمي. إذا تم إنتاج أفلام عن هذه الحكايات التاريخية، قد نحصد بالفعل جيلاً جديداً. كأستاذ وكاتب هذا ما يهمني.

أنا لســت مهتماً في إنتاج كتب فحسب، كما إنني لست مهتماً بإعادة إنتاج فئة بعــد فئة من الناس الذين يتعلمون ثم ينجحون في الحياة ليحصلوا على مواقع في المجتمع تعوّدهم على الطاعة العمياء للأخ الأكبر.

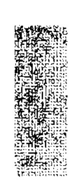
الشيء الواجب علينا كمبدعين، سواء كنا نكتب أو ننتج أفلاماً أو نخرج أفلاماً أو نعزف موسيقى أو نمثل أو مهما كان دورنا، يجب أن لا يكون «فقط» أن نجعل الناس يشعرون بالسعادة والإلهام، ولكن أيضا أن نعلم جيلاً جديداً هذا الشيء نفسه: «تغيير العالم».

انتهى مقال د. حمد العيسى



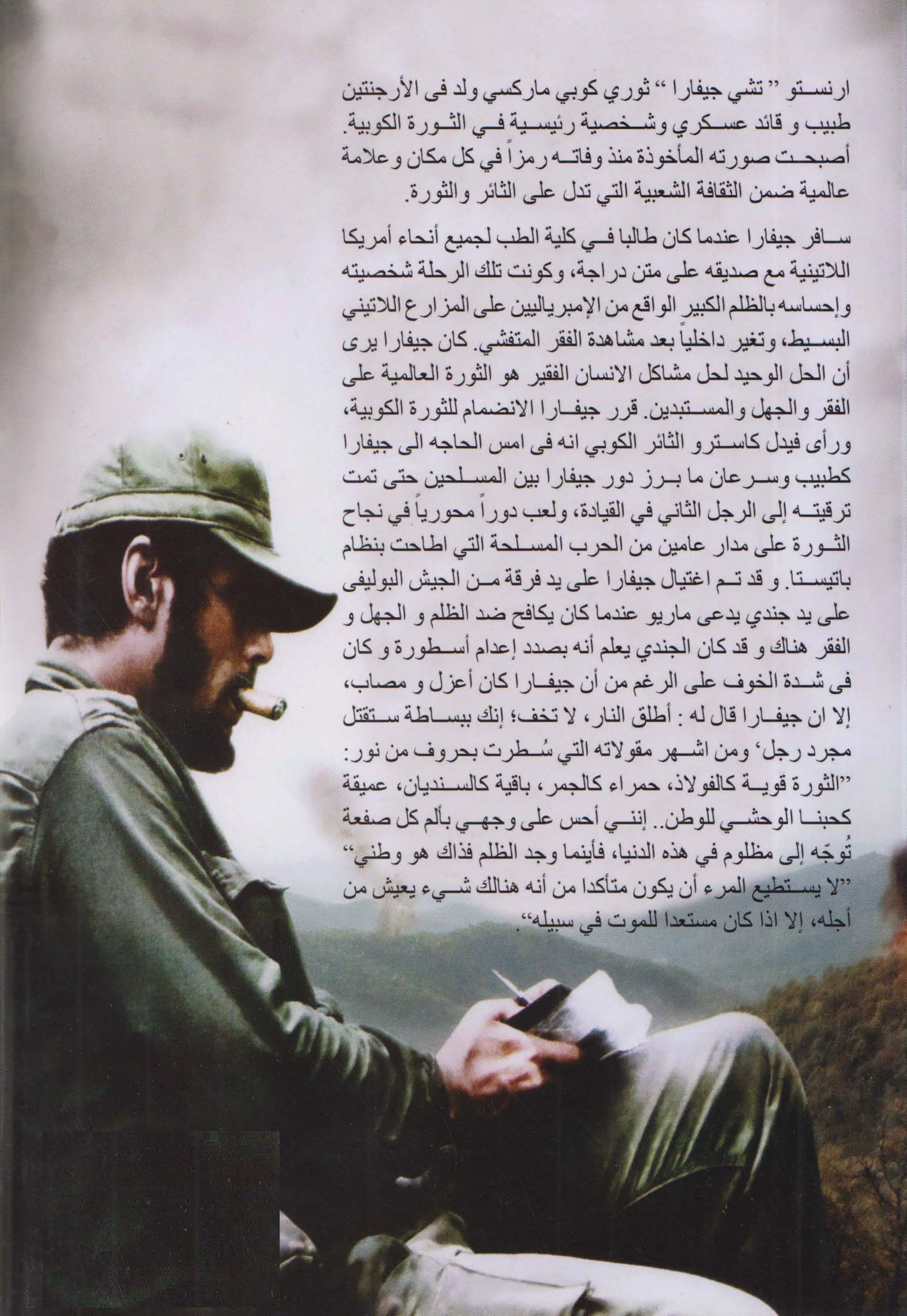


الفهرس




تشي
جيفارا





ارنستو " تشي جيفارا " ثوري كوبي ماركسي ولد فى الأرجنتين طبيب و قائد عسكري وشخصية رئيسية في الثورة الكوبية. أصبحت صورته المأخوذة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وعلامة عالمية ضمن الثقافة الشعبية التي تدل على الثائر والثورة.

سافر جيفارا عندما كان طالبا في كلية الطب لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه على متن دراجة، وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البسيط، وتغير داخلياً بعد مشاهدة الفقر المتفشي. كان جيفارا يرى أن الحل الوحيد لحل مشاكل الانسان الفقير هو الثورة العالمية على الفقر والجهل والمستبدين. قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، ورأى فيدل كاسترو الثائر الكوبي انه فى امس الحاجه الى جيفارا كطبيب وسرعان ما برز دور جيفارا بين المسلحين حتى تمت ترقيته إلى الرجل الثاني في القيادة، ولعب دوراً محورياً في نجاح الثورة على مدار عامين من الحرب المسلحة التي اطاحت بنظام باتيستا. و قد تم اغتيال جيفارا على يد فرقة من الجيش البوليفى على يد جندي يدعى ماريو عندما كان يكافح ضد الظلم و الجهل و الفقر هناك و قد كان الجندي يعلم أنه بصدد إعدام أسطورة و كان فى شدة الخوف على الرغم من أن جيفارا كان أعزل و مصاب، إلا ان جيفارا قال له : أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل' ومن اشهر مقولاته التي سُطرت بحروف من نور: "الثورة قوية كالفولاذ، حمراء كالجمر، باقية كالسنديان، عميقة كحبنا الوحشي للوطن.. إنني أحس على وجهي بألم كل صفعة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني"
"لا يستطيع المرء أن يكون متأكدا من أنه هنالك شيء يعيش من أجله، إلا اذا كان مستعدا للموت في سبيله".